٦

طريق الصديقين

إلى رضوان رب العالمين

الطبعة الثانية منقحة وبإخراج عصري

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

الكتاب	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	٢١ شوال ١٤١٥هـ/ ٢٢ مارس ١٩٩٥م
الطبعة الثانية	٢٧ صفر ١٤٣٥هـ، ٣٠ ديسمبر ٢٠١٣م
رقم الكتاب	السادس من المطبوعات التي تبلغ الثمانين كتابا
سلسلة	الإيمان والحياة
الداخلي	٢٥٦ صفحة * ٨٠جم * ١٧ سم * ٢٤ سم * ١ لون
الغلاف	كوشيه لميع ٣٥٠ جم، ٤ لون، سلوفان لميع
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥، حدائق المعادي القاهرة، ج م ع، تليفون: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠، فاكس: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٦١٦١٨
رقم الإيداع المحلي	٢٠١٣/
الترقيم الدولي	978-977-90- -
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة الطبعة الثانية

الحمد لله على واسع عطائه ... والشكر لله على مزيد نعمائه ...

والصلاة والسلام على افضل رسله وخير انبيائه سيدنا مُحَمَّد وآله الاتقياء وأصحابه الأمناء وكل من تابعهم على هذا الهدى الى يوم العرض والجزاء ... وعلينا معهم أجمعين ...آمين وبعد،

جعل الله عزَّ وجلَّ قلوب عباده الأتقياء الأنقياء معلقة بحضرته دوما ...

تسعى بكل ما تستطيع من المجاهدات فى عمل البر والخير والنوافل والقربات لنوال قربه ومودته، وتفرح وتسر اذا افاض عليها الله عزَّ وجلَّ نفحات قربه و وصاله، وتزيد بهجتها وتزداد نشوتها كلما لاحت لها لمعات الأنوار أو ظهرت لها بوارق الأسرار أو شهدت قبسا من توفيق الله وعنايته لعباده الأخيار.

وقد وصف هذا المسلك – الذى سلكه هؤلاء القوم فى تقربهم الى الله، وسعيهم لنوال قربه ورضاه ، وتعرضهم لنفحات جوده وعطاياه – بالطريق إلى الله.

وقد وضحنا هذا الطريق ... وكيفية سلوكه ... والمجاهدات التى يقوم بها سالكه للوصول الى تحقيق مناه ... وركَّزنا على الصفات والآداب التى ينبغى ان يتحلّى بها السالك لهذا الطريق ...

و ألمحنا الى العقبات التى تعترض سالك هذا الطريق ... وآثارها ... ونتائجها وكيفية اجتيازها ... !! ووصفنا أيضاً بعض المنح والعطاءات التى يحصّلها السالك إذا صدق فى سلوك هذا الطريق ...

وبيّنا الحاجة الى الرفيق فى سلوك الطريق ... وأوصاف هذا الرفيق على التحقيق ... !

وسمينا هذا الكتاب:

طريق الصديقين الى رضوان رب العالمين

ولأهمية هذا الكتاب، وسلاسة عبارته، وقوة حجته، وصدق محجته نفدت الطبعة الأولى منه سريعا، وألحَّ على طلبه دور النشر والمكتبات بناءاً على كثرة الطلب من الأفراد المحبين ... فاستجبنا لطلبهم رغم كثرة المشاغل وضيق الوقت فأعدنا مراجعته، وكذا مراجعة تخريج الآيات والأحاديث، مع مراعاة التنسيق العصرى الذى يلائم الوقت؛ فخرجت هذه الطبعة الأنيقة المحقَّقة التى نرجو ان يعمَّ بها النفع لكلِّ من قراءه، وان يسهِّل الله عزَّ وجلَّ العمل به لكل من طلب وجهه سبحانه.

هذا وقد أتمَّ الأخ الصادق الأستاذ جمال عبد الحميد ترجمته الى اللغة الأنجليزية تحقيقا لرغبة الاخوة المسلمين الذين لا يجيدون العربية، نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يعيننا على طباعته، ولله الحمد فى الأولى والآخرة

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

الجميزة –غربية .. فى مساء الأحد ١٩من صفر ١٤٣٥ هجرية

الموافق ٢٢ من ديسمبر ٢٠١٣ ميلادية

فوزي محمد أبوزيد

البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية
تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩
موقع الإنترنت: www.fawzyabuzeid.com
البريد الإليكترونى: fawzy@fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@yahoo.com ، fawzyabuzeid@hotmail.com,
fawzyabuzeid48@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة الطبعة الأولى

الحمد الله الذى دلَّ عباده به عليه، وأوصلهم به إليه، فلا يصل واصل إليه إلا بفضله، ولا يصح لعبد قدم فى الطريق إليه إلا بمنه وكرمه ..

والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد ... مصدر الفضل والجود من كنز حضرة المعبود ... وسر الفتح والشهود وباب العناية والإتحاف لمن خصهم الله ﷻ بالإسعاف والألطاف ... وآله أهل الصفا والوفا ... وكل من اتبع هديه و لأثره اقتفى.

وبعد ،

فهذه بعض الدروس الروحانية التى تناولناها فى سياحتنا مع الإحباب والصادقين، وهى وإن كانت فى أوقات متفرقة وأماكن متباينة إلا أنه يجمع بينها أنها تتحدث عن السير والسلوك إلى الله ﷻ وهى خاصة بالراغبين فى مزيد فضل الله والطالبين لمراتب الكمال التى يقول الله ﷻ فى شأن أهلها:

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١٦٣ آل عمران)

بعضها يوضح لهم معالم الطريق إلى الله ..

وبعضها يبين لهم كيفية الوصول إلى الله ...

ويشير بعضها إلى الآداب التى يجب أن يتجمل بها السائرون إلى الله ...

ويفصح بعضها عن الأحوال التى يتجمل بها الرجال أهل الكمال حفزاً للهمم

وتشويقاً للنفوس إلى مرابع الأنس ومنازل الوصال وغير ذلك من الأمور التى تهم السالك فى حياته الروحية ومجاهداته النفسية وفتوحاته القلبية.

وقد قام بجمع هذه الدروس من على الأشرطة التى كانت مسجلة عليها أخى وحبيبى الأستاذ الدكتور أحمد عبد الله القاضى الأستاذ بكلية الهندسة ببور سعيد جزاه الله عنا خيراً.

وقد راجعناها وخرجنا الآيات والأحاديث الموجودة بها وعزونا الأحاديث إلى مصادرها المعتمدة، و آثرنا أن نعرضها كما هى بلا حذف ولا إضافات حتى تكون صورة صادقة للجلسات الروحية التى يرتادها الصالحون فيفيض الله ﷻ عليهم ببركة الصدق ونور الإخلاص من عوالم الغيب مواهب ربانية وأسرار قرآنية ولطائف حكمية وأحوالاً نبوية تزيد الذين اهتدوا هدى تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩ التوبة)

أسأل الله ﷻ أن ينفع بها من قرأها ...

وأن يرفع بها من عمل بها ...

إنه نعم المولى ونعم النصير ...

وصلى الله وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

مساء الأربعاء

الحادى والعشرون من شوال ١٤١٥هـ

الموافق للثانى والعشرين من مارس ١٩٩٥ م

فوزى مُحَمَّد أبوزيد

معالم الطريق إلى الله ﷻ

البحث عن الشيخ فى طريق الله ﷻ

طريقة البحث عن الشيخ

صفات المرشد الربانى

الطريق إلى معرفة الله ﷻ

جهاد النفس

النفس الأمارة وأنواعها

النفس اللوامة

تصفية القلب

جمالات الواصلين

التحلى بالجمال المحمدى

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ
أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ
بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾

[١٠٨ يوسف]

معالم الطريق إلى الله ﷻ

البحث عن الشيخ فى طريق الله [٢]

السؤال الأول: لماذا يركز الصوفية على معرفة الشيخ كأساس فى طريق القوم ويطالبون المريدين بالبحث الشديد عنه ؟

ونجيب على ذلك فنقول وبالله التوفيق:

الإنسان الحريص على نفسه، البصير على أمره، يريد أن يصل إلى الله ﷻ وهو يعرف أن الوصول إلى الله يحتاج إلى شيخ يوصله إلى الله ﷻ فإذا عثر على هذا الشيخ، فقد عثر على كنز من كنوز الحق، ومن أجل العثور على الشيخ كان الصالحون فى الأزمنة السابقة يطوفون الأرض شرقاً وغرباً يبحثون عن الشيخ وينقبون عنه، فمثلاً سيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ وأرضاه سافر من تونس إلى مصر إلى العراق ليبحث عنه وفى العراق قالوا له إن الذى تبحث عنه عندكم فى بلاد المغرب فرجع مرة أخرى لشيخه سيدى عبد السلام بن بشيش ﷺ وأرضاه.

طريقة البحث عن الشيخ

ما الذى يجب على الإنسان أن يفعله، وما الأسلوب الذى يتبعه فى طريقة البحث عن الشيخ؟

الشيخ ابن عطاء الله السكندرى ﷺ وأرضاه، وهو إمام جليل من أئمة القوم وأنا

---

٢ هذا حوار دار بين الشيخ وبين رجل من الصالحين دخل علينا فجأة وأخذ يسأل هذه الأسئلة الراقية فكأنما كان يريد أن يوضح هذه الأشياء للإخوان الجالسين، وكان ذلك فى منزل الحاج محمد العراق ببنها يوم ١٩٩٣/١١/١٢ قبل الجمعة.

أطالب إخوانى أن يقرأوا له الحكم العطائية بأى شرح من الشروح، هناك شرح ابن عجيبة، وشرح ابن عباد، وشرح الشيخ زروق، وشرح الشيخ الخطيب، وشرح الشيخ الشرقاوى وهو أيسرها وأسهلها، وآخر شرح لها شرحه الشيخ سعيد حوى زعيم الإخوان المسلمين فى سوريا، شرح حكم ابن عطاء الله، المهم أنه لعظمها شرحها الشيخ زروق سبعة عشر شرحاً وكل شرح غير الآخر، فالأول غير الثانى غير الثالث، وقد طبع منها الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله عليه الشرح السابع عشر، والإمام أبو العزائم أيضا قد شرحها فى السودان فى جامع أم درمان؛ إلا أن هذا الشرح قد ضاع، فحكم بن عطاء الله لا تفوت على أحد من السالكين؛ لأن فيها آداب السلوك إلى الله ﷻ كما ينبغى بكلمات قليلة ومعانى ماشاء الله، حتى كانوا يقولون فيها: (كأنها التنزيل) يعنى قريبة من أسلوب القرآن، فماذا كان يقول ؟ يقول ﷺ وأرضاه :

{ إذا افتقدت الشيخ الذى يدلك على الله فعليك بالأوراد الجامعة الواردة عن سيدنا رسول الله ﷺ والإكثار من النوافل والطاعات، وتكثر فى سجودك من هذا الدعاء، وتقول " اللهم دلنى على من يدلنى عليك " }

وهذه هى الطريقة التى اتبعتها فى بدايتى، ونفذتها والحمد لله حتى أكرمنى الله ﷻ بمعرفة الصالحين ﷺ وأرضاهم

فهناك إذاً ثلاثة أمور:

الأول: الأوراد الجامعة الواردة عن رسول الله ﷺ والتى هى أوراد الصباح والمساء، وهى من السور القرآنية التى كان يقرأها كل ليلة، والأوراد الواردة عن رسول الله ﷺ وهى موجودة فى كتب يسمونها كتب عمل اليوم والليلة مثل كتاب (عمل اليوم والليلة) لابن السنى ، وكتاب (عمل اليوم والليلة) لابن ماجه، وأجمعها كتاب (الإذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار) للإمام النووى الذى قالوا فيه: **{ بع الدار واشترِ الأذكار }** [٣]

والثانى : بعد ذلك فيكثر من النوافل والطاعات كصيام الإثنين والخميس وقيام

٣ ولنا فى ذلك أذكار الأبرار بحجميه الكبير والصغير وقد طبع عدة مرات.

الليل، وصلاة الضحى، والبر بالفقراء والمساكين، وغيرها من أنواع النوافل والطاعات.

والثالث : أن يكثر الإنسان فى دعاءه من الدعاء الذى ذكرناه "اللهم دلنى على من يدلنى عليك " وخاصة فى السجود لقوله ﷺ:

{ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ } [٤]

صفات المرشد الربانى

بعد ذلك يبدأ يزور الصالحين الذين يسمع عنهم ومعه الموازين القرآنية، ما هى الموازين القرآنية؟ من يارب الذى نمشى معه حتى يوصلنا إليك ؟ قال ﷻ:

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [٢١ يس]

الشيخ الذى لا يقول لك: أين العادة؟ أو يطلب منك دنيا مستكثر منها لنفسه، ولذلك قالوا: { شيخك الذى يعطيك وليس شيخك الذى يأخذ منك }

يعطيك حالاً ويعطيك نوراً ويعطيك هداية ويعطيك علماً ويعطيك مالاً إذا احتجت من فضل الله ﷻ أو يدعوا الله ﷻ لك فييسر لك أسباب الرزق، لكن لا يطلب الأجر من أحد، هذا أول شرط من الشروط.

أما الشرط الثانى فهو قول الله تعالى:

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ [١٠٨ يوسف]

أى لابد أن يكون ذا بصيرة نافذة، لأن الشيخ الذى ليس عنده بصيرة ماذا سيعطى غيره؟! ففاقد الشئ لا يعطيه!!

---

[٤] سنن أبي داوود ، وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

والبصيرة كيف أعرفها؟ وهذه وإن كانت من علوم الأسرار فإن أحوال العارفين بمجرد أن يجالسهم الإنسان تجعله يأنس بها لأن الله قد يكاشفهم بالشئ الذى يجول فى صدرى أو بالشئ الذى أنا مشغول به فى سرى أو بفريضة مفروضة على وهى غائبة عن ذهنى فيفكروني بها فى مجلسهم.

أو إذا كان الإنسان يريد الله أن يقرب عليه الطريق يرى عينية فى المنام بعض صفات هذا الرجل من الصالحين، أو بعض ما له عند الله حتى يسلم له فيريه فى المنام شيئاً من مقامات هذا الرجل أو من مكانته عند الله أو من خصوصياته التى اختصه بها الله ﷻ.

أما الشرط الثالث :

فهو أن يكون هذا الشيخ لا يتخلى عن الشريعة المطهرة طرفة عين، ولنفرض أنه رجل من أهل الكشف لكنه مجذوب، فالمجذوب يكون فى حالة الغيبة عن الدنيا وما فيها لأنه لا يعرف شيئاً عن الليل ولا النهار ولا يعرف رمضان ولا شوال لأنه فى عالم الآخرة، هذا المجذوب علينا أن لا نعترض عليه ولا نقتدى به لأنه لا يصلح مرشداً فى طريق القوم، هو ولَّى نعم، ولكن لمن؟ لنفسه، لكنه ليس الولى المرشد، فالولى المرشد لا بد أن يكون أكمل الناس قياماً بالشريعة، وأكمل الناس حفظاً للحقيقة، فهو أبو العينين !! ينظر بعين الشريعة وبعين الحقيقة، والاثنين فى وقت واحد لا يشغله هذا عن هذا ولا ذاك عن ذاك ومن أجل ذلك قال الله تعالى:

﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [١٧ الكهف]

فالمهم هنا هو الولى المرشد، لكن الولى فقط فهُم كثير، وقد قال فى ذلك بعض الصالحين: { لن تخلو الأرض من مائة ألف على قدم عيسى عليه السلام }

فالمائة ألف موجودون !!

فمنهم من يمشى عرياناً، ومنهم من يمشى حافياً، ومنهم من لا يتزوج، ومنهم من

لا ينام، فهم مجاذيب لكن عندهم كشف وعندهم بصيرة ومع ذلك لا ينفعون للإرشاد والإقتداء، ولذلك قال الشيخ ابن العربى ﷺ وأرضاه:

لا تقتدى بمن زالت شريعته وإن جاك بالأنبا عن الله

فحتى لو جاء لك بالأخبار عن الله ... إلا أنه لا ينفع قدوة، ولكن لا نعترض عليه حتى لا يصيبنا عطب أو أذى، لأن مثل هذا نسلم له حاله ولكننا فى نفس الوقت لا نقتدى به.

ولكن الإمام الذى يقود الناس فى السلوك إلى الله أكمل الناس قياماً بالشريعة المطهرة على قدم سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ حتى أنه لا يفارق الشريعة طرفة عين ولا أقل من ذلك، هذا يعنى مجمل الشروط التى يجب أن تكون فى الشيخ، وهناك شروط كثيرة وكثيرة أوردها العلماء، إلا أننا نكتفى بهذا القدر رغبة فى الإيجاز.

وعندما يكرم المرء بشيخ على هذه الشاكلة، فعليه أن يسلم له ولا يعترض عليه حتى ولو بقلبه، ويجعله يتصرف فى نفسه ووقته، كيف يشاء لأنه لا يتصرف فيه ولا فى غيره إلا بالشريعة السمحاء وعلى نهج سيد الأنبياء ﷺ، يعنى يحكمه فى نفسه ويكون داخل فى قول الله ﷻ:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [٦٥ النساء]

يعنى لازم يحكمه فى كل صغيرة وكبيرة من أمره، ويستشيره فى كل أمر من أموره المهمة فى هذه الحياة، قال ﷺ :

{ إسْتَرْشِدُوا العاقِلَ تَرْشُدُوا وَلا تَعْصُوهُ فَتَنْدَمُوا } ٥

لأن من يسترشده يرشده إلى أحسن الأمور لأنه على بصيرة من ربه وسر من نور

٥ رواه الخطيب عن أبى هريرة ﷺ

تأييد الحضرة العلية، ويمشى على هديه ولا يخالفه فى أمر صغير أو كبير، إلا إذا رأى شيئاً يخالف الشريعة فعليه أن يتوقف ويسأله ويستفسره لأننا مطالبون أن لا نطيع أحداً من الخلائق أجمعين فى معصية ظاهرة لله رب العالمين: لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

الطريق إلى معرفة الله ﷻ

السؤال الثانى:

كنا نود أن نقابل سيادتكم من فترة ونتشرف برؤياك، نريد أن نعرف الطريق الذى يوصل إلى المعرفة، لأنه كما قال بعض الصالحين: { يُفتح على العارف وهو نائم على فراشه مالا يُفتح مثله على العابد وهو قائم فى صلاته }.

الجواب :

الله ... الله ... أسمعتم هذه الحكمة؟

{ يُفتح على العارف وهو نائم على فراشه مالا يُفتح مثله على العابد وهو قائم فى صلاته }

لأن أهل المعرفة أخذوا الريق من يد رسول الله ﷺ على التحقيق فعرفوا أن السير إلى الله يبدأ من النفس حتى نسافر إلى الله ، فمن أين أسافر؟ وأين هو ربنا؟

ليس له مكان ولا زمان، ولا تحيط به أفلاك ولا أكوان، بل هو ﷻ وراء كل شئ وفوق كل شئ، ومحيط بكل شئ، لأنه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

إذاً كيف نذهب إليه ؟ كل إنسان يفارق حقيقة من الحقائق التى فيه فقد اقترب خطوة أو خطوات من معرفة خالقه وباريه، من معرفته وليس من ذاته لأن ذاته ﷻ لا تدرك بعقل ولا يحيط بها وصف ولا تتحمل ذرة من شعاع نورها بصيرة، فهى فى عمأ العمأ وطمس الطمس.

أول خطوة هى قول سيدى أبى اليزيد البسطامى ﷺ وأرضاه، عندما أوقفه الله ﷻ بين يديه مناماً فقال: يارب أريد أن أصل إليك قال: يا أبا يزيد { دع نفسك

وادخل علينا }

ومن هنا قالوا: { مكتوب على حضرة القدوس لا يدخلها أرباب النفوس } طالما أن الإنسان مازالت نفوسه يعنى (نفسه الشهوانية – ونفسه الإبليسية – ونفسه الحيوانية) هى التى تحركه وهى التى تسيره، وهى التى تذهب به، وهى التى تأتى به، فهو ممنوع من دخول الحضرة، إذاً لابد أن نبدأ بجهاد النفس.

جهاد النفس

ويكون بداية الطريق إلى الله ﷻ يا إخوانى هو جهاد النفس وهذا الذى قال فيه حضرة النبى ﷺ أنه الجهاد الأكبر، فهو ليس الكبير فقط بل الأكبر أى أنه أكبر من الجهاد فى سبيل الله ﷻ.

كيف أجاهد النفس؟

لابد أن أعرف نفسى، أعرف أن فيه نفس إسمها أمارة، والنفس الأمارة بماذا تأمر؟ وكيف توسوس للإنسان وتزين له المعصية؟ وهذا الكلام موجز ومحتاج لتفصيل، لكن إن شاء الله فى نيتنا أن نضع هذا فى كتاب لإخواننا بشئ من التفصيل لينتفعوا به فى سيرهم وسلوكهم (٦)

النفس الأمارة وأنواعها

وأعرف أنواع النفس الأمارة وأصنافها فمنها النفس الشهوانية، وهى التى تحض الإنسان على الشهوات (الطعام والشراب والنوم والنكاح)، ومنها النفس الإبليسية التى تحض الإنسان على الغيبة والنميمة والوقيعة بين الناس والقيل والقال وغيره من أنواع المكر الإبليسى، ومنها النفس الآدمية التى تريد أن تظهر وتعلو ويبقى لها شئ من الرياسة وشئ من الفخر وشئ من الفخفخة وشئ من الظهور، ومن أجل ذلك قالوا:

(٦) وقد شرحنا هذا بالتفصيل فى كتابنا (المجاهدة للصفاء والمشاهدة).

{ إن آخر شئ يخرج من صدور الصديقين حب الرياسة }

النفس اللوامــة

أعـرف أن هنـاك نفـس إسمهـا الـنفس اللوامـة وهـذه أحتـاج أن أوقظهـا وأقويهـا وأمكنها وأعطيها القيادة حتى تقود هيكلى، فكلما أعمل شيئاً من العبادات والطاعات أو غيرها تزنها بميزان الشرع وإذا وجدتها مخالفة للشرع تلومنى وتؤنبنى وتزجرنى وتعاتبنى إلى أن يكرمنى الكريم ﷻ بالنفس المطمئنة التى تطمئن إلى شرع الله وإلى هدى رسول الله وتقوم عاملة به كما يحب الله عزَّ وجلَّ وكما كان عليه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ

إذاً أول واجب على أن أبدأ الجهاد فى ذات الله ، بمعرفة النفس ثم جهاد النفس وفى ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

جاهد نفوساً فيك بالشرع الأمين واحذر قوى الشيطان فى القلب كمين

فتجاهد نفسك ...

وتنتبه للشيطان !!!

وتعرف حيله .. وخداعه ... ووساوسه ... ومكائده ..!!!

وخاصة وأنه يجثم على صدرك ...، وتبارزه بالعداوة ... وتعلن عليه الحرب ... ولا تزال على هذا الحال مع قوة العزيمة !وصدق الإرادة ! ...

حتى تسلم من النفس والشيطان!!!

أو يسلما لك !!

تصفيـة القلـب

فإذا انتهيت من هذه المرحلة وهى (مرحلة جهاد النفس) وهى مرحلة طويلة

ويطول شرحها والحمد الله قد شرحناها لإخواننا فى مناسبات كثيرة نبدأ مرحلة الجهاد الثانى فى التصفية.

بعض الناس ينتقل فى هذه الطور إلى العبادات، فيكون قد دخل فى درجة العباد (سلم العباد) وهذا يكون له أجره والمزيد عند الله ﷻ يوم القيامة ولكن هذا ليس له صلة بسكة العارفين، طريق العارفين يبدأ بالتصفية، ماذا تعنى هذه التصفية؟

تصفية القلب، ممن؟ من كل الأغيار وكل شئ سوى الله ﷻ فهو غير

كل شئ سواك نارُ حمية وغرامى أنى أنال المعية

كل شئ غير الله يكون نار فى هذه الحالة وقد قيل فى ذلك: { كل ما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشئوم } أى حتى المال والولد لا يجب أن يشغلك عن الله ﷻ، بل يجب أن يعينوك على طاعة الله وعلى الإقبال على حضرة الله، ومجال التصفية هذا هو الميدان الأعظم للدخول على حضرة الله ﷻ.

فأنا من أى شئ أصفى القلب؟

أصفيه من الأمراض البشرية التى هى الحقد والحسد والغل والكره والحرص على الدنيا والكبر والإعجاب بالنفس والغرور والجهل والشره والطمع ...

فآخذ هذه الأمراض واحدة واحدة ولكن على يد طبيب، فلا بد أن أكون فى صحبة طبيب معالج لأنه هو الذى يعطى البرشامة التى فيها الشفاء، فالصيدلية فيها كل الأدوية لكننى لا أعرف ما الذى عندى؟ جائز الدواء الذى أتناوله بنفسى يزيد المرض لكن الطبيب يعطينى الدواء المناسب والمفيد إلى أن يصل الإنسان إلى الحالة الروحية التى يقول عنها القرآن:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [٤٧ الحجر]

وعندما يصير إلى هذه الحالة يدخل دائرة الأخوة التى قال فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ واشوقاه لإخوانى، قالوا له : ألسنا إخوانك ؟ قال: أنتم أصحابى إخوانى قوم يأتون من بعدى آمنوا بى ولم يرونى } [٧]

متى يصل الإنسان إلى هذه الدرجة؟ بعدما يتخلص فى سره من كل عرض أو غرض أو مرض من أمراض القلوب حتى يصل قلبه إلى الحال الذى يقول الله ﷻ فيه:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء]

فإذا فرغ القلب من الشواغل والأغيار كان كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

فرغ القلب من سوانا ترانا ... يا مريداً جمالنا وبهانا
فجمالى يا من تريد وصالى ... لاح صرفاً فانهض إلى لقيانا
واعلُ فوق البراق ليلاً ... نتجلى ليلاً لمن يهوانا

جمالات الواصلين

فساعة أن نفرغ القلب نجد الله ﷻ أقرب إلينا من حبل الوريد، فما بال الحجب التى بيننا وبينه، ما هى ؟ هى تلك الحجب التى ذكرناها يا إخوانى، هذه كلما رفع حجاب كلما اقترب الإنسان من هذا الجمال، فإذا زالت الحجب كان كما قال الله ﷻ فى محكم التنزيل:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة]

وعندما يفتح القلب يصبح الإنسان فى دائرة الأخوة المحمدية، وينتظم فى عقد الكرام، ويواجهه المصطفى ﷺ بالتكريم والإنعام، ويبشره بما له عند الله ﷻ من على المقام، ويبدأ يخلع عليه الخلع الروحانية، ويفتح له أبواب التجليات الوهبية، ويبدأ

٧ رواه مالك فى الموطأ عن أنس

يشاهد سيدنا رسول الله ﷺ ويعشق هذا الجمال، فيدفعه العشق إلى التخلق بأخلاق رسول الله ﷺ بين الناس حتى يزيد القرب.

التحلِّى بالجمال المحمدى

ويبدأ بعد ذلك فى المرحلة التالية:

وهى التخلق بالأخلاق المحمدية، والتخلق بالأخلاق الإلهية، ويدخل دائرة:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ ﴾ [الفرقان]

إلى آخر هذه الآيات وغيرها من سور القرآن، وبهذه المجاهدات يكون قد وصل إلى العبادة القلبية، والعبادة القلبية عليها المعول الأكبر يا إخوانى فى المراتب العلية، فقد قال سيدنا أبو داود ﷺ وأرضاه عندما عاب عليه نفر من الخوارج هو وأصحاب رسول الله ﷺ أنهم لا يقومون الليل ولا يصومون النهار، فقال:

{ يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين } [٨]

فصاحب عمل القلوب يناله شئ من إرث سيدنا رسول الله ﷺ كمثل تنام عينى ولا ينام قلبى، ويتفضل عليه المتفضل ﷻ بحظ من السياحة الروحانية، التى تسوح فيها روحه ويسبح فيها قلبه فى عالم الملكوت الأعلى ليقتبس منه طرائف العلم والحكمة، وإلى

٨ أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن ابى الدرداء، وفى الزهد لأحمد بن حنبل رواه عويمر بن مالك الأنصارى، ووردفى تاريخ دمشق وفى الإحياء للغزالى وغيرها مع اختلاف ألفاظ.

ذلك الإشارة بقوله ﷺ فى شأن الإمام على ﷺ وكرم الله وجهه فيما ورد من معنى الحديث:

{ علىّ وإن كان ينام على الثرى إلا أن قلبه معلق بالملأ الأعلى }

وعن أحوال هؤلاء القوم فحدث ولا حرج !!!

ففيهم وعنهم يقول أبو العزائم ﷺ:

إن الرجال كنوز ليس يدريها إلا مراد تحلى من معانيها
فى الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم قلوبهم صفت والله هاديها
هم الشموس لشرع المصطفى وهمو سفينة الوصل بسم الله مجريها

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجملنا بجمال هؤلاء الرجال ...

وأن يكملنا بأحوالهم ...

وأن يواجهنا بأنوارهم ...

ويهذب نفوسنا بعلومهم ...

حتى نكون منهم ومعهم ...

وصلى الله وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

انفتاح عين البصيرة [٩]

المعانى الغيبية فى الإنسان

سعة القلب

حقيقة الإنسان

الصفاء بالمجاهدة

زينة الرحمن

جواذب الروح

مشاهدات عين السريرة

النظر بنور الله

مواطن الأسرار

---

٩ كانت هذه الفيوضا ت بمنزل الأخ طه عواد على بمدينة بنها مساء الخميس ٢٦ من جمادى الأول ١٤١٤ والموافق ١١ نوفمبر ١٩٩٣ م

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ
أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ
بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾

[١٠٨ يوسف]

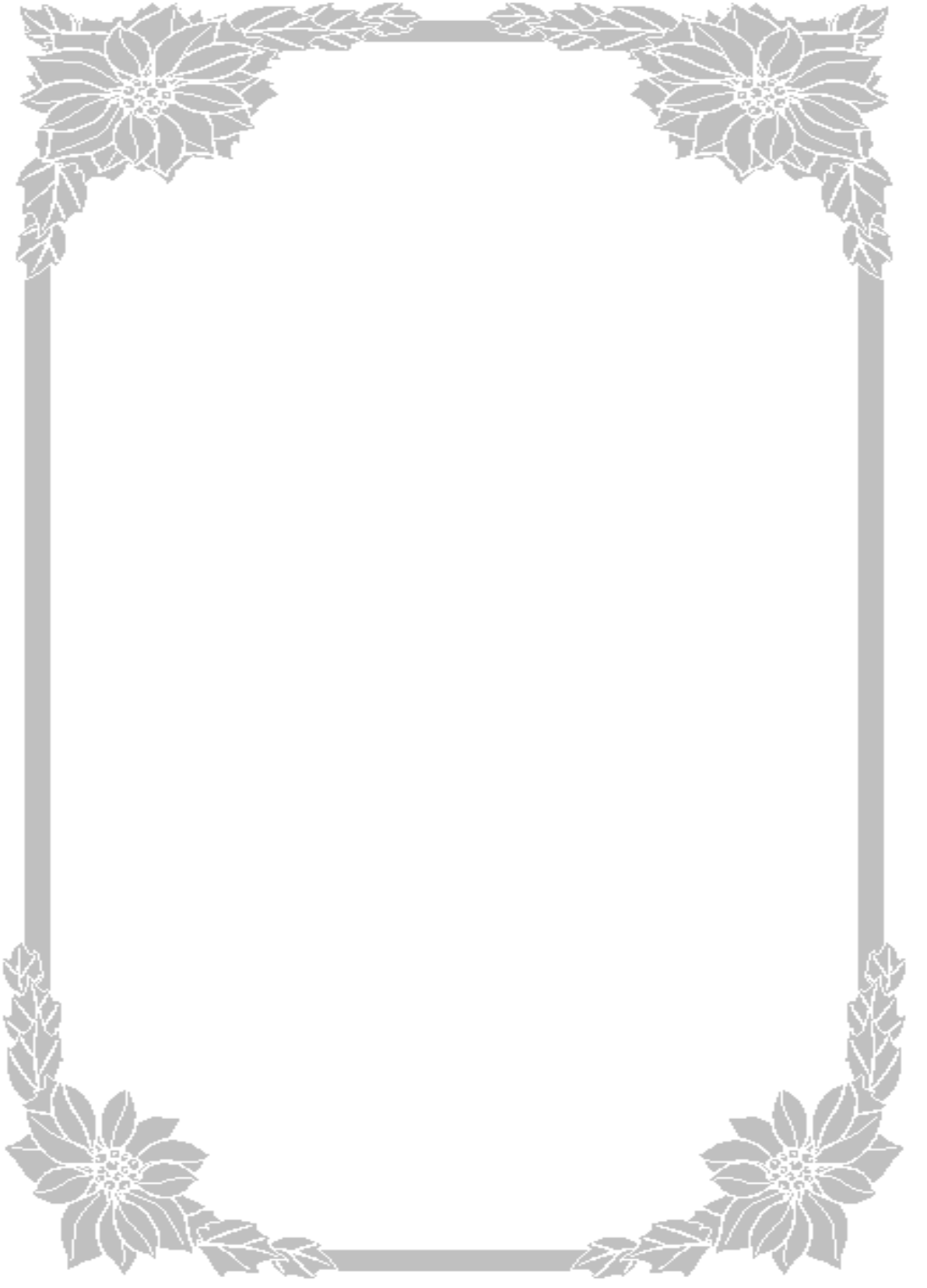

انفتاح عين البصيرة

المعانى الغيبية فى الإنسان

معناه غيبٌ ومبناه مشاهدة والفرد معنى وليس الفرد

كل إنسان يا إخوانى له معنى وله مبنى، وله ظاهر وله باطن، وله غيب وله شهادة، وله سر وله جسم ... كل إنسان ..

والمعانى الغيبية الموجودة فىَّ وفيك هى الأسرار التى حيرت الأولين والآخرين ولم يَكشف عنها السِتار إلا سيد الأولين والآخرين ﷺ ..

والعلماء بأجهزتهم ومعاملهم حاولوا أن يعرفوا سر القلب الذى فيه الحب والكره، والذى فيه البغض والود، والذى فيه الكرم والبخل، والذى فيه الإيمان والقرآن، أو والعياذ بالله (الكفر والشرك).. فلم يعرفوا. وأين هو العقل؟ الذى فيه الذاكرة، والذى فيه عالم الخيال، والذى فيه عالم الوهم، والذى فيه عالم التصور، والذى فيه عالم الإدراك.. أيضا لم يعرفوا أين هو العقل لأنه لا يدريه إلا خالق العقل والقلب. وأين هى النفس؟ وشحها ونزعاتها ونزغاتها وميولها وشهواتها وحظوظها وأهواءها.. كل هذا من أسرار الغيب الذى فيك من خالقك وباريك ﷻ.

فهم كَشَف الله لهم الظاهر فعرفوه ...، وإن كانوا لم يصلوا إلى المدى الذى من أجله ركب الله ﷻ الأعضاء وطورها وصاغها ... !!، لكنهم يحاولون على قدرهم أن يعرفوا الخصائص ... أو المميزات ... أو القدرات ... التى من أجلها أوجد الله ﷻ هذه الأعضاء الظاهرة[١٠]

١٠ ملحوظة : حدث فى هذه الأثناء أن قدم صاحب المنزل بلحاً لإخوانه ، فأشار الشيخ إلى السنة فى ذلك فقال: { من السنة يا إخوانى أن لا يضع الإنسان النوى فى الإناء الذى فيه البلح قال رسول الله ﷺ: " لا تضعوا النوى فى الإناء " (ابن سمويه ومحمد بن نصير عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما) هذه من سنة رسول الله ﷺ فى أكل البلح والتمر أو ماشبه،

سعة القلب

فالقلب الخاص بى وبك ما مدى سعته؟

إنه أكبر من السموات السبع ومن الأرضين السبع مجتمعة.. هذا هو القلب!

أما أين هو؟ أو ما شكله؟ أو ما حقيقته؟

هذه الأشياء لا تكيف بالعبارات، ولا ترمز إليها الإشارات، حتى أنهم لما سألوا الشيخ أبا يزيد البسطامى ﷺ وأرضاه عن بعض علوم المعرفة–وهذه من علوم المعرفة الخاصة التى تفاض من الله ﷻ على قلوب العارفين، ومن أين لنا أن نعرف هذه الأشياء إلا من العارفين لأنها ليست موجودة فى كتاب ولا يستطيع أحد أن يصل إليها إلا إن كان من أهل القلوب لأنها تحتاج الناس السياحين الذين لديهم أجنحة من ملكوت رب العالمين فيطيروا ويأتون على قدر وصولهم !!!

وهذه يسمونها السياحة الروحانية، يسوح بروحه وهو جالس هنا بجسمه–سألوه نريد أن نعرف مدى سعة قلب العارف؟ فقال لهم:

قلب العارف فيه ثلاثمائة وستون زاوية ... السموات السبع والأراضون السبع فى زاوية من هذه الزوايا الثلاثة مائة والستين، إذاً فما مقدار سعته هو؟!

هذه حاجة لا تكيف يا إخوانى ولذلك كل الذى يستطيع الإنسان أن يقوله كما قال الصالحون:

يا صورة الرحمن والنور العلى ... يا سدرة الأوصاف والغيب الجلى

فيك العوالم كلها طويت فهل ... أدركت سراً فيك من معنى الولى؟

ومن السنة أيضا أن الذى يوزع يوزع وتراً واحدة أو ثلاثة أو خمسة، فقد كان رسول الله ﷺ يوتر فى البلح بالذات، أو فى الفاكهة بصفة عامة ويقول: " إن الله وترا يحب الوتر " ويقول: " أوتروا يا أهل القرآن فإن الله وتر يحب الوتر " (رواه الطبرنى والبيهقي عن ابن مسعود ﷺ) فالذى يوزع يعطي ثلاثاً والذى يأكل كذلك يأكل وتراً

فالعوالم كلها موجودة فيك، فى جزء منك وأنت لا تدرى لأنك مشغول بالظاهر وتارك الحقيقة التى أنت بها إنسان.

حقيقة الإنسان

بماذا أنت إنسان؟

بالجسم؟ أبداً الجسم يذهب كما نعرف جميعاً، فالجسم يتحلل ويذهب إلى عناصر الأرض، إذاً فأنت إنسان بماذا؟ بمعناك ... فالمعنى هو حقيقة الإنسان يا إخوانى، وهذه هى حقيقة الإنسان التى يقولون عنها قلب الإنسان، مرة يقولون عنها روح الإنسان، ومرة يقولون سر الإنسان، ومرة يقولون عنها العوالم الخفية الموجودة فى الإنسان، كل هذه تعبيرات عن حالات الإتصال التى تتم بين الإنسان وبين العوالم الخفية التى فيك، ولذلك لو استطاع الإنسان أن يربط ظاهره بباطنه مثلما يفعل بعض الأفراد أو الصالحون فيحصل له الحاجات التى نراها هذه، لماذا هى تحصل؟ لأنه أصبح كما قال القائل:

رقَّ الزجاج وراقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر

يعنى أن الطين الذى منه الجسم ... هو الذى يحجبنى عن هذه العوالم الغيبية، قال الله تعالى:

﴿ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٥ ﴾ [ق]

الخلق الجديد، أما ذاك فما هو اسمه؟

﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ ﴾ [١٥ ق]

الخلق الأول الذى هو على صورة حضرة الأول ﷻ، صورة الرحمن عندما ينزل فى الأكوان ... مقتضى عالم أسباب الله فيه لا بد أن يحصل تسبب بين الرجل وبين

المرأة، ويحصل اختلاط عوالم الأسباب فيه الماء والتراب والطين والهواء وغيره حتى ينشأ الإنسان ويتعامل مع هذه الأسباب.

الصفاء بالمجاهدة

لكن الإنسان يظل وراء طينة الأسباب حتى يجعلها ترقى من عوالم الطين إلى عوالم النور، وهل الطين يمكن أن يصبح نوراً؟ نعم، فربنا أعطانا المثال ... فالزجاج مثلاً أصله رمل، ولكن عندما يدخل المعامل الحرارية ويتعرض للطاقة الحرارية بنفسه يشف ويظهر ما وراءه، كذلك الإنسان لما يدخل فرن القرآن متمثلاً فى المجاهدات التى فرضها على أهل القرآن سواء كانت المجاهدات الخاصة أو المجاهدات العامة فهذا هو الفرن أى فرن الجهاد الذى يقول الله فيه:

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾

بعد ذلك مباشرة يخرج من الفرن ..

﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ [٧٨ الحج]

فيأخذ وسام الإجتباء فوراً.

يدخل فرن القرآن ويوقد النيران بالإقتداء التام بسيد ولد عدنان ﷺ لأنه لا يستطيع أن يوقد نار المجاهدة بمفرده بل لابد وأن تكون على ضوء سيدنا رسول الله ﷺ، فإن الإنسان ممكن أن تتنابه حالة من اليأس أو حالة من القنوط يضيع فيها حاله، ولكن الذى يروح عنه أن يكون مجموعا على الحقيقة المحمدية فيراها ماثلة أمامه ويقيس بها أحوال نفسه، فكلما يتعرض لأمر من الأمور أو لمضيق من المضايق يزن حاله بحال السيد الأعظم صلوات الله وسلامه عليه فيمكث على هذه الحالة حتى تتبدل الطينة وتصبح زينة ويكون كما قال الله ﷻ:

﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [٣١ الأعراف]

يعنى بهذه الطينة لن تعرفوا أن تصلوا ولن تعرفوا أن تقرأوا القرآن أو تقدموا أى عمل مقرب لله ﷻ إذا دخلتم بهذه الطينة.

زينة الرحمـن

إذاً ما الذى ندخل به؟

ندخل بالزينة، وهذه الزينة من الذى زينها لك؟ حضرة الرحمن فى البداية فى الخلق الأول!!

فما الذى حصل؟

الغواش التى أتت هى التى ضيعت هذه الزينة، فمثلاً أنا بانى بيت، والبيت ما شاء الله مدهون بالزيت ومزين بستائر ونجف ولكن عليه تراب وعليه عنكبوت، أأتركه للضيف يأتى إلىَّ هكذا أم أنظفه أولاً؟!

وهذا المثل ينطبق عليك، فالبيت الذى فيك هو الحقيقة الإلهية التى فيك مزينة بزينة الله أى بنور الله وجمال الله وصفات الله والإيمان بالله كما قال الله ﷻ:

﴿ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ [٧ الحجرات]

من الذى زينه؟

الله ﷻ !!

فالقلب موضع زينة الرحمن فى بنى الإنسان .. وقد زينه الله من البدء بحقائق الإيمان ومعانى الإحسان وأسرار الإيقان، ولكن ما الذى حدث؟

لما جاء الإنسان ومشى فى عالم الدنيا حصل أن الغواشى بالشهوات والحظوظ والأهواء لطخت هذه الزينة، لكن الزينة موجودة والحمد الله، والحارس والحافظ حضرة

الله، لأن الشيطان لا يستطيع أن يمسها، يستطيع أن يضحك عليك ولكن لا يستطيع أن يسرق من بيت الرحمن الذى فيك، يسرق من خزينتك أنت لكن خزينة الله لا يستطيع أن يقربها:

﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ [الناس]

الصدور هى الأمور التى صدرت من القلب تطلع فى عالم الصدر لكى تنفذ!

لكنه لا يستطيع أن يقترب من القلب!!

عندما تخرج هذه التجليات أو الإلهامات أو الواردات من القلب للصدر حتى يعطى الأوامر للجوارح لتنفذ يدخل الشيطان، لكن هل يستطيع أن يقترب من القلب؟

لا ... لأنه بيت الله وقد زينه الله ﷻ!

فالقلب بيت حضرة الله الكريم الحنان ...

زينه بالإيقان وغرسه بآيات القرآن وآزره بسنة النبى العدنان وحفظه من الشيطان وجعل أهله يوم القيامة إن شاء الله فى أمان.

تأتى هذه الغواشى فتشغل الإنسان قليلاً، ولذلك قال ﷺ واحفظوا الحديث:

{ لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بنى آدم لنظروا فى ملكوت السموات } [11]

ما الذى يمنعهم من النظر؟ ... هى تلك الأمور !!

الطفل أول ما يولد تجده يرى هذه الحقائق، وسأعطيك مثالاً:

عندما يجتهد الإنسان فى طاعة الله فإنه يبشر فى منامه فأين يجد نفسه؟ أليس فى مقام من مقامات الهناء العلى؟

---

١١ رواه أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ

إما مع أحد الصالحين، أو مع سيدنا رسول الله، أو حول بيت الله، أو فى ملكوت الله، أليس هذا صحيحاً يا إخوانى؟

وعندما يكون الإنسان مشغولاً طوال النهار بالشهوات والحظوظ!!

فعندما ينام يجد نفسه مع ما هو مشغول به!!

فالذى أنت مشغول به هو الذى تراه فى منامك، كيف يكون ذلك؟ فحقيقتك تظهر عندما تنام، وطالما أنت فى اليقظة فهى محبوسة، أما عندما تنام فينفك العقال عنها وتبدأ تظهر الحقيقة التى هى أنت بها إنسان، التى هى قلب الإنسان.

فلو أن هذه الحقيقة توفر لها فى عالم الأكوان التموين النورانى من الذكر والفكر والإقبال على حضرة الله، ستُهنيك فى المنام، فإذا اجتهدت أكثر تصير اليقظة كالمنام ولا يوجد فرق، لكن إذا كنت طوال النهار مشغول، فعندما تنام الذى كنت فيه يأتى إليك، وهذه الحالة هى التى حذرنا منها سيدنا رسول الله ﷺ إذا واتانا النفس الأخير، وقال فى ذلك:

﴿ يبعث المرء على ما مات عليه ﴾ [١٢]

أى فالذى هو مشغول به فى النفَس الأخير هو الذى يقوم عليه، كيف هذا؟ مثلما يحدث فى النوم، فالذى ينام به هو الذى يراه فى المنام، كذلك الذى هو مشغول به هنا هو الذى يطلع به يوم الزحام.

فشواغل القلب يا إخوانى هى التى تقطع الخطوط النورانية، أو تضعف الترددات الإيمانية والنورانية بين حقيقتك النورانية وهيكلك الظاهر !!

هذا طالما الإنسان موجه وجهته إلى الأكوان!

لكن الإنسان إذا استطاع أن يأخذ نفسه برفق إلى الله ﷻ سيجد أن العوالم التى

١٢ رواه مسلم وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر رضى الله عنهما

فيه، والتى هى مملوءة ببضاعة الله ﷻ تجذبه ... تجذبه جذباً قوياً.

جواذب الروح

تجـذب الـروح الهياكـل فـى الصـفا أعلـى المنـازل
إن أداروا الـراح صـرفا أسـكرت عـال وسـافل

تبدأ الروح تجذب الإنسان نحو الله ﷻ، ولما تبدأ تجذب الإنسان يلاحظ أموراً غريبة كتلك التى يسمعها من العارفين، تبدأ الروح أولاً تعطى شعاع من عندها ينور هذه الأرجاء ... وهذا ما يسمونه شعاع البصيرة، فلو شعاع واحد من البصيرة أشرق على الإنسان، يحيى الإنسان فى طاعة الحنان المنان ﷻ، فتجد الإنسان بعد ذلك يتجه إلى الله، ويقبل على حضرة الله، ويعرض عن الدنيا وعن الحظ وعن الأهواء، حتى أنه بعد ذلك لما يجتهد أكثر تنفتح له عين البصيرة نفسها.

مشاهدات عين السريرة

وعين البصيرة يعنى عين القلب ..

لما تفتح عين البصيرة يرى الكون على ما هو عليه ...

يرى الحقائق على ما هى عليه ...

يعنى يرى حقيقة الدنيا ..

ويرى حقيقة المعاصى ...

ويرى حقيقة الطاعات ...

فيكشف هذه الحقائق لنا كمثل ما كشفها سيدنا رسول الله ﷺ فى الإسراء والمعراج، وإن كان دون ذلك فى هذا المقام لعلو منزلته وقدره ﷺ.

فينظر إلى الزانى ويرى حقيقته، وينظر إلى شارب الخمر ويرى هيئته، وينظر إلى آكل الربا ويدرك حالته، وينظر إلى آكل مال اليتيم ويرى بشاعة فعلته، هذه كلها حقائق يراها السالك فى طريق الله ﷻ إذا انبلجت عين البصيرة، وأصبح ينظر بعين السريرة، فيكون كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه :

بعين الروح لا عين العقول شهدت الغيب فى حال الوصول

يشاهد غيب الحقائق التى أمامه فى هذه الأحوال فعين البصيرة لما تنفتح يرى الإنسان، وكيف يرى الإنسان فى هذه الحالة؟ يكون فى طور الجهاد وطور الإصطفاء من المنعم الجواد ...

الإثنان معاً!! فلا ينفع الجهاد بمفرده!، ولا ينفع الاصطفاء بمفرده!

أنت عليك البداية وهو عليه النهاية!!

أنت عليك الجهاد وهو عليه الإمداد والتوجيه والإرشاد!!

وعندما يصبح هيكل الإنسان شفافاً ولطيفاً يبدأ يشعر بالأحاسيس الإيمانية التى يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

﴿ أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ﴾[١٣]

النظر بنور الله

هل ينظر بهذه العين؟ لا!!

فقد تذهب إليه وتقول له يا فلان أنا حصل عندى موضوع كذا، فما هو رأيك؟

ومع أنه لم يحضر ولم ير أو يسمع، لأنك فى بلدة ثانية، فإنه يقول لك: الصح كذا وافعل كذا أو لا تفعل كذا.

١٣ رواه البخارى والترمزى وابن السنى وأبو نعيم عن أبى سعيد رضى الله عنهما

فبأى كيفية رأى؟ لقد رأى بنور الله، والذى يرى بنور الله لا يحده مسافات ولا جهات ولا شئ من عوالم المادة التى تحجب نظر الحس الظاهر!!

وقد تذهب إليه أحياناً فيقول لك: يا فلان ارجع عن ذاك الموضوع، فكيف عرف هذا الموضوع؟ عرفه بنور الله، لأن الذى يرى بنور الله لا يرى بهذه العين وإنما يرى بكله، ينظر بنور الله ﷻ بكل حقيقة من حقائقه.

فلما ينظر بعين البصيرة، وعين البصيرة ترى بنور الله وليس بنور الشمس ولا نور القمر ولا نور الكهرباء، فنور الشمس لا نستطيع أن نرى على ضوءه الآن لأننا بالليل، ونور القمر لا نستطيع أن نرى على ضوءه إلا فى لياليه، ونور الكهرباء لا نستطيع أن نرى به إلا إذا كان مضاءاً، أما نور الله ﷻ فيكشف خفايا القلوب، ويكشف سرائر الغيوب، ويكشف كل شئ محجوب، ويراه الإنسان كما يرى كل شئ بعينه مكتوب !!

لأن نور الله ﷻ لا يغيب عن شئ ولا يخفى عن نور الله شئ:

فحدق أعين الإيمان وانظر ترى الأكوان تؤذن بالنفاد
فمن عدم إلى عدم مصير وأنت إلى الفنا لا شك غاد

فينظر الإنسان بنور الله، فلا تلتبس عليه حاجة فى ظلمات هذه الحياة ... سر قول الله ﷻ:

﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [٢٩ الأنفال]

فالفرقان يعنى النور!!

أى يجعل الله لكم نوراً منه سبحانه، فينظر العبد بنور الله إلى كل شئ، فلا يخفى عنه شئ لأنه يرى بنور من يقول للشئ كن فيكون .

مواطن الأسرار

فمثل هؤلاء الناس يا إخوانى قد تجاوزا مراحل الجهاد القلبية، ووصلوا إلى مواطن الأسرار، وهى لا تكون إلا بعد ثبات القلب على حالة واحدة وهى الصفاء الأول ... لأن مرحلة القلب هى التى يكون فيها الإنسان متقلب–وقد سمى القلب قلباً لأنه يتقلب–فإذا ثبت تقلبه على جمالات الدار الآخرة، وعلى جمالات الله الباهرة، ثبته الله، وإذا ثبته الله ﷻ يفتح له عين البصيرة.

من أجل ذلك لا يطمع أحد أن تفتح له عين بصيرته وهو مازال يتقلب فى أهواء الدنيا، وما دامت عينه تتطلع إلى أهواء الدنيا، وما دامت نفسه تراوده فى شهوات وحظوظ الدنيا، سر قوله ﷻ:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [١٣١ طه]

يعنى إياك أن تمد عينيك، فإذا قصرت طرفك على الله وأصبحت مشغولاً شغلاً كلياً بحضرة الله، ينطبق عليك قول سيدنا رسول الله ﷺ:

{ من جعل همومه همًّا واحداً كفاه الله عزَّ وجلَّ سائر همومه } [١٤]

فى هذه اللحظة يفتح الله لك عين القلب.

إذاً عين البصيرة لا تفتح إلا بعد ثبات القلب على الود والحب لله ﷻ، وعلى الصفاء والوفاء مع أهل الله ﷻ، وعلى الإقبال بل العكوف على سيد الأولين والآخرين ﷺ، وعلى الزهد والورع فى الدنيا وشهوتها وحظوظها وأهواءها، وفى سبيل ذلك لا بد لك من إختبارات يجريها عليك الله ﷻ آناً بعد آن، وتارة بعد تارة، حتى يرى ماذا أنت فاعل؟ فإذا ثبتَّ بعد هذه الإختبارات ونجحت، تكون المكأفاة لك من الله على يد سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ من باب قول الله ﷻ:

١٤ الزهد أحمد بن حنبل عن الأسود بن يزيد عن عبدالله، وتما م الحديث لمناسبته للفائدة: { ومن تشعبت به الهموم دون أحوال الدنيا، لم يبال الله عز وجل في أي أوديته هلك }.

﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [١٧٩ الصافات]

فمثل هذا يفتح له عين البصيرة سيدنا رسول الله ﷺ، لكن فى الحالة الأولى يتقلب، ولذلك يسع الكل ... يسع العوالم الدنيوية والعوالم الأخروية، والعوالم الكونية، والعوالم الروحانية، والعوالم الجنانية، والعوالم النيرانية، والعوالم العرشية ... كل هذه العوالم يسعها القلب، ولكن المهم على أى منها يثبت؟ هذا هو المهم، ومن أجل ذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ يقول له:

{ اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبى على دينك }

و (دينك) هنا يعنى–وذلك فى المعنى الخاص بها–أى أن الدين هنا يعنى الحب الخالص من سيدنا رسول الله لحضرة الله.

فإذا ثبت القلب تبدأ عين البصيرة بعد ذلك ..!

وبعد فتح عين البصيرة تظهر فى أفق القلب لوامع أنوار وبروق أسرار وشعاع أنوار وسحب علوم ومواهب ولطائف وأسرار يفيضها الله ﷻ من صاحب هذا القلب على المقربين والأحباب والأطهار والأبرار، وكل واحد منهم يأخذ بمقدار، والذى قدّر هو مقدر الأقدار ﷻ، ويبقى هناك بعد ذلك عالم عجيب وغريب لا يعلمه إلا حبيب، ويحرم من هذا الجمال كل إنسان معيب.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يواجهنا بجماله، وأن يكشف لنا عن حضرات أنواره وأسراره، وأن يجمعنا فى الدنيا والآخرة على الصالحين من عباده وأخياره

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد سر قبضة أنواره ومعدن لوامع أسراره وعلى آله وصحبه وسلم.

دسائس النفس

دسائس النفس

حكم الوقت وواجب الوقت

بدوات النفس

موازين الشريعة وقاية من خواطر النفس

بوادر النفس فى معاملة الأهل

التجرد من الهوى

عدالة الإسلام

تحقيق الخلافة عن الله ﷻ

فضيلة الإعتراف بالحق

قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم:

﴿ لَـــيْسَ عَـــدُوُّكَ الَّـــذِي يَقْتُلُـكَ فَيُـدْخِلَكَ اللَّـهُ بِـهِ الْجَنَّـــةَ، وَإِنْ قَتَلْتَـــهُ كَـــانَ لَـكَ نُـوراً، وَلكِـنْ أَعْـدَى الأَعْـدَاءِ لَـكَ نَفْسُـكَ الَّتِـي

بَيْنَ جَنْبَيْكَ ﴿١٥﴾

١٥ الْعسكري فِي الأَمثال عن سعيد بن أَبِي هلال مُرْسَلاً

دسائس النفس

دسائس النفس

﴿ أعدى الأعداء لك نفسك التى بين جنبيك ﴾[١٦]

النفس بالنسبة للناس الذين هم على شاكلتنا، والذين ساروا فى طريق الطاعة، وحفظهم الله من دواعى المعصية، وليس من المعصية نفسها فقط وإنما من دواعيها أيضا لأنه من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فكون الإنسان يتعرض لدواعى المعصية فإن هذا يجعل من الممكن أن يقع فيها، ولذا فنحن نأخذ الباب من أوله فنبتعد عن دواعيها، ودواعيها هى أسبابها المهيجة إليها أو الباعثة لها أو الموصلة إليها، فنبتعد عن هذه الأسباب كلها.

وأقامنا الله ﷻ فى ميادين الطاعة وفى أبواب العبادة وفى أسباب القرب من الله ﷻ وفى طرق الخير الموصلة إلى مراضى الله ﷻ فى الدار الآخرة، فتعجز النفس عن فتنة الإنسان وإغوائه عن طريق تزيين المعاصى والمخالفات، فتدخل للواحد منا من باب الطاعة، كيف يكون ذلك؟

قد تأتى الإنسان من جهة أمر من الأمور الواجبة عليه ..

مثل أمر السعى على المعاش وهو ضرورى ليكف الإنسان نفسه وأولاده عن سؤال الناس، أو إذا كان عنده فائض فسيعود به على الفقراء من المسلمين فيكون هو كنز الغنى لهؤلاء الفقراء والمساكين ..

والمفروض على المسلم القادر أن يكون كنزاً لهؤلاء الناس فيلجئون إليه فى وقت الشدة أو وقت الحاجة فيمدهم بما أمره الله ﷻ به، فتأتى إليه النفس وتقول له:

---

١٦ الْعسكري في الأَمثال عن سعيد بن أَبي هلال مُرْسَلاً

((إلى متى ستظل مشغولاً بهذه الدنيا؟ أترك هذه المصالح وما كان لك فسوف يأتيك)) وتأتى له بالآيات والأحاديث التى تؤيد ذلك، فيترك العمل ويجلس متفرغاً لعبادة الله ﷻ وهى عبادة صحيحة ولكنها هل هى الواجبة فى هذا الوقت؟

هناك عبادة واجبة وهناك عبادة أوجب.

حكم الوقت .. وواجب الوقت.

بالنسبة لهذه النقطة فالعارفون قالوا:

هنا مسألة فى فقه القلوب لا بد للسالك أن يعرفها، ما هى؟

قالوا هناك شئ اسمه حكم الوقت، وشئ اسمه واجب الوقت، ولابد للسالك أن يعرف حكم الوقت وواجب الوقت حتى يستطيع أن يفرق بين هذا وذاك، وقد ضربوا لذلك أمثلة ظاهرة شرعية كثيرة.

- مثــلاً :

- **حكم نشوب حريق أثناء صلاة الجمعة**

حان وقت أذان الجمعة، فما هو حكم الوقت؟

أداء فرض الجمعة، دخلنا المسجد حتى نؤدى حكم الوقت وساعة الصلاة بالضبط (لا قدَّر الله) حدث حريق فما واجب الوقت؟ إطفاء الحريق

هل نقدم واجب الوقت هنا أم حكم الوقت؟

واجب الوقت، هل نجلس نصلى فى المسجد ونقول أى أحد يطفئها؟

أو نقول كيف لنا أن نترك صلاة الجمعة؟ لا، لأنه هنا تكون الفطنة، وهنا يكون الفقه، لأن واجب الوقت الأولى أن نطفئ النار وبعد ذلك نصلى ظهراً وفى الأمر سعة، والله ﷻ قد وسع لنا فى هذه الأمور، لأن شريعة الله صالحة لكل الأحداث وكل الأزمنة وكل الأمكنة وكل المتغيرات التى يتعرض لها الإنسان فى حياته أو غيرها.

- **مثال ثان:**

- **حكم المرض المفاجئ أثناء الصلاة**

وأنا أؤدى صلاة الجمعة، وبعد ما كَبَّر الإمام وكبَّرت سقط أحد المصلين بجوارى، هل أكمل الصلاة أم أسلم لأنقذ الرجل الذى بجوارى؟

حكم الوقت هو الصلاة، أما واجب الوقت المفروض على أن أنقذ الرجل الذى بجوارى ثم أصليها ظهراً بعد ذلك، وستكتب لى جمعة بأعلى أجر حصل عليه فرد من الأفراد على ظهر الأرض لأن نيتى هنا هى إنقاذ أخى المسلم.

وهذه الأمور من المحكات التى تدخل النفس منها للإنسان، ولذا لابد أن يعرف الإنسان هذه المزالق.

- **مثال ثالث:**

- **حكم زيارتى للغير فى صوم النافلة**

وأنا رجل أصوم الإثنين والخميس وأصبح شبه إلتزام عندى صوم مثل هذه الأيام، فأصبح حكم هذه الأوقات بالنسبة لى هو الصيام، لكننى ذاهب لزيارة أخ فى الله وصادف يوم إثنين أو خميس!!

حكم الوقت بالنسبة لى هو الصيام، لكن واجب الوقت عندى أن أسمح لأخى أن يكرمنى، وأن يسعنى بما آتاه الله من الفضل!

إذاً الواجب على هنا أن أفطر، لماذا؟

حتى أَسُر أخى المؤمن ..

وإلا كما قال العلماء إن الذى لا يريد أن يفطر فعليه ألا يزور أحدا فى يوم صيامه حتى لا يغبن مسلماً، فإذا قدم لى شيئاً من الطعام أو الشراب وقلت له أنا صائم فجائز أن هذا الرد يكسر خاطره ويقول فى نفسه لأجل أنى رجل فقير فهو يستضعفنى

ويرى أنني لا أستط–يع القيام بالواجب، فنحن لا نعلم ما فى صدور الناس ولا نعرف ما الذى فى نفوسهم، فأنا هروباً من هذه الإشكالات كلها أفطر إذا كنت ناوياً أن أزور أحد من إخوانى المسلمين فى هذا اليوم، أو أجلس فى بيتى ولا أزوره إلا بعد المغرب !

أى بعد الإفطار، إلا إذا كان وهذه حالات نادرة لم يعد بينى وبين أخى كلفة وهو يعرف نظامى وأنه لن يجد حرجاً فى صدره كما أن نفسه لن تتغير، وهذه حالة استثناء للقاعدة وهذا موضوع آخر لا يوجد فى كل الحالات.

- **حكم استقبالى للضيفان أثناء صومى نافلة**
- **سؤال : إذا كنت صائماً وجاء أخى يزورنى فما العمل؟**

الجواب:

هذا الأمر يحتاج إلى الفطنة، فإذا وجدته أخاً لا يتأثر من صومى فلا مانع، وإذا وجدت أنه سيتأثر من صومى ولن يأكل إلا إذا كنت سآكل معه وأشاركه فأفطر من أجله وآكل معه ولى أجرى عند الله ﷻ.

وهذا الفعل هو الذى يفعله الصالحون إذا زاره أحد من إخوانه فيطلب الطعام، فيقولون له ألست صائما؟ فيقول لقاء الأحبة عيد، والعيد يحرم فيه الصيام، أى أن الإنسان لما يقابل إخوانه وأحباءه فهذا عنده عيد، والعيد لا يصح فيه الصيام حتى يطيب الوقت، وقت السلامات والتحيات كما كان يفعل أصحاب رسول الله ﷺ، كما يقولون عنهم:

﴿ وَلاَ يَفْتَرِقُونَ إِلاَّ عَنْ ذُوَاقٍ ﴾[١٧]

ذواق يعنى شئ يذوقونه ويأكلونه، وهى التى نسميها نفحة، فعندما نجتمع فى مجالس البر والخير فلابد أن يكون فى آخر المجلس نفحة، فهذه سنة أخذناها عن أصحاب رسول الله ﷺ، فقد كانوا يوزعون على بعضهم آخر كل مجلس يجلسونه شيئاً

١٧ رواه الترمزى فى الشمائل وفى جامع المسانيد عن هند

من الطعام أو الشراب !!

بلحة أو تمرة أو برتقالة أو أى شئ، لأنهم كانوا لا يفترقون إلا عن ذواق أى لابد أن يذوقوا شيئاً مع بعض يلتمسون فيه البركة (بركة هذا المجلس)،

لأن مجالس الخير هذه كل شئ موجود فيها تحفه البركة النازلة من السماء على أهل هذا المجلس، فالماء الذى فى المجلس يكون مباركاً، والشاى الذى فيه يكون مباركاً، والطعام الذى فيه يكون مباركاً سر قوله ﷺ:

﴿ يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ﴾[١٨]

فتنزل الرحمة على كل شئ موجود فى هذا المجلس.

- مثال رابع:

- حكم نداء الوالدين على الولد أثناء الصلاة

أصلى فى البيت، وأبى أو أمى نادوا علىَّ، حكم الوقت هو الصلاة ولكن واجب الوقت أن ألبى نداء الوالدين، ماذا أفعل؟

أنوى مفارقة الصلاة فوراً، وأسلم وأرد على الوالدين إذا كنت أصلى سُنة، وأرفع صوتى ليسمعونه ويعلمون أنى أصلى إذا كنت فى فريضة!

وحدث هذا مع سيد الأولين والآخرين ﷺ :

عندما دخل المسجد ونادى على أحد أصحابه، فأكمل الصحابى، ثم نادى عليه ثانية، فاستمر فى الصلاة، ثم نادى عليه ثالثة كذلك، وبعد الصلاة أتاه فقال: ما منعك أن تجيبنى إذ ناديتك؟

قال: كنت فى الصلاة، قال: ألم تسمع قول الله ﷻ فى (٢الأنفال)::

١٨) رواه ابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنهما

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

فلا بد أن تترك الصلاة وتجيب من فورك لأن إجابة رسول الله فرض أولى من الفرض الذى أنت فيه.

- مثال خامس:

- حكم الاشتغال بالأذكار والنوافل أثناء خطبة الجمعة

أرى بعض الناس الذين ليس لديهم انتباه، يكون الإمام على المنبر ويؤدى الخطبة وهو يمسك بالمسبحة ويسبح، أو يصلى على حضرة النبى، أو يشتغل بذكر الله ﷻ، وهو على يقين أن ذلك عين الطاعة مع أن الذى هو فيه عين المعصية، مع أنه ذكر الله !! ما المفروض عليه أن يفعله هنا؟

يستمع إلى المواعظ والعلم والحكمة.

فالملائكة أنفسهم عندما يرون الخطيب وقد طلع المنبر تطوى ما معها من صحف وترفع ما معها من أقلام وتجلس، لماذا؟ لسماع الخطبة، فكيف تشغل نفسك عن سماع الخطبة؟ مع أن الله ﷻ بين الحكمة من السعى إلى الجمعة فى قوله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ﴾ [٩ الجمعة]

فالسعى هنا ليس للصلاة، لأن صلاة الجمعة ركعتان وهى بديلة للظهر، والظهر أربع ركعات، وإنما السعى لذكر الله، والمقصود به هنا التذكير بالحكمة وبالموعظة الحسنة من الإمام على المنبر لإخوانه المسلمين.

فأنت هنا قد خالفت النهج القويم والهدى المستقيم وهو سماع درس العلم، مع أن درس العلم فرض والأذكار التى ترددها نافلة.

كذلك أرى كثير من الناس يدخلون المسجد فيجدون به درس علم قائماً، فيتركون درس العلم وينشغلون بأدء بعض النوافل، ولو بأن يؤدون تحية المسجد مثلاً، فنقول لهم: لا، لأن تحية المسجد سُنة، وسماع درس العلم فرض، فالواجب على الإنسان أن يجلس فوراً فى درس العلم ويستمع إلى العلم.

بدوات النفس

فهذه الأمور يا إخوانى وغيرها كثير تحتاج إلى الفطنة من السالك لبدوات النفس، ونوزاع النفس، وخواطر النفس، لأنها تحاول كما قال الإمام البوصيرى ﷺ وأرضاه:

كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لا يدرى أن السم فى الدسم

كم مرة تُحسن للإنسان هذا العمل على أنه طاعة، لكن هناك طاعة أوجب منه.

كم يأتى بعض الأخوان إلىَّ ويشتكون، ويقول: أريد أن أتزوج، فأقول: وما المانع مادمت مستطيعاً؟ فيقول: أبى ميسور الحال، وهو مُصر على أن يحج كل سنة، فنقول لمثل هذا: طالما أنك أديت الفريضة فعليك أن تزوج أولادك، وبالطبع فإن النفس تصور لمثل هذا أنه يقوم بأعظم العبادات وأنفس الطاعات، مع أن عين الطاعة هنا ما دام قد أدى الفريضة هو تزويج الأبناء، إلا إذا كان لا يوجد أحد من الأولاد متعرضاً للزواج أو مستعد للزواج، فالأمر هنا يكون مباحاً.

موازين الشريعة وقاية من خواطر النفس

فالسلامة من النفس يا إخوانى فى مثل هذه الأمور، تتطلب أن يكون الإنسان واعياً لكل خطرة توردها عليه، ومنتبهاً لكل لمة تقذفها فى صدره لأن النفس دعيت للسكون، وهى تريد الحركة، فحتى تتحرك فهى تريد أن ترسم لك أن هذه الحركة من عين الشريعة، وتأتى لك فى باطنك بدليل من القرآن ودليل من السنة أنَّ ما تفعله هو

الصحيح، بينما ربما يكون هناك شيئاً أصح!!

كيف يتأتى لى أن أزن مثل هذه الأمور؟

أعرض كل خاطر يجيش فى صدرى على الشريعة المطهرة وأزنه بها، فما وافق الشريعة أسارع إلى تنفيذه وما خالف الشريعة أسارع إلى الخلاص منه.

أما المتشابهات والتى لا أستطيع أن أتبين فيها الخطأ والصواب كالأمثلة التى ذكرناها فأعرضها على أحد العارفين المحققين فى درس علم كالذى نحن فيه الآن.

أين أجلس؟

الموازين كلها حدثت فى عهد سيدنا رسول الله، النبى ﷺ وهو جالس فى المجلس دخل ثلاثة ... الأول ظل يزاحم حتى جلس بجواره، والثانى جلس فى آخر الحلقة، والثالث نظر قليلاً ثم رجع من حيث أتى، فقال لهم: سأنبئكم عن ثلاثتهم ... أما الأول فأقبل على الله فأقبل الله عليه، وهو الذى ظل يزاحم حتى وصل إلى الأول، لأن هذه هى السُنة، السُنة أن يزاحم الإنسان فى مجالس العلم، وكانوا كما يقولون: كان أصحاب رسول الله ﷺ يزاحمون فى مجالس العلم بالمناكب والركب حتى يكونوا فى المواجهة على الدوام، أما الثانى فاستحى، فاستحى الله ﷻ منه، وأما الثالث فأعرض، فأعرض الله ﷻ عنه، لأنه نظر إليهم ثم رجع ولم يجلس معهم.[١٩]

ففى كل الأمور فأنت تقيس أمورك بموازين الشريعة ولا تكون جامداً، وهذا يتطلب أن يكون عندك فقه فى دين الله، وفهم لأحكام الله، وذوق لمعانى كلمات الله لأنك فى عبادة، ولكن جائز أن العبادة التى أنت فيها فوتت عليك عبادة توازى عمل الثقلين جميعاً لو كنت قمت بها فى هذا الوقت لله ﷻ، فأنت قد تركت الحظ الأعلى من العبادة للحظ الأدنى.

---

١٩ إشارة إلى الحديث: أَنَّ رَسُولَ الله، بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ والنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلاَثَةٌ. فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ الله وذَهَبَ وَاحِدٌ. فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى مَجْلِسِ رَسُولِ الله سَلَّمَا. فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا. وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ. وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِباً. فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله فَآوَاهُ الله. وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحَى فَاسْتَحَى الله مِنْهُ. وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عَنْهُ ، موطأ مالك

بوادر النفس فى معاملة الأهل

هذه هى بعض البوادر يا إخوانى التى قد تدخل النفس عن طريقها، وخاصة كما قلت لإخواننا فى المعاملات مع زوجتى ومع أولادى ومع جيرانى ومع أهلى ففى هذه الأمور تكون أكثر.

الطريقة المثلى لنصيحة الزوجة

مثلاً : زوجتى أخطأت معى أو فى حقى، وأنا أريد أن أؤدبها جيداً فأنتظر لما يأتى جماعة من أقاربها وأقول: هل يصح أن فلانة تعمل كذا وكذا؟ لأنى أريد أن أخزيها أمامهم، هل هذه هى الطريقة الإسلامية فى النصيحة؟ لا، فالنصيحة على الملأ فضيحة، إذاً ماذا أفعل؟ كما ورد فى الأثر عن أم الدرداء رضى الله عنها:

﴿ من نصح أخاه سراً فقد زانه، ومن نصحه جهراً فقد شانه ﴾[٢٠]

أى فضحه على رؤوس الناس، إذاً كيف أنصحها؟ بينى وبينها، ولهذا فإن رسول الله ﷺ حذرنا أن نسأل الرجل لمَ اختلف مع زوجته؟ أى لا يسأل أحد منا الآخر هذا السؤال، فإن هو حكى لك فلا بأس بذلك، وإذا لم يخبرك فلا تسأله عنه، لأنه قد يكون أمراً لا يستطيع الإفصاح عنه فتحرجه بسؤالك ذلك وتعرضه للعنت، وهذه أمور جعلها الله ﷻ فى طى الكتمان، فلا يطلع عليها إلا حضرة الحنان المنان ﷻ، وأنا يجب علىّ أن أعينه على كتمان مثل هذه الأمور.

معاملة الأب لابنه الراشد

وكذلك ابنى الكبير الذى بلغ سن الرشد، أقول لا ينفع معه التقويم إلا أننى أحرجه، كيف أحرجه؟ يأتى جماعة من أهلى وأقاربى، وأقول لهم: تعالوا، هل ينفع أن فلان يعمل كذا وكذا وقد أصبح رجلاً الآن؟ وهل الإسلام يوافق على هذه الطريقة؟ لا، بل قال: لاعبه سبعاً وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً وبعد الواحد والعشرين أترك له الحبل

٢٠ شعب الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

على الغارب، وهذا ما جاء فيما ورد من الأثر:

﴿ لا عبه سبعاً وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم ألق له الحبل على الغارب ﴾[٢١]

أى قل له لقد أصبحت مسئولاً عن نفسك من الآن، ولك مطلق الحرية فى تصرفاتك مادمت لا تتعارض مع شريعة الله ﷻ !

وبالطبع نفسى تقول لى إنك تفعل خيراً، فعلىّ أن أجيبها قائلا لكن ليست هذه هى الطريقة التى حض عليها رب الخير ﷻ.

التجرد من الهوى

ما الذى كان يسلم أصحاب رسول الله ﷺ فى مثل هذه الأمور؟

أنهم كانوا يهاجرون من هواهم، ويهجرون نفوسهم، فلم يكن للنفس عليهم سلطان، ولم يكن للهوى عندهم موضعاً !!

فهذا سيدنا عمر وقد قابل الرجل الذى قتل أباه الخطاب–وهو أمير المؤمنين– فقال له: إنى أبغضك–لأنه قاتل أباه–فقال الرجل: وهل تمنعنى حقاً هو لى؟ قال: لا، قال: إذاً الحب والبغض من شأن النساء،فهو ﷺ يبغضه لكنه لا يمنعه حقاً هو له، لأن هذا ما رباهم عليه منهج الإسلام، وأكده فى نفوسهم سلوك نبى الإسلام ﷺ.

عدالة الإسلام

فلو حدثت بينى وبين أخى أمور وصلت إلى درجة البغضاء، هل هذا يستوجب أن أمنعه حقاً شرعياً هو له؟ لا، لأن الحق شئ، والبغض والكره شئ آخر، ولنفرض أن هناك إبناً عاقاً لى وقد كرهته أشد الكره، هل هذا يعطينى الحق أن أحرمه من الميراث من أجل أنى أكرهه؟ أيضا لا، لماذا؟ كما يقولون: فابق للصلح موضعاً، يمكن فى يوم من

٢١ ورد من كلام على بن أبى طالب وود عن عبد الملك بن مروان.

الأيام يرجع، فلا تندم على الذى حصل، فلابد أن يكون هناك موضعاً للصلح.

حدث بينى وبين زوجتى خلاف هل يستوجب هذا أننى أمنعها حقوقها الشرعية كزوجة؟ لا، لماذا؟ لأن هذه الحقوق الشرعية يا إخوانى سواء بالنسبة للزوجة أو للوالدين أو للأبناء أو للأخوة وراءها مطالبة يوم الدين إلا إذا سامحونا.، فقد ورد فى الأثر كماء جاء بالإحياء للإمام الغزالى:

﴿ إذا كان يوم القيامة يشكو أهل الرجل الرجل إلى الله يقولون: يا ربنا خذ لنا بحقنا من هذا، يقول: لماذا؟ فيقولون: كان يطعمنا من حرام ولم يعلمنا أحكام الإسلام ﴾

أنت تظن أنك توسع عليهم فى المعيشة بأن تأتى لهم من هنا ومن هناك، وهم لا يدرون مصدره الآن، لكنهم يأتون يوم الدين يشكونك إلى الله ﷻ عندما يجدون أن عملهم لم ينفع .... لأن الذى يأكل الحرام عمله باطل وحابط !! ... فيرفعون عليك قضية هناك إلى الله ﷻ.

مثلها أيضا الإنسان الذى يمنع إبنه من الميراث، أو الذى يمنع إبنه من حق أعطاه لجميع الأخوة، أو يمنع زوجته من حق المتعة كما قال الله تعالى:

﴿ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ [١٢٩ النساء]

فإذا كان يريد أن يؤدبها فليؤدبها على حسب المنهج الذى وضعته الشريعة لذلك، كم هجر النبى ﷺ أزواجه؟ شهراً، فلا يجب على المسلم، مهما كان وضعه أن يزيد عن شهر وإلا فقد خالف هدى رسول الله ﷺ .. إذا كان هو نفسه يعلمنا عندما يريد أن يتعبد، لكنه نفل وليس فرضاً ... فينام معها أولاً ويتغطيا بغطاء واحد، ثم يستأذنها للعبادة، واسمعوا لحديث عائشة تقول:

{ أتاني ليلة فدخل معي في فراشي – أو قالت في لحافي – حتى مسَّ جلدي جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي" فقالت: قلت إني

أحب قربك لكني أوثر هواك فأذنت له }[٢٢]

أى أتسمحى لى–لأن هذا حقها أن ينام معها الليلة لأن هذه ليلتها، فلو تركها بدون إذنها يمكن تشتكيه إلى الله ﷻ.

فأنا متزوج واحدة، فحقها ليلة كل أربع (كل أربعة أيام) كأنك متزوج أربعة، فكل واحدة حقها ليلة إلا إذا كان هناك تسامح، لكن فى حالة الشقاق لا يكون هناك تسامح بل تشاحن، فلو كانت مشحونة من هنا فتشتكيك إلى الله ﷻ، والله ﷻ وعد وهو أصدق القائلين وأحكم الحاكمين بإحقاق الحق

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت]

لأنه لازم يعطى لكل ذى حق حقه قال ﷺ:

﴿ لَتُؤَدُّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. حَتّى يُقَادَ لِلشّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشّاةِ الْقَرْنَاءِ ﴾ [٢٣]

أى النعجة التى ليس لها قرون تشتكى التى نطحتها والتى لها قرون فيعطيها الله حقها يوم القيامة.

تحقيق الخلافة عن الله ﷻ

فالإنسان المؤمن إذا أحب عبداً من عباد الله ... إبنه أو زوجته أو جاره أو رفيقه أو أخاه فى الله، لا يؤديه هذا الحب إلى أن يعطيه فوق ما يستحق، وإذا أبغض عبداً من عباد الله أيا كان ... زوجته أو إبنه أو جاره أو أخاه فى الله أو رفيقه فى العمل، لا يؤديه هذا البغض إلى أنه يمنعه حقاً له من حقوق الله ﷻ، لماذا؟ لأن المؤمن مثال إسم الله ﷻ العدل، فأنت تنفذ إسم الله العدل فى الأرض:

---

٢٢ تخريج أحاديث الإحياء للعراقي أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله، ومن طريقه ابن الجوزي في الوفا، وفى الترغيب والترهيب قريب من ذلك.

٢٣ رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٣٠ البقرة]

فأنت خليفته، إذاً ماذا تعمل؟

﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [٢٦ص]

كيف ذلك؟ على وفق الشريعة!

يعنى لا تشرك ما بداخلك من أهواء ... وما بداخلك من نوازع ... وما بداخلك من فطر .... فى الواجبات والحقوق الشرعية والدينية والإسلامية الواجبة لجميع الناس سواء بسواء!! حتى أن النبى ﷺ حذرنا من ظلم أهل الذمة وهم الذين يسكنون معنا فى الوطن وليسوا معنا فى الدين لأن النفس قد تميل إلى ظلمهم فقال ﷺ: **﴿ من ظلم ذمياً أو معاهداً (المسحيين واليهود) أو انتقصه حقاً هو له فأنا حجيجه وخصيمه يوم القيامة ﴾** [٢٤]

لأن هذا غير مسلم، وقد تقول لك النفس: لا بأس أن أضحك عليه أو أغشه أو أخدعه فى هذه البيعة أو تلك، والإسلام لا يُجَوِّز لك ذلك، بل إنه يجعلك قائماً بالنيابة عن الله بالخلافة بتحقيق العدل فى دنيا الله ﷻ، فأنت قائم بالعدل حتى على نفسك قال ﷺ فى الحديث الشريف: **﴿ قُلِ الحَقَّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا ﴾** [٢٥]

فضيلة الاعتراف بالحق

كيف هذا؟ الإعتراف بالحق فضيلة!

هب أنك أخطأت ... ماذا عليك لو تعترف وتقول أنا أخطأت؟ ولكن كثير من الناس واقع فى هذا الأمر فى أيامنا هذه فيقول: كيف أقول إننى أخطأت؟! .... وما الذى عليك فى هذا؟!

---

٢٤ رواه أبو داود عن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ

٢٥ أخرجه أحمد وابن حبا ن عن أبي ذر ﷺ ، وأشتهر بين الناس بلفظ (ولو على نفسك) كما بالمقاصد الحسة للسخاوى.

إنها فضيلة من الفضائل!!

فالذى يعترف بأخطائه هنا أحسن من الذى يقر بها ويعترف بها فى الموقف العظيم هناك !!

لأنها هنا مبنية على السماح ...

أما هناك فهى مبنية على الفضائح والأرباح والحسنات والسيئات والمداولات، لأن هذا هو نظام الخصومات هناك !!

حتى أن الإنسان منا من باب العدل–وكلنا بشر وكلنا خطاؤون– ..

ما المانع أننى إذا أخطأت مع زوجتى أن أقول لها بعد فترة يا فلانه سامحينى أنا أخطأت فى حقك كذا وكذا؟ حتى تسامحنى ..

نحن قد نستكبر !! .. لكن كُمل الرجال لا يستكبرون عن هذا ..

بل أكمل الأولين والآخرين ﷺ جاء على الملأ وقال:

﴿ فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرَاً فَهذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ مِني، أَلاَ وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضَاً فَهذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِني، وَمَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَهُ مَالاً، هذَا مَالِي لِيَسْتَقِدْ مِني، لاَ يَقُولَنّ رَجُلٌ إِني أَخْشى الشّحْنَاءَ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللَّهِ، أَلاَ وَإِنّ الشّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَتِي وَلاَ مِنْ شَأْنِي، أَلاَ وَإِنّ أَحَبّكُمْ إِلَيّ مَنْ أَخَذَ حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ، أَوْ أَحْلَلَنِي فَلَقِيتُ اللَّهَ وَأَنَا طَيبُ النّفْسِ، أَلاَ وَإِني لاَ أَرَى مُغْنِيَاً عَني حَتى أَقُولَ مِرَارَاً، يَا أَيُّهَا النّاسُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَرُدّهُ، وَلاَ يَقُلْ فُضُوحُ الدّنْيَا، أَلاَ وَإِنّ فُضوحَ الدّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ فُضُوحِ الأَخِرَةِ ﴾ [٢٦]

أى كل واحد أنا ظلمته فى كلمة، أو ظلمته فى مال ... وهو ﷺ لم يظلم أحداً

٢٦ الطبرانى الكبير وَالأَوْسط بنحوِهِ ، وَأَبُو يعلى بنَحْوِهِ عَنِ الْفضل بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، جامع المسانيد والمراسيل أخرجه مسلم من حديث أنس ﷺ

ولكنه يعلمنا أنه لا يكبر على الحق إلا الحق وهذا فى مصلحتى أنا!!

فالنفس قد تقطع الإنسان بتكبرها!

فكونها توقعنى فى هذا الخطأ فهى تريد أن تحرجنى يوم القيامة !!!

لكن هذا الآن سهل! والبشر من طبيعتهم حب الإحسان ... فلِمَ لا أذهب لأخى أو لأختى أو لإبنى وأقول له سامحنى فأنا أخطأت بهذا التصرف فى حقك !!

فإنه سيقول بكل رضا: سامحتك ..

وأكون بذلك قد علمته الأدب فى مثل هذه المواقف عندما يتعرض لها لأن هذا الأدب ربَى عليه رسول الله ﷺ أصحابه الكرام.

فالنفس يا إخوانى ....

هذا نظامها!!

ويحجبها عن الحق دائما إعجابها بالرأى مع أن رأيها قد يكون خطأ أو أن يكون رأيها غير مصيب ...!!!

وهذا من علامات يوم القيامة ... إعجاب كل ذى رأى برأيه.

لكنا نحن جميعاً يجب أن نتفق على الإعجاب برأى واحد فقط:

وهو رأى رب العالمين ورأى سيد الأولين والآخرين.

ونحن بعد ذلك آراؤنا كلها تبع، نخطئ ونصيب، لكن الكلام الذى لا يخطئ ولابد أن يصيب هو قول الله ﷻ وقول النبى الحبيب ﷺ.

فنحن يا إخوانى فى أمس الحاجة إلى معرفة مثل هذه النوازع:

لكن الأساس فى هذا هو الصدق من أنفسنا فى هذه الأمور لأنك الأمين على نفسك، فتصدق فى نفسك مع نفسك فى المعاملات حتى تنال مقام الصديقية العظمى

عند الله ﷻ.

ولذا فإن الصديق ﷺ وأرضاه كان لا يكبر عنده شئ مثل الحق، ويقول لهم:

{ الصدق أمانة، والكذب خيانة،
الضعيف فيكم القوي عندي ...
حتى أزيح عليه حقه إن شـــاء الله،
والقوي فيكم الضعيف عندي ..
حتى آخذ منه الحق إن شاء الله }[٢٧]

أى لا ضعيف و لا قوى إلا بالحق!

فلا صغير ولا كبير إلا بالحق.

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بجمال أهل الحق!

وأن يرزقنا فى سيرنا وسلوكنا إليه كمال الصدق!

وأن يجعلنا من عباده المخلصين!

وأن يرزقنا مقام الإخلاص الخاص الذى ذكره قى قرآنه المجيد!

وأن يجعلنا من عباده المخلصين!

وأن يجعلنا روحانيين فى حركاتنا وسكناتنا!

وقرآنيين فى تصرفاتنا ومعاملاتنا!

ومُحَمَّديين فى أخلاقنا وتوجهاتنا

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

٢٧ جامع معمر بن راشد عن معمر وفى مصنف عبد الرزاق الصنعانى

فوائد صحبة العارفين

من البدع المصرية القديمة (وفاء النيل، شم النسيم)

نسيم الحبيب ﷺ

الأحبة حملة عطر المحبة

علاج أمراض القلوب

انفتاح عير البصيرة

سماع الحقائق

التحدث مع الملائكة

المكالمة والمحادثة

مقام التصرف

سر صحبة الصالحين

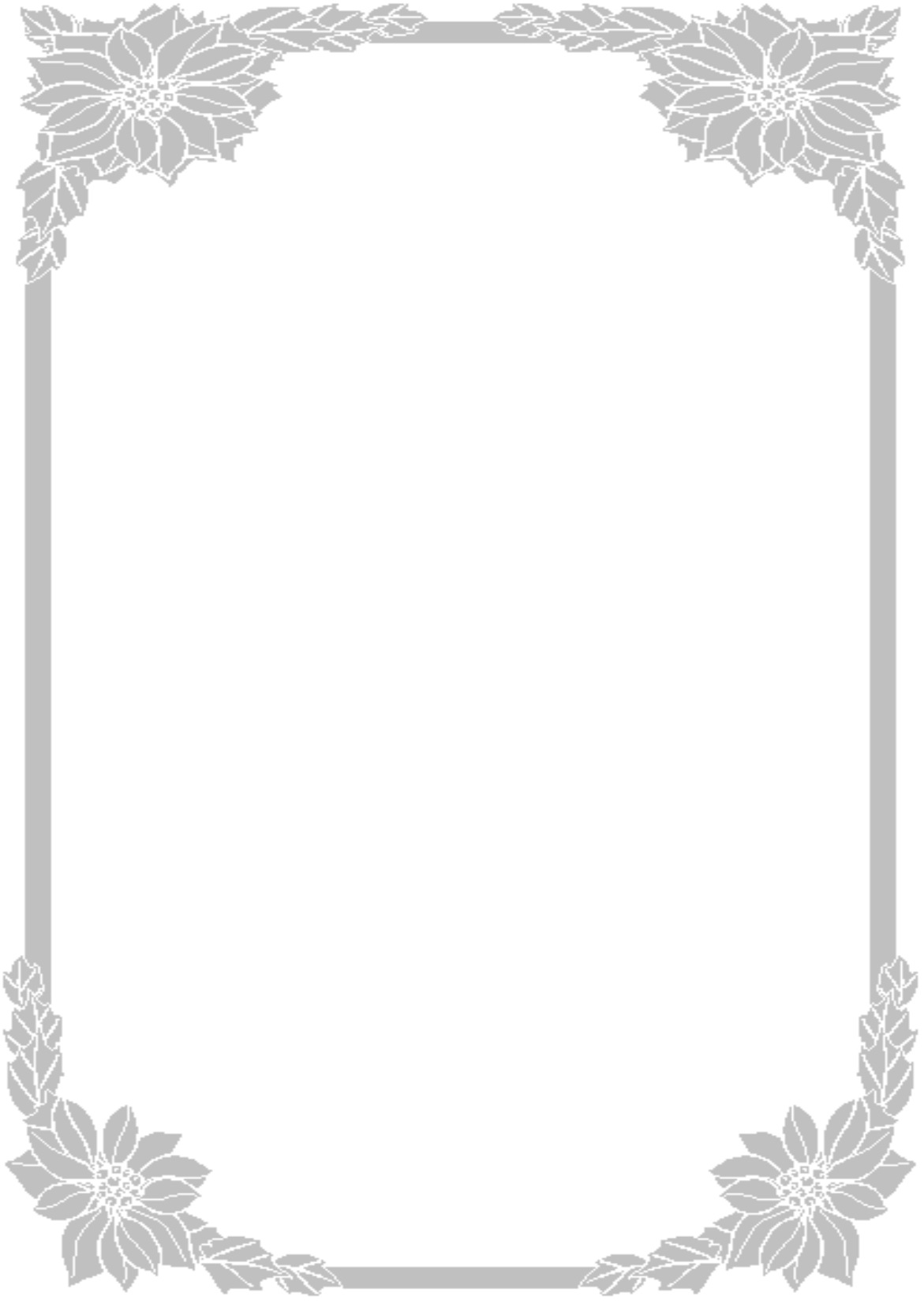

قلوبُ العارفين لها عيونٌ
ترى مالا يراه الناظرون
وأجنحةٌ تطير بغير ريشٍ
إلى ملكوت ربِّ العالمين

فوائد صحبة العارفين [٢٨]

من البدع المصرية القديمة

- نريد توضيح كيفية شم النسيم بالنسبة للمؤمنين

أولاً : هذا ليس عيداً لنا يا إخوانى، لأنه عيدٌ وارد عن قدماء المصريين، فكان المفروض أن ينتهى بعد مجئ الإسلام.

وكل الأعياد التى كانت خاصة بالقدماء لما جاء الإسلام أنهاها وأبطلها.

بدعة وفاء النيل

وقد ضرب لنا مثلاً أعظم فى ذلك فقد كان هناك عيدٌ إسمه عيد وفاء النيل وحتى الآن يكتب فى نتائج التقويم، وإن كان لا يوجد أحد يحتفل به الآن ..

ماذا كان يحدث فيه؟

يقولون: أن نهر النيل كان يجف–يعنى فى فترة الجفاف–ولا تأتى المياه إلا إذا اختاروا بنتاً تكون ملكة جمال، وتكون مازالت بكراً، ويلبسونها أحسن زينة، ويحلونها بالذهب، ويرتبون احتفالاً عظيماً جداً عند الروضة فى مصر، ويلقونها فى خضم النهر!!

فقال أحد الحاضرين: وتموت؟ نعم تموت،! وبعد ذلك تأتى المياه، ويأتى الفيضان أيضاً كما كانوا يعتقدون؟! نعم .. هكذا الشيطان!!.

ولما فتح سيدنا عمرو بن العاص مصر وجد هذا الأمر وقالوا له النيل ووفاء النيل، قال لهم: هذا الكلام لا يجوز، فلما أكثروا عليه الكلام احتار، فأرسل إلى سيدنا عمر ﷺ فقال: نِعم ما فعلت!

---

٢٨ كان هذا الدرس بالمجلس بالجميزة – مركز السنطة – غربية بعد صلاة العشاء بمناسبة شم النسيم فى مارس ١٩٩٤.

وكتب له ورقة صغيرة–حتى تعرفوا أن الكرامات موجودة من قديم ومن أيام الصحابة، ولا تسمعوا للجماعة المنكرين الذين ينكرون الكرامات–قال له خذ هذه الورقة ووقت الإحتفال تعمل إحتفالاً وبدل أن يلقوا بالعروس! إلق هذه الورقة!

وهذه الورقة عبارة عن رسالة بسيطة مكتوب فيها:

{ من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر: إذا كنت تجرى من عندك فلا حاجة لنا بك–لسنا نريدك–وإذا كنت تجرى بأمر الله فسر على بركة الله }

فأقام سيدنا عمرو بن العاص الإحتفال وجمع الناس ..

واجتمعت خلائق لا حصر لها يريدون أن يتفرجوا، والناس دائماً تحب الإستطلاع، والنيل كان فى القاع وليس فيه مياه إلا قليلاً !!

فألقى عمرو بن العاص الورقة فى النيل!، ومن عجب أنه فى نفس اليوم ارتفع النيل حتى غطى المقياس أى مقياس النيل العالى الذى يقيسون به إرتفاع المياه فى النيل!

لماذا؟

حتى تبطل هذه العادة الجاهلية.

بدعة شم النسيم

ومن ضمن هذه العادات تلك العادة التى نحن بصددها: عادة شم النسيم.

وهذا الشئ ما أنزل الله به من سلطان، وما يحصل فيه لا يرضى عنه الرحمن .

طبعاً أنا لا أتكلم عما يحدث عندنا فى القرى فإنه لا يحدث عندنا شئ والحمد لله، إن كان الناس تأكل أو تشترى حاجة فهو أكل، ولكنى أتكلم عما يحدث فى المدن فى هذا اليوم من المهازل والمساخر والمساقط التى تحصل، هذه كلها تستوجب غضب الجبار سبحانه وتعالى، ولولا بقية من الصالحين يرحم الله بهم العباد!!

ولذلك كان الإمام أبو العزائم ﷺ وكان فى القاهرة لا يخرج من المنزل فى هذا اليوم ويقول: هذا يوم الشيطان، وذلك لكثرة المنكرات التى تحدث فى هذا اليوم من الجاهلين والمنحلين، وهى أشياء نمتنع عن ذكرها لظهور فسادها.

نسيم الحبيب ﷺ

إذاً ما شم النسيم بالنسبة للمؤمنين؟

النسيم بالنسبة للمؤمنين هو الروائح الزكية التى تهب على القلوب من الحبيب المحبوب ﷺ فتحرك القلب إلى حضرة علام الغيوب سبحانه وتعالى، وهذا هو نسيمنا، وهذا الذى كان يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

يا نسيماً من رياض المصطفى بالتهانى مرَّ ينبى بالوفا

نسيم يأتى من الرياض والحدائق !!!

حدائق من؟ حدائق ورياض رسول الله ﷺ، وليس من حدائقنا التى عملناها، بل إنه آت من حدائق رسول الله !!

وهذا النسيم أو رائحة رسول الله ﷺ هذه لوشمها إنسان !! يمكن يتوه عن العالم كله ... !!! لأن رائحة رسول الله ﷺ كانت تشمها الملائكة فى الملكوت الأعلى!

فعندما كان يمشى فى شارع من شوارع المدينة كان الشارع الذى يمر به تنبعث منه رائحة عطره وذكية!

حتى أنه عندما يأتى أحد يبحث عن رسول الله يعرف أنه مرَّ فى هذا الشارع من رائحته الذكية ﷺ، والرائحة تفوح فى الشارع كله فيظل ماشياً متتبعاً تلك الرائحة حتى يصل إلى زهرة النبوة ﷺ.

وإذا سلم على أحد تظل رائحة كفه ﷺ فى كف هذا الإنسان لمدة أسبوع!

وكذلك إذا وضع يده الشريفة على رأس طفل صغير يظلون يشمون رائحة رسول الله فى هذا الطفل لمدة أسبوع !!

فكانت رائحة رسول الله ﷺ ولا زالت هى الرائحة التى تنعش القلوب.

فنحن الآن إذا أغمى على إنسان، ماذا نفعل؟ نشممه رائحة حتى يفيق.

كذلك إذا أغمى على إنسان، بمعنى أن الدنيا تغمى عليه الأمور فلا يعرف الإيمان، ولا طريق الإيمان، ولا طريق الإستقامة، ما الذى يجعله يفيق من هذه الحالة؟

لا توجد إلا رائحة رسول الله ﷺ، فإذا شم رائحته ﷺ فيفيق، ويعرف الطريق المستقيم، ويهتدى إلى نهج الصالحين، ويسير إلى الله ﷻ.

الأحبة حملة عطر المحبة

رائحة رسول الله ﷺ أين نشمها الآن يا إخوانى؟

الرائحة العامة هذه نشمها فى الورد، فأين نشم رائحة رسول الله ﷺ؟

عند الصالحين ..

ففى الحقيقة هم الأزهار والورود والرياحين الذين أقامهم الله فى الوجود والتى تشمها القلوب فتهيم حباً وتيهاً فى حضرة علام الغيوب ﷻ.

ولذلك فأحد الصالحين أحب أن يُعَرِّف أولاده الأولياء وأحوالهم، وأنه ليس بينهم خلاف، فأخذهم فى يوم ونزل بهم إلى الحديقة، وجلسوا ساعة يراقبون الأزهار والورود التى فى الحديقة، ثم سألهم: هل ترون هذه الأزهار؟ قالوا: نعم، فقال: هكذا الصالحون كلهم أزهار وكلهم ورود وكل واحد له رائحة خاصة وله طعم خاص، ولكنها كلها جميلة المنظر عطرة الرائحة فى مشام الحاضرين.

هذا هو نظام الصالحين ﷺ وأرضاهم.

فهم الذين نشم منهم رائحة رسول الله ﷺ-يعنى رائحة القرب من رسول الله!!

فنشم فيهم رائحة أخلاقه ... ونشم بهم رائحة أعماله ...

ونشم منهم رائحة صفاته ... ونشم بهم رائحة مقاماته ...

ونشم عليهم رائحة مكاناته ﷺ ... فنشتاق إلى مثل هذه الأمور.

ما الذى يجعل الإنسان يطلب هذه الأمور؟ .. عندما يسمع عنها.

لكن ما الذى يجعله يشتاق أكثر؟ عندما يسمع عنها من أهلها ..

فهذا يجعله يشتاق إلى أحوال سيدنا رسول الله ﷺ فيبحث عنها ويحاول الوصول إليها وهذا ما قاله أحد الصالحين:

ريحانة الرحمن عُبّاده وشمَّها تقبيل أيديهمو

رياحين ربنا ﷻ التى زرعها للناس تشمها القلوب، ما هى؟

هم الجماعة الصالحون.

ولذلك لما يجلس الإنسان معهم و يشم رائحتهم المعنوية ويلمس أحوالهم العلية لا يتذكر الدنيا ولا يفتكر المشاكل ولا يفتكر حتى أهل ولا ولد !!!، بل ينسى هذا الكلام كله وهو جالس معهم ..!!لأن هذه الرائحة تسكره ..!!

علاج أمراض القلوب

هذا بالإضافة إلى أن الله ﷻ يعالجه بالجلوس معهم من الأمراض التى تمنع الإنسان من الإقبال على حضرة الله.

ما الذى يجعل بعض الناس عندما يستمعون لإذاعة محطة القرآن يتضايقون ويقولون غيِّر يا أخى موجة المذياع هل ستجعلها مَحْزنة؟ هات لنا أغنية أو أى شئ آخر ... هذا لمرض أصيبت به أذنه !!

ولكنها أذنه الداخلية – الباطنية – أذن القلب الداخلية، فلا يريد أن يسمع شيئاً يفكره بالمصائب والمشاكل والذنوب التى هو فيها، ولا يريد أن يعيش فى هذا الغم فى نظره على الدوام !!

ما الذى يجعل الإنسان ينظر فى الصحيفة وفى المجلة ولا يمل؟ وإذا نظر فى كتاب الله ولو فى صفحة واحدة أو آية واحدة يضيق صدره ويمل ويتركه وينصرف ماشياً؟

هذا أيضا مرضٌ فى العين الداخلية، يجعلها تظل تنظر وتتمتع بما تراه فى الشارع، فتنظر إلى الذاهبة والآتية ساعات طوال ولا تمل، لأنها معاصى فهى تتمتع بالنظر إلى المعاصى، ولكنها تنفر من النظر إلى الطاعات.

هذه كلها يا إخوانى أمراض تمنع الإنسان من القرب من الله سبحانه وتعالى.

كيف يعالج الإنسان منها؟

بجلوسه مع الصالحين، لأنهم أطباء القلوب الذين أقامهم الله ﷻ فى الكون لعلاج الناس من هذه الأمراض ومن هذه الأخطار، ويجعلون الإنسان عينه صحيحة.

وماذا يقصد بالعين الصحيحة فى نظر الله ﷻ؟

عين صحيحة فى نظر الناس يعنى تنظر بدرجة ستة على ستة، أليس كذلك؟ لكن العين الصحيحة فى نظر الله ليس هذا شرط لها، ولكنها لا تنظر إلا إلى ما أحله الله ... هذه هى العين الصحيحة!! لكن الجماعة الذين عيونهم ستة على ستة، ولكنهم ينظرون إلى المعاصى، ماذا قال فيهم الله:

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [الأعراف]

فهؤلاء الكفار يحدقون فيك ولكنهم لا يبصرونك، هل كانوا لا يرونه؟ كانوا يرون الجسم!! لكنهم لا يرون المعانى التى وضعها ربنا ﷻ فى هذا الجسم، ولذلك كانوا يقولون ما الفرق الذى بيننا وبينه؟

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۚ ﴾[٧ الفرقان]

إنه مثلنا يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ولا فرق بيننا وبينه.

أما العين الداخلية فقد قال الله ﷻ فيها:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [٤٧ الحج]

إنفتاح عين البصيرة

إذاً عين القلب من الذى يعالجها يا إخوانى؟

أين هى المستشفى– فى العالم كله – التى تعالج هذه العين؟ أرونيها، وأين هى؟

والذى يريد أن تنفتح له عين القلب .. لماذا يطلب ذلك؟

لأن عين القلب إذا انفتحت ترى الغيوب!

فأول ما ترى ترى الكون كله، وبعد ذلك ترى الملكوت ... السماء الأولى والسماء الثانية، بعد ذلك ترى العرش، وترى الكرسى، وترى كل شئ لأنها عين لا نهائية صارت تبصر بالله:

﴿ كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ﴾[٢٩]

أين المستشفى التى تعالج هذا المرض؟ و أين الطبيب الموجود حالياً ويعالج هذه العين؟ لا يوجد !!، فأطباء العالم لا يعرفون حتى أين هى من الجسم؟

فعين البصيرة هذه .. هل لها مكان ظاهر فى الجسم؟ .. لا ..!! لأنها شئ معنوى، من الذى يعرفه؟ الذى يعرفه هم أطباء القلوب الذين تخرجوا من جامعة سيدنا رسول الله ﷺ وصدر لهم شهادة دكتوراه معتمدة من رسول الله، وغيرهم لا يوجد فى الوجود

٢٩ متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ

بأسره أحد يعرف عن البصيرة شيئاً غيرهم!

هل من طبيب آخر يستطيع أن يعالج عين البصيرة إلا هم؟!

وهذا هو التصريح الذى قال فيه الله لرسوله:

﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [٤٦ الحج]

أى افتح لهم أعينهم حتى يروا ..

لأنك أنت الذى معك المرهم والقطرة التى تفتح هذه العيون ولا يوجد أحد سواك ..!! فرسول الله ﷺ علَّم صفوة فى كل زمان ومكان ليعالجوا الناس من هذه الأمراض ... وهذا العلاج يا إخوانى ليس من أدوية وعلاجات ظاهرة لكنه يتطلب أشفية باطنة.

فسيدنا موسى عليه السلام أول ما ناجى الله ﷻ فى مقام المكالمة ... رجع بعد ما شاهد أنوار الله ليرى النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء على مسافة إثنى عشر كيلو متراً، فلو نملة سوداء فى ليلة مظلمة جداً على مسافة إثنى عشر كيلو متراً يراها !!!!

أين هذه القطرة التى تعطى هذا النظر الحاد جداً؟

لا يوجد إلا قطرة الأنوار الإلهية !!

التى إذا جاءؤنا ومرروها على العين تنفتح فى الحال، ... أو الأشعة النورانية وليس أشعة الليزر ... فيعالجونه هكذا بانتظام بما آتاهم الله من الأشعة النورانية، فيأتون للمريد كل حين بلمسة نورانية خفيفة على عين الفؤاد ... حتى تنفتح عين الفؤاد ... فيصير كما قالوا:

قلوب العارفين لها عيون ... ترى مالا يراه الناظرون

وأجنحة تطير بغير ريش ... إلى ملكوت ربِّ العالمين

فتكون مثل عين سيدنا عمر لما وقف فى المدينة ورأى قائده على مسافة أربعة آلاف كيلو متر ... فعينه كانت سليمة وأيضاً الهاتف عنده كان سليماً، قال له: يا سارية فأجاب لبيك يا أمير المؤمنين، قال: الجبل، كيف هذا؟!

استخدم هذه العين الداخلية–العين القلبية–والتى أعطاها الله ﷻ لنا جميعاً، فهى موجودة معنا لكنها تحتاج العلاج حتى تستنير هذه العين والحمد الله موجودة فينا كلنا.

ولذلك فإن الطفل الصغير قبل النطق يرى من عوالم الله ومن غيوب الله ومن ملائكة الله ما لو رآه مثلنا لصعق لأنه لا يزال سليماً معافى، فهو يرى الملائكة الصاعدة والملائكة النازلة والحفظة الذين معنا، يرى كل هذا، وساعة ما يتعلم النطق تبدأ هذه العين تقفل مرة أخرى، ولا تفتح بعد ذلك إلا بعد أن يتعالج الإنسان.

وأثناء العلاج لابد وأن يمشى فيه بالتدريج مع التمكين ... لأنه لو فتحت العين مرة واحدة يتجنن !! ... كما نرى بعض الناس وهو ماشى فى الطريق يقولون أنه جذب مرة واحدة.

وجذب يعنى هنا أن عين القلب فتحت مرة واحدة فى عالم الملكوت، وعندما يرى غرائب الملك وعجائب الملكوت يتوه، فينسى الدنيا وينسى الناس، وقد يمشى حافياً أو يمشى عرياناً، ولا يبالى بطعام أو شراب ولا حر أو برد ولا ليل أو نهار، لماذا؟

لأنه خرج فجاة من الحالة البشرية إلى الحالة الملكوتية وبدون مقدمات، فغطت عين البصيرة على عينه الحسية لشغله بالكلية بعالم الملكوت.

لكن رسول الله ﷺ يعالج أولاده الكُمل بالتدريج حتى لا تطغى نورانيتهم على بشريتهم ولا تحجب بشريتهم نورانيتهم، فينظرون بالعينين، ويتمتعون بالمشهدين، ويتمكنون فى المقامين .

فهذه العين ... العين النورنية هى يا إخوانى الهدف الرئيسى من صحبتنا للصوفية، لكى يعطينا ربنا هذه العين، ويفتح لنا هذه العين، التى بها ننظر إلى مالا يراه الناظرون

من أنوار ومن عوالم ومن أسرار ومن أحوال ومن أفعال ..!!

ولحظة واحدة من هذه المكاشفات .... تجعل الإنسان منا يغيب عن الدنيا وما فيها شوقاً إلى الله ﷻ.

سماع الحقائق

أيضا الأذن الثانية (الداخلية):

ونحن فينا الأذن الظاهرة حتى نتكلم مع بعض ونسمع بعض.

فأيضا من ضمن الحقائق التى ركبها الله بداخلنا تلك الأذن الداخلية التى تسمع جميع اللغات وتفهمها، لغة الطيور بأصنافها وأشكالها، ولغة الحيوانات بأصنافها وأشكالها، ولغة الملائكة، ولغة الجن، ولغة الجمادات، ولغة السموات، ولغة الشمس، ولغة القمر ... كل هذه اللغات تستطيع أن تسمعها فى وقت واحد ولا تشغلها لغة عن لغة، كيف يكون ذلك؟! هذا أمر غريب !!!!!

هذه الأذن ربنا ﷻ ركبها فينا، وكان سيدنا رسول الله ﷺ يدرب أصحابه عليها أحياناً، فذات مرة أمسك بحصيات رمل فسبحن فى يده ﷺ وسمع من حوله هذا التسبيح، فوضعهن فى يد سيدنا أبو بكر فسبحن وسمعوا التسبيح، ثم وضعهن فى يد سيدنا عمر فظللن يسبحن كذلك وسمعوا التسبيح، ثم وضعهن فى يد سيدنا عثمان فكان كذلك، فوضعهن فى يد إنسان آخر، فلم يسمعوا شيئاً مع أن الرمل يسبح على الدوام، وهل حصل فى وقت من الأوقات أن توقف عن التسبيح؟ لا!

إن أى شئ فى الكون كما يقول رسول الله ﷺ :

﴿ ما من طائر يذبح، أو شجرة تقطع إلا لغفلتهم عن ذكر الله فى تلك الساعة ﴾ [٣٠]

٣٠ رواه السيوطي فى الجامع الكبير

ما عقاب الطائر الذى يغفل عن تسبيح ربنا؟

يذبح، هذا من أجل أن تعرفوا رحمة الله بنا، فما الذى نستحقه نحن؟

إذا كان الطائر الذى يغفل لحظة يذبح، فكيف بنا ونحن نغفل أياماً وليالى وشهور ودهور، لكنه سبحانه رحيم بنا وشفوق علينا.

والشجرة التى تغفل عن ذكر الله لحظة، ما عقابها؟

تقطع، لذلك كل شئ كما قال الله:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [٤٤ الإسراء]

إذاً ما معجزة سيدنا رسول الله ﷺ هنا؟

المعجزة أنه ﷺ أسمعهم هذا التسبيح مع أنهم مازالوا على مثل حالتنا هذه، فهذه الآذان الداخلية يظل العارف يجليها للإنسان ويصلحها ويصقلها ويزينها حتى تفقه تسبيح الكائنات، وبأى شئ يجليها؟

بذكر الله ﷻ، قال ﷺ:

﴿ إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد ، قيل وما جلاؤها يا رسول الله؟ قال : ذكر الله تعالى ﴾ [٣١]

وبما يزيتها ؟

بالصلاة على رسول الله ﷺ، بالزيت الذى يزيت القلوب، فيظل يجلى فيها ويزيت حتى تلين، فتبدأ تسمع أصوات الكائنات التى حوله، وفى هذه الحالة إذا لم يكن الإنسان فى حالة التمكين، أو بمعنى أصح إذا لم يكن فى معية أحد الصالحين، يمكن أيضاً أن يتشتت !!!

٣١ رواه الترمذى عن أبى هريرة ﷺ

فالشيخ ابن عطاء الله السكندرى ﷺ يحكى عن حالته فى ذلك الوضع فيقول:

{ لما فتح لى باب سماع التسبيح، سمعت كل شئ حولى يسبح بنغمات شجية جداً، لا أستطيع أن أصفها } موسيقى ليس لها شبيه تجعل الإنسان يرقص فلا تتعجب، إذا رأيت هذه الحركات على أحد من السالكين فى هذه الحالة لأنها تكون موسيقى ليس لها مثال، إذا كنت عندما تسمع موسيقى الشيطان هذه تجعلك تهتز، فكيف بك إذا سمعت موسيقى الرحمن؟!!!

فقال: سمعت الجدار يسبح، وسمعت الشباك يسبح، وسمعت الباب يسبح، وسمعت العروق تسبح، سمعت كل شئ يسبح، وسمع بماذا فى هذه الحالة؟ قال: سمعت بكل شئ، شعرى يسمع، وعينى تسمع، وأنفى يسمع، وأذنى تسمع، وأيدى تسمع.

كيف يكون هذا؟!

هذا الكلام قد يكون غريباً علينا، لكنها هى الحقائق التى نريد أن نصل إليها ... كيف ترى بهذه العين؟ لأنها شفافة بعض الشئ، فإذا ظللت تجاهد هذا الجسم حتى يشف، فيصير الكل شفافاً، فكما ترى بالعين ترى بالرأس من الخلف، وترى بالأذن، كما كان رسول الله ﷺ يقول:

﴿ إنى أرى من خلفى كما أرى من أمامى ﴾[٣٢]

ترى بكل شئ، هذا الزجاج عبارة عن ماذا؟ رمل!!، وهل هذا الرمل يكشف شيئاً من وراءه؟ لا !! لكن إذا أدخل النار يصير شفافاً!!

وكذلك الجسم هو من طين لكنه إذا أدخل نار الجهاد والطاعة والعبادة يشف، وكل مدى يشف، وكل مدى يصف، وكل مدى يرق إلى أن يصير شفافاً فيرى كل شئ، فيرى الذى أمامه والذى وراءه !!

ويسمع كما قلنا ... يسمع تسبيح الكائنات، تسبيح الكائنات بماذا؟ بلغاتها

٣٢ رواه البخارى عن أنس ﷺ

المختلفة، حتى يكون سماع التسبيح ألذ عنده من الخمر!!

وليس تسبيح الكائنات فقط ...!!

وإنما يسمع تسبيح أعضائه هو فيجد الأظافر تسبح، والشعر يسبح، والعينان تسبحان، والرجلان تسبحان، والبطن تسبح، وكل جزء فى الجسم يسمعه يسبح !!!

أظن أن هذا الأمر يذهل يا إخوانى !!

من منا يتحمل مثل هذا مرة واحدة؟! إنه يصاب بالجنون فوراً.

وقد قال الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه فى هذا الشأن :

نغمات تسبيح الكيان مدامى ... يصغى لها قلبى يزيد هيامى

قلبى لدى التسبيح يصغى ... وجد المؤله من فصيح كلامى

هذه هى خمرته، والكيان هو الجسم!

تتكلم بكلام فصيح وليس كما يقول بعض العلماء أنها تتكلم بلسان الحال.

ولكن الإمام أبا العزائم ﷺ يقول إنها تتكلم بلسان فصيح ولها لغة واضحة لأنه إذا كانت هذه الأشياء ستأتى يوم القيامة وتشهد، فسيدنا رسول الله ﷺ يقول فى الحديث الشريف :

﴿ ما من شئ يبلغه صوت المؤذن إلا ويشهد له يوم القيامة حتى الحجر ﴾[٣٣]

فالحجر الذى يسمع صوت المؤذن يأتى يوم القيامة ويشهد للمؤمن بأنه كان يؤذن، ويشهد يعنى ينطق ويتكلم !! وهل الشهادة تنفع من أخرص؟ لا!، لابد وأن ينطق ويتكلم، كيف يتكلم؟

باللغة الفصحى، كيف؟ .. إنها قدرة الله، ولا عجب على قدرة الله جل و علا.

٣٣ رواه البخارى من حديث أبى سعيد

التحدث مع الملائكة

فيبدأ الإنسان يسمع تسبيح الكائنات، ثم بعد فترة يسمع كلام ملائكة السموات، يكلمهم ويكلمونه.

رجل من الجماعة الصوفية، وكان حصل فتنة فى بغداد .. ودائما بعض العلماء يَغارون من الصوفية، لماذا؟ من أجل هذه الأحوال فيقولون: لماذا أخذوا هذه الأحوال دوننا؟ إنهم أناس جاهدوا، وأنتم جعلتم الحكاية كلها فى الكتب، والكتب ليس فيها هذه الأمور، وكيف تأتى الكتب بهذه الأحوال؟! هذه هى الكتب أمامك كيف توصل إلى هذه الأحوال؟ أجلس وأمكث أقرأ ليل نهار، لا ينفع إلا بصحبة الأخيار وإلا برضا النبى المختار ... !!

فلما اعترضوا عليهم، اتهموا ثلاثة منهم وأخذوهم بأنهم خارجون عن الإسلام، وحكموا عليهم بالقتل، فلما وقفوا لينفذوا حكم الإعدام تقدم أحدهم وقال: ابدأ بى الأول، قال له: لماذا؟ هذا شئ غريب !!! هل هناك أحد يحب أن يقتل قبل غيره؟ قال: نعم–انظر إلى أحوال الصالحين الغريبة–قال: أريد أن أوثر إخوانى بحياة ساعة، نحن تعلمنا الإيثار وأحب أن أوثرهم، أفضلهم على نفسى ويعيشوا ساعة بعدى ليذكروا الله ﷻ فيها، ويعبدوا الله فيها–طبعاً هذه حالات فوق العقل–فلما رأوا هذا منهم قالوا: هؤلاء ليسوا ناساً عاديين، فاستأذن القاضى الخليفة وقال له: دعنى أسأل، وامتحن هؤلاء الناس.

فلما سأل الرجل وكان إسمه أبو الحسين النورى ... لأنه كان إذا جلس يذكر ويطيل الذكر كان وجهه ينير كأنه مصباح ضخم ... ينير لمسافة كبيرة من حوله من شدة ذكر الله .. فهذه من أين تأتى بها الكتب؟!

فسموه النورى لأنه لما يذكر الله ويأخذه الحال فى الذكر يستنير المكان الذى فيه كله من وجهه من ذكر الله ﷻ، وذلك على الدوام وهذا هو حال الصالحين.

ولذلك فالصالحون يقرأون فى الظلام، فليس عندهم ظلام ولا نهار .. لأنهم يقرأون بنور الله، ونور الله ﷻ لا يحجبه ظلام.

فقال له: أريد منك أن تجيب عن هذه الأسئلة ... فانتظر قليلاً ثم التفت عن يمينه، ثم التفت عن يساره، ثم أجابه عن الأسئلة كلها إجابة عظيمة فوق العقل، فقال له: أريد أن أعرف لماذا التفت عن يمينك وعن شمالك قبل أن تجيب؟ فقال: سألت الحافظ الذى عن يمينى فوجدته لا يعرف الإجابة، فسألت الذى عن يسارى فوجدته لا يعرف الإجابة، فسألت قلبى فأجابنى عن ربى بما سمعت!

فالرجل سأل الملائكة الذين معه، فهم معه على الدوام، فسأل الأول هل تعرف الإجابة؟ قال: لا، والثانى هل تعرف الإجابة؟ قال: لا، قال أمرى إلى الله أجيب عن الله مباشرة،فيصل إلى درجة أن يتكلم مع الملائكة، ثم بعد ذلك يتدرج ويتكلم مع عمار الملكوت الأعلى، ثم بعد ذلك يبدأ خطاب الحق تبارك وتعالى.

المكالمة والمحادثة

وخطاب الحق لما سألوا سيدنا موسى عليه السلام كيف سمعت كلام الله؟ [٣٤] أى سمعته بأى كيفية؟ ..!! يا ترى مثل كلامنا؟

لا، لأن كلام ربنا ليس له صوت ولا حرف !!، قال: سمعته وكأنه قصف الرعود – أى صوت الرعد – مع البروق الخاطفة، مع أجمل لذة لم أسمعها فى حياتى قط، قالوا: هل ربنا كلمك بكل كلامه مرة واحدة، قال: دعونى أسأله، فقال: يارب هل كلمتنى بكل كلامك؟ قال: لا، لقد كلمتك بعشرة آلاف لسان يعنى عشرة آلاف لغة فى وقت واحد وكلهن فهمهن سيدنا موسى عليه السلام ولو كلمتك بكل كلامى ما استطعت أن

٣٤ قال ﷺ:{ لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى يَوْمَ الطُّورِ كَلَّمَهُ بِغَيْرِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمَهُ بِهِ يَوْمَ نَادَاهُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِ هَذَا كَلَامُكَ الَّذِي كَلَّمْتَنِي بِهِ ؟ قَالَ: يَا مُوسَى إِنَّمَا كَلَّمْتُكَ بِقُوَّةِ عَشْرَةِ آلَافِ لِسَانٍ، وَلِي قُوَّةُ الْأَلْسُنِ كُلِهَا وَأَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا: يَا مُوسَى صِفْ لَنَا كَلَامَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى أَصْوَاتِ الصَّوَاعِقِ الَّتِي تَصِلُ فِي أَجْلَى حَلاَوَةٍ سَمِعْتُمُوهُ فَذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْهُ وَلَيْسَ بِهِ } . البزار، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جامع المسانيد والمراسيل

تتحمل يا موسى.

فيصل الإنسان إلى الدرجة التى يقول عنها سيدنا رسول الله ﷺ:

﴿ إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُحَدثَ رَبَّهُ فَلْيَقْرَإِ الْقُرْآنَ ﴾ [٣٥]

فلا يحتاج لمترجم بينه وبين الله ﷻ ، فيكون الكلام محادثات شفوية مباشرة، وهذه يسمونها حالة الكفاح والمكالمة والمشافهة ..!! فيكون الكلام كفاحاً.

وصاحب تلك المنزلة فى هذه الحالة يتكلم مع ربه كفاحاً أو مشافهة، وقد يكون مشاهدة، وهذه الحالة التى يتمناها المصطفون من عباد الله ... ! أن يبدأ الإنسان يسمع كلام الله من الله، ويبدأ يتكلم أيضاً مع الله، هذه هى الحالة التى نحن من أجلها نصحب الصالحين، ... لماذا ؟

ليفتحوا لنا عين البصيرة فترى آيات الله المنيرة، ويفتحوا لنا آذان السريرة فتسمع تسبيح الكائنات وتسمع كلام ملائكة السموات وتسمع كلام الله ﷻ المنزه عن الحرف والصوت والجهات، ويفتحوا لنا لسان القلب ليبدأ اللسان يتكلم، فيتكلم مع الجمادات ويتكلم مع الحيوانات ثم مع الملائكة ومع الجن، ويفهمونه ويفهمهم.

مقام التصريف

وهذا ما يقولون فيه ماوردت به الآثار:

{عبدى أطعنى أجعلك عبداً ربانياً تقول للشئ كن فيكون}

وهو لا يقول له كن فيكون إلا إذا كان عارفاً لغته، فأنت لا تستطيع أن تأمر أى حيوان من الحيوانات بأمر إلا إذا فهم ما تريد، فحتى ينفذ لابد أن يعرف ماذا تقول له؟ ويفهم، ولكى يفهم لابد أن تخاطبه بلغته ..!

٣٥ (خط فر) عن أَنَس رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

وكما تعرفون هذا الكلام كان حادثاً مع سيدنا سليمان عليه السلام، فكان يكلم جميع الطيور وجميع الحيوانات وذلك بكل لغاتها فى وقت واحد، وهذا الكلام كان حادثاً مع سيدنا رسول الله ﷺ.

لما جاء سيدنا رسول الله واختار ستة من أصحابه ليبعثهم للملوك والرؤساء الذين حوله، فكل واحد يذهب إلى دولة، وكل دولة لها لغة، قالوا: وكيف نتحدث مع هؤلاء يا رسول الله؟ قال: ما دمتم عزمتم، فإذا عزمت فتوكل على الله، وأمرهم أن يأتوا فى الصباح لأخذ الكتب ويتجهون حيث أمرهم، فذهبوا وناموا تلك الليلة، وكان فى ذلك الوقت قد جهز لهم صلوات الله وسلامه عليه حلقة دراسية سريعة جداً، ومكثفة جداً فى الملكوت الأعلى بالأرواح، فكل واحد نام صعدت روحه بسرعة إلى مركز اللغات الإلهية تتعلم هذه اللغات، فأصبحوا فى الصباح وكل واحد يتكلم لغة الدولة التى هو ذاهب إليها مع أنه لم يجلس أمام مترجم، ولا جلس أمام إسطوانة، ولا جلس أمام أستاذ مادة، ولا حضر فى مركز لتدريس اللغات، ولا شئ من هذا القبيل.

وهذه الحكاية ليست غريبة، فالشيخ أبو خليل ﷺ وأرضاه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان يتكلم بجميع اللغات الحية أفضل من أهلها، كيف؟!

هذا فضل الله، كيف يكون ذلك؟ يكون هنا تعليم الله من باب:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٢٨٢ البقرة]

سر صحبة الصالحين

وهذا هو السبب الذى جعلنا نصحب الصالحين، فلم نصحبهم لشئ آخر وإنما نصحبهم ليكرمنا ربنا بهذه الأشياء، ونصحبهم أيضاً إلى جانب ذلك حتى يكرمنا الله بأننا نحشر معهم، وأننا نحظى بشفاعتهم، وبأننا نكون فى الدنيا مكرمين بهم، ومرفوعاً عنا الأذى بسببهم قال ﷺ:

﴿ إن الله يرفع البلاء عن أهل مائة بيت من جيران الرجل الصالح إكراماً له ﴾[٣٦]

فالرجل الصالح ربنا ﷻ يأتى له بمائة بيت حوله من جيرانه، ويرفع عنهم البلاء من أجل خاطره، وهذا إذا كان قدره متواضعاً، وكلما يزيد فى الصلاح والتقوى يكون العدد أكثر حتى أنه أحياناً الواحد منهم ربنا يرفع البلاء عن شعب كامل أو عن دولة كاملة بسببه، لماذا؟ كما جاء فى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ:

﴿ إِنّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنِي لأَهُمُّ بِأَهْلِ الأَرْضِ عَذَابَاً، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمّارِ بُيُوتِي، وَالْمُتَحَابينَ فِيّ، وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ صَرَفْتُ عَذَابِي عَنْهُمْ ﴾[٣٧]

أى يقول من أجل هؤلاء أعفو عن هؤلاء، ولذلك قال سيدنا رسول الله ﷺ لسيدنا أسامة وسيدنا أبى هريرة رضى الله عنهم أجمعين:

﴿ يا أسامة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم، الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض. اتخذهم لنفسك إخوانا عسى أن تنجو بهم ﴾[٣٨]

اجعل هؤلاء هم إخوانك، ينفعونك فى الشدة، وينفعونك فى الرخاء، وهؤلاء هم الذين قال فيهم سيدنا عمر ﷺ وأرضاه:

{عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم، فإنهم عدة عند البلاء وزينة عند الرخاء }

فوقت الشدة تجده جارك لأنه لا يفر منك، وساعة الرخاء فهو زينة لك وفخر لك أنك ماشى مع رجل من الصالحين، وفخر لك أنك بصحبة من يطيعون الله ومع من يخشون الله ومع من هم على منهاج رسول الله ﷺ.

---

٣٦ رواه الطبرانى عن ابن عمر ﷺ

٣٧ عن أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ.، جامع المسانيد والمراسيل

٣٨ رواه الخطيب فى الزهد عن أسامه وأبى هريرة

وقد قال الإمام أبو العزائم ﷺ ملمعاً إلى تلك الأحوال، وواصفاً بعض هذه الأسرار:

أثبتونى فى الكنز عند شـــــرابى
وأرونى حســـــــنى فتاه صوابى
علمونى علـــــماً خفياً فلاحت
شمس قربى لدى حلول اقترابى
ترجموا لى عنى بمعنى شهودى
رفعوا لى عنهم شـــريف نقابى
رفعونى فوق العوالـــــم حتى
عاينت مقلتى صريـــــح إيابى
ثم لاحت بوارق النور صـــرفا
فانجلى عندها عظيم حجابى
ورأيت أنى أنا هـــــــو لمـا
أن تجردت عن سنى الطلاب
وسمعت الخطاب منى جهاراً
أنت منى فلا تمل عن رحابى
عندها نلت بالشـــهود يقينى
وتحلت عوالمـــى لجنابى
واستويت على أرائك عرشى
ورأيت الأملاك طوع جنابى
ما أنا عندها وحقـــــــك إلا
واحد عند غيبتى واقترابى
صورة الحسن فى العوالم منى
وملوك الســـما على أعتابى

سجدت لي ووحدت عين ذاتي
عندما قد سقيتها من شـــرابي
قطرة منه تجعل الترب تـــبراً
وقليل به ســـعادة الأحباب
من يذق بعضه يترجـــم عني
بعلومي ويهتدي بخطـــابي
ها أنا قد كشفت حسني فهيّـــا
فتحلوا بجواهر الأصحـــاب
واحرقوا الحجب واصعدوا لترونى
فبراقي ســـهل على أعتابي
بادروا بادروا لتعيين ســـري
يا أولي العزم واحفظوا آدابي
قد كشفت النقاب عن حسن وجهي
فاشربوا الراح من رحيق جنـابي
وأشهدوني بالحسن والذوق إني
للذي يرتجي كشفت حجابـــي
وأبحت الشـــهود عيناً ووصفاً
فاطلبوا الحسن وافتحوا أبوابي
وادخلوها برحمة وســـلام
قد حفظتم من جفوتي وعتابي
وصلاة تدوم ما دام ربـــي
لهلال أضاء للأحبـــاب

وصلى الله وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

مرض قسوة القلب

أعراضــه

أســبابـــه

عـــــلاجـــــه

أعراض مرض قسوة القلب

فقد ان حلاوة الطاعة

الإعراض عن ذكر الله

علامات إقبال الله على العبد

الأوقات الفاضلة

أسباب قسوة القلب

كثرة الكلام فى غير ذكر الله

الكلام مع النساء

الشبع

فضول النظر

أكل الحرام

كثرة المنام

علاج قسوة القلب

الخروج من عادات النفس

واجب الإخوان نحو بعضهم

أعراض قسوة القلب [٣٩]

من الأمراض التى انتشرت فى عصرنا هذا من الأمراض القلبية مرض اسمه : قسوة القلب !!، وقسوة القلب هذا والعياذ بالله من ألعن الأمراض التى قد تصيب كل مؤمن ومؤمنة ... ما أعراضه؟ ... وما أسبابه؟

فقدان حلاوة الطا عــة

من أعراض المرض :

- ألا يجد الإنسان عنده قابلية للطاعة.
- ولا يشعر بحلاوتها ولا لذتها.
- بل يحس بأنها عبء ثقيل يريد أن يتخلص منه.

كما يحدث أحياناً لبعض إخواننا بأنه ليس له رغبة لقراءة الصلوات، فيظل يتلكأ هنا وهناك إلى أن تنتهى قراءة الصلوات ويأتى لأنه ليس له رغبة لقراءتها، هذه الصلوات على مَن ؟ إنها على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، لكن هناك قساوة فى القلب تجعل صاحبه لا يحب هذا العمل !! بينما إذا أجلسته فى مجلس غيبة ونميمة إلى ما شاء الله لا يمل، وإذا قلت له قم يا فلان، يقول لك انتظر قليلاً، لماذا ؟ لأن الغيبة والنميمة صفات محبوبة للقلب القاسى !!

والبعد عن الله ﷻ، تقول له اقرأ فى المصحف، يفتح المصحف ويقول لك: لقد أصابنى الصداع، ساعة ما يمسك المصحف لا أعرف لماذا يصاب بالصداع؟! تقول له امسك كتاب دينى واقرأ فيه، يقول لك عندما أمسك الكتاب لا أعرف لماذا ينتابنى النوم؟ وأحاول أن أتغلب عليه دون فائدة !!

---

٣٩ هذا الدرس بالمجلس الأسبوعي الذى ينعقد كل يوم اثنين بعد صلاة العشاء بالجميزة – مركز السنطة – غربية

هذا الكلام موجود فى زماننا هذا، وهذه أعراض المرض والعياذ بالله.

الذهاب متأخراً لصلاة الجمعة

تجد الواحد منهم يأتى يوم الجمعة ويزوغ يميناً وشمالاً إلى أن يسمع المؤذن يقول قد قامت الصلاة، ويدخل المسجد، لماذا تأخرت يا فلان؟ يأتى إليك بحجة، ولازم يأتى بحجة كأن يقول الخطيب لا ينفع، أو أنه لا يعرف الكلام، وهذه كلها حجج واهية لأن المؤمن يقصد بعمله وجه الله أو الثواب.

وكشوف العلاوات تظل إلى أن يصعد الخطيب المنبر، وساعة ما يصعد الخطيب المنبر فإن كشوف العلاوت تطوى، والذى يدخل بعد ذلك ليس له فى هذه العلاوة التشجيعية الخاصة بيوم الجمعة نصيب!! وهذه العلاوة ذكرناها مراراً وتكراراً فالذى يروح فى الساعة الأولى كأنه ذبح جمل، والذى يروح فى الساعة الثانية كأنه ذبح بقرة ووزعها على الفقراء والمساكين وله أجرها، والثالثة كأنه ذبح كبش، والرابعة كأنه ذبح دجاجة، والخامسة كأنه تصدق ببيضة، والذى يأتى بعد أن يصعد الإمام المنبر ليس له شئ ولا يكتب فى هذه الكشوف!! ولذا فأنا لا يمنعنى من التبكير عدم إجادة الخطيب، أو كونه يخطب من ورقة، فكل هذا لا يلزمنى لأن أهم شئ عندى أن أحصل على الثواب، لكن كل هذه علل نفسية تتعلل بها النفس لتبعد الإنسان عن الزاد الذى أمرنا أن نتزود به رب العباد ﷻ.

الإعراض عن ذكر الله

أيضاً من أعراض قسوة القلب أن الإنسان ليس له نفس أو رغبة أن يذكر الله!

فالواحد منا عندما يكون ماشياً أو قاعداً أو راكباً قطاراً أو سيارة، ما الذى يمنع لسانه عن ذكر الله فى ذلك الوقت إلا الخيبة – عفواً التى حطت عليه وتجعله يضيع عمره هدراً وسيندم عليه يوم لقاء الله ﷻ !!!

بدلاً من السكوت أذكر الله بأى ذكر ... أستغفر الله، أو صل على سيدنا رسول الله ﷺ، أو قل لا إله إلا الله، فأى ذكر منها ينفعك يوم لقاء الله ﷻ!

لكن كون المرء حين يمشى أو يقعد أو يركب أو ينام لا يوفق فى تلك الأوقات لذكر الله فهذا دليل على أنه من أهل الخذلان الذين خذلهم الله عن طاعته والعياذ بالله ﷻ، وهذا أكبر خذلان يعرض الله ﷻ له الإنسان، أن يخذله عن طاعته وعن عبادته، لأن الأمر كما قال ﷺ:

﴿ وإنّ الله عَزّ وجلّ يُعْطِي الدُّنْيا مَنْ يُحِبُّ ومَنْ لا يُحِبُّ، ولا يُعْطِي الدِّينَ إلاَّ مَنْ أَحَبّ، فمنْ أَعطاهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحبّهُ، والذي نَفْسِي بيدِه لا يُسْلِمُ عَبْدٌ حتى يُسْلِمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ﴾[٤٠]

علامات إقبال الله على العبد

ما علامة حب الله للعبد؟[٤١] ورد فى الأثر واشتهر على ألسنة الناس:

﴿ إذا أكرم الله عبدا ألهمه ذكره ﴾[٤٢]

الناس يظنون أن الذى ربنا يحبه يأتى له بالمال الكثير أو يجعله يشترى أرض أو يجعله يكثر رصيده، بينما هذه الأشياء ليست علامة الحب، فلو كانت هذه الأشياء علامة حب الله كان الله منع المال وهذه الأشياء عن الكافرين الذين نحن نحتاج إليهم ونمد لهم أيدينا فى كل وقت وحين.

لكن ما علامة حب الله؟

أن يلهم الإنسان أن يذكر الله ...، ولذلك كيف تعرف أن هذا الرجل موفق وربنا راض عنه؟

---

٤٠ رواه الإمام أحمد عن بن مسعود ، ومثله رواه الحاكم وصحح إسناده والبيقهى فى الشعب من حديث ابن مسعود ﷺ

٤١ يمكنكم الرجوع لكتابنا { كيف يحبك الله} وقد طبع عدة طبعات.

٤٢ الزهد الكبير للبيهقي مروى عن ذى النون المصرى

إذا وجدته مشغولاً بذكر الله ﷻ، مقبلاً على الله، ومقبلاً على كتاب الله، ومقبلاً على الصلاة، ومقبلاً على الصيام، ومقبلاً على دروس العلم النافع، ومقبلاً على الصالحين يسمع كلامهم ويتأدب معهم بالآداب التى أمر الله ﷻ بها المؤمنين والمسلمين فى كل وقت وحين، هذه يا إخوانى علامات إقبال الله على العبد وحب الله ﷻ للعبد فى كل وقت وحين.

الأوقات الفاضلة

من علامات قسوة القلب أيضاً :

- عدم توفيق الإنسان لطاعة الله ﷻ فى خير الأزمان.

فهناك أوقات فاضلة اختارها الله لطاعته:

- فاختار لنا فى كل ليلة الساعة التى قبل الفجر.
- واختار لنا للصيام يومى الاثنين والخميس.
- واختار لنا ليلة النصف من شعبان وليلة السابع والعشرين من رجب وليلة القدر وليلة السابع عشر من رمضان وليلة عاشوراء، ويوم عرفة.

والذى لا يوفق لإحياء هذه الليالى، فهذا دليل على قسوة القلب وإعراض القلب وغفلة القلب عن الله ﷻ، وقد ورد فى الأثر:

﴿ إذا أحب الله عبداً سخره لأفضل الأعمال فى أفضل الأوقات ﴾[٤٣]

فيجعله يحيى هذه الأوقات الفاضلة بالطاعة، ومن ضمنها أيضاً ليلة الجمعة، فالصالحون لهم ليلة الجمعة ويوم الجمعة مقدار مخصوص فى طاعة الله ﷻ، فيحيون الليلة بالطاعة ويصبحون يوم الجمعة وليس لهم بضاعة إلاَّ طاعة الله ﷻ.

٤٣ أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول

أسباب قسوة القلب

أعراض القسوة كثيرة، وقد ذكرنا بعضاً منها، فما أسبابها؟

سنذكر أيضاً بعض هذه الأسباب ... أول هذه الأسباب:

كثرة الكلام فى غير ذكر الله

فالناس فى زماننا هذا عندهم شهوة الكلام (عمال على بطال) ويريد الواحد منهم أن يتكلم فى أى حاجة، حتى أننى فؤجئت من بعض إخواننا الذين يذهبون معنا فى السياحات الروحانية لكى يستفيدوا أنهم يشغلون أوقاتهم حتى فى هذه السياحات فى الكلام فى السياسة أو الدنيا أو الذكريات أو فى الكورة !!!!

إذاً لماذا أنت ذاهب؟

إن الذى يذهب فى هذه السياحات الفاضلة ذاهب ليتزود من طاعة الله، فيقول خيراً أو يصمت، فالذى ذهب ليشترى بضاعة الإيمان لا يشغل نفسه ببضاعة أهل الخسران والعياذ بالله ﷻ، فقد قال ﷺ فى الحديث الشريف، واحفظوه جيداً:

﴿ لاَ تُكْثِرُوا الْكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ ، فَإِنّ كَثْرَةَ الْكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةُ الْقَلْبِ، وَإِنّ أَبْعَدَ النّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي ﴾[٤٤]

فصاحب القلب القاسى بعيداً جداً عن الله ﷻ، وكثرة الكلام هى دليل الإفلاس، مَنْ الإنسان المفلس؟

الذى لم يوفقه الله لجنى الأرباح فى الدنيا، والأرباح فى الطاعات والأذكار والاستغفار، فالذى لا يستطيع أن يستغل وقته فى هذه الطاعات ويشغله بالكلام الآخر الفارغ والهابط والهازل، هذا هو الإنسان المفلس.

٤٤ الترمذى، عن ابن عمر رضي الله عنهما

وهذا الذى يأتى يوم القيامة والنبى يقول فى شأنه:

{ أَتَدْرُونَ مَنِ المُفْلِسُ } [٤٥]

هو مفلس من أى شئ؟ من الطاعة، لأنه حتى إذا عمل الطاعة فى يوم فكلمة غيبة واحدة تضيع هذه الطاعة، لأنه إذا اغتاب إنساناً يتحول رصيده إلى هذا الإنسان، وإذا انتهى رصيده فيحمل من سيئات الذين تكلم فى حقهم ولذلك قال ﷺ وقد كان جالساً ذات يوم مع أصحابه الكرام:

{ فَارْتَفَعَتْ رِيحٌ مُنْتِنَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:أَتَدْرُونَ مَا هذِهِ الرِّيحُ؟ هذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ المُؤْمِنِينَ }[٤٦]

شَمَّمهم رسول الله هذه الرائحة، رائحة منتنه !!!

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [١٢ الحجرات]

وكان ﷺ فى سفره، وفى السفر كان يكلف كل فقير من المسلمين بخدمة اثنين من الأغنياء لكى يكفلوه ويأكلوه ويشربوه ويحملوه معهما.

فكلف سيدنا سلمان الفارسى بخدمة رجلين من الأغنياء، وكان الفقير يسبق ليمهد المكان الذى ينزلان فيه فسبق سيدنا سلمان ومهد لهما المكان، ولكنه كان متعباً فنام ولم يجهز لهما الفطور (الأكل) فوصلا فقالا: ابحث لنا عن طعام عند النبى، فذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له: اذهب إلى أسامه فقال له: ليس عندى شئ، فقالا لأنفسهما: إنه عنده ولكنه بخل به علينا، وقالا لسلمان: اطلب من أحد آخر فكلما ذهب يسأل عن طعام لا يجد، فقال أحدهما: دعه فوالله لو أرسلته إلى بئر سميحة لغار ماؤها، وبعد قليل إذا برسول الله ﷺ خارجاً، فسألهم: ماذا تريدون؟ قالا: طعاماً،

---

٤٥ متفق عليه عن أبي هريرة، وتمامه { قالُوا: المُفْلِسُ فِينَا من لا دِرْهَمَ لَهُ ولا مَتَاعَ، فقالَ: «إنَّ المُفْلِسَ من أُمَّتِي يَأْتِي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزَكاةٍ ويَأْتِي قد شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مالَ هَذَا وَسَفَكَ دمَ هَذَا وضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا من حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قبلَ أَنْ يُقْضَى عنهُ ما عليهِ أُخِذَ من خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عليهِ ثم طُرِحَ في النارِ }

٤٦ رواه أحمد وابن أبي الدنيا، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

{ فقال لهما: مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما، قالا: والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً،قال: بل ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة } ﴾ [٤٧]

وهذا مثل عملى حى على الفور!! فمجالس الكلام بغير ذكر الله كلها يقول فيها ﷺ:

﴿ ما جلس قوم ثم قاموا على غير ذكر الله ﷻ، إلا وقاموا على أنتن من جيفة حمار ﴾[٤٨]

ولذلك من السنة أن نعطر مجالسنا:

- بذكر الله.
- أو بتلاوة من كتاب الله.
- أو تلاوة حديث عن رسول الله.
- وفى آخر المجلس نقول كما علمنا رسول الله ﷺ ونحن قائمون:

﴿ سبحانك اللهم وبحمدك، ونشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك ﴾ [٤٩]

فقد قال ﷺ: من قال هذه الكلمات آخر المجلس كانت كفارة لما ارتكبه فى هذه المجلس فمثل هذه المجالس تقسى القلب.

السبب الثانى الكلام مع النساء

فإذا كان الكلام مع الرجال يقسى القلب، فالكلام مع النساء أكثر أثراً فى قسوة القلب، ودائماً الإنسان يميل للحديث مع النساء، وخاصة أن أعمالنا كلها الآن أصبحت من البلاء الذى نحن فيه مملوءة بالنساء، وطبيعة الإنسان تميل للحديث معهن

٤٧ رواه السيوطى فى الجامع الصغير عن أنس، وفى تفسير روح البيان وتفسير البغوى.
٤٨ رواه أحمد وابن حبان عن أ[ى هريرة رضى الله عنهما
٤٩ رواه أبو داود والترمذى والحاكم من حديث عائشة رضى الله عنها

فالكلام مع النساء يا إخوانى يقسى القلب.

السبب الثالث: الشبع

فكثرة الأكل والإمتلاء يمنع رقة القلب ولينه وخشوعه لله ﷻ.

ولذلك سألوا أحد الصالحين: لماذا لا نجد الخشوع فى الصلاة؟ فقال لهم:

{ يضع أحدكم بينه وبين الله مخلاه من الطعام ويريد أن يجد أثراً الخشوع !!}

نحن كلنا اليوم الذى نصوم فيه نكون أخشع لله ﷻ يا إخوانى لماذا؟

لأن الخشوع دائما يأتى مع عدم الإفراط فى الطعام.

السبب الرابع: فضول النظر

السبب الرئيسى والذى يقسى القلب، كثرة النظر للرائحين والغادين والرائحات والغاديات، فإن من ملأ عينه من النظر ملأ الله قلبه حسرات، لماذا؟ لأن المؤمن مطالب بقول الله ﷻ:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ ﴾ [٣٠ النور]

لا بد أن نغض البصر، والذى لا يغض بصره سيندم بعد ذلك أشد الندم، ولن ينفعه الندم لأن كثرة الإلتفات تملأ أفق القلب بالحجب القاطعات، وتعقبها الغفلة والحسرات، ولذلك قال ابن عطاء الله السكندرى ﷺ وأرضاه فى حِكَمِه:

- **كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته؟!**
- **أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته؟!**

- **أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟!**
- **أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته؟!**

فالقلب الملئ بالصور التى حولنا ...

ولا يزال ينظر إليها يميناً وشمالاً!!!

فمتى يصفو ليرى صورة روحانية، أو صورة ملكوتية ، أو رؤيا حسنة منامية؟

أين يرى هذه الأمور؟

فالذى يعيش فيه هو الذى ينام فيه وهو الذى سيراه، وهذا ما يحدث وما يتبع، فلابد أن نفرغ القلب شيئاً فشيئاً حتى يتفضل الله ﷻ عليه بما تفضل به على عباده الصالحين، فالأسباب يا إخوانى هى:

- **كثرة الكلام بغير ذكر الله ﷻ.**
- **الكلام مع النساء.**
- **الشبع.**
- **النظرات المحرمة.**

السبب الخامس: أكل الحرام

بعد ذلك الطامة الكبرى، والداء الأعظم:

و هو أكل الحرام والعياذ بالله ﷻ، فإن من أكل حراماً لم يتلذذ بطاعة أبداً ولو عبد الله على الدوام إلى نهاية الأيام، فإن الله يعاقبه فيحرمه من لذة الطاعة، واللقمة الواحدة يعاقب صاحبها بالحرمان من لذة الطاعة أربعين يوماً، فإن تاب وأناب ردت إليه حلاوة الإيمان، وإن لم يتب إلى الله وينيب بقى فى هذا الحرمان على مدى الأيام.

السبب السادس: كثرة المنام

هذه بعض الأسباب الرئيسية، ويضاف إليها كثرة المنام ولذلك قالوا:

علاج قسوة القلب

{ من أراد أن يحيى الله ﷻ قلبه، فليشغل بذكر الله وقته، وليغض بصره وأعضاءه عن الحرام، وليتقوت من الحلال، ولا يملأ بطنه من الطعام، ولا يشبع عينيه من فضول النظر، ولا يمكن جسمه من كثرة المنام }

هذه يا إخوانى الأشياء التى إذا استطعنا أن نعمل بها فسنشفى إن شاء الله من داء القسوة ... ونحس بالرقة ... واللين ... والخشوع ... والخضوع ... وحلاوة الإيمان ... وطعم الإيمان ... قال ﷺ:

﴿ ذاق طعم الإيمان من رضى بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ﴾[٥٠]

الخروج من عادات النفس

بقى كلمة واحدة:

نحن جماعة صوفية والذى يأتى معنا يريد أن يتناول من المائدة الروحانية التى نحن جالسون عليها ويأكل منها وعلى رأسها سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

والذى يريد أن يكون معنا ويأكل معنا لا بدَّ أن يغير من نفسه ليكون مثل إخوانه، لكن الذى يريد أن يظل على ما هو عليه من أخلاقه ومن طباعه ومن عاداته لا ينفع يا إخوانى !!!

٥٠ رواه أحمد والترمذى وابن حبان عن العباس بن عبد المطلب ﷺ

فأى إنسان ينضم لجماعة لابد وأن يأخذ خلق هذه الجماعة، لأنه أصبح واحداً منهم، وأصبح عنواناً عليهم، والناس ينظرون إليه على أنه فرد منهم، فلابد أن يمشى على نظام الجماعة التى هو منها.

والآفة الموجودة فى هذا الزمان هى التى قال فيها رسول الله ﷺ:

﴿ إعجاب كل ذى رأى برأيه ﴾ [٥١]

فكل واحد معجب برأيه، وكل فرد معتقد أنه هو الذى على الصواب، وأنه يفكر تفكيراً لا يماثله تفكير أحد، وأنه فى العقل وفى النباهة وفى الذكاء ليس له مثيل!!

كل هذا صحيح إذا لم يكن هناك حكم وارد من شرع الله ﷻ، لكن ما دام هناك حكم وارد من شرع الله فالواجب على العبد مهما كان ذكاؤه ومهما كانت نباهته ومهما كان اجتهاده عليه أن يخضع لحكم الله ﷻ.

فنحن ما جمعنا إلا لتنفيذ الشريعة، وليس هناك أحد كبير على أوامر الشريعة المطهرة، والشريعة هى الحاكم فيما بيننا.

واجب إخواننا وأحبابنا نحو بعضهم

لما يأتى أحد من إخوانى ويقول لى: هذا الموضوع الذى تعمله ليس صحيحاً فلا يصح أن أقول له ليس لك دخل بهذا؟

كيف أقول له ليس لك دخل ونحن جميعاً رجل واحد ؟!!!

إن الذى لا يقبل النصيحة من إخوانه ليس بأخ أليس كذلك يا إخوانى؟

لأن هذا الكلام قد يحصل من بعض إحبابنا، فقد يأتى أخ يقدم النصيحة لأخيه فيرد عليه بقوله ليس لك شأن بى، كيف تقول له ليس لك شأن بى ونحن إخوان

٥١ رواه البراز والطبرى وأبو نعيم والبيهقي فى الشعب من حديث أنس ﷺ

وأحباب؟

وإذا كنا لا ينصح بعضنا بعضاً، فقد خنا الأمانة لأن النبى ﷺ قال لنا جميعاً:

﴿ الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ [٥٢]

فلابدَّ من النصيحة، حتى أنه قال لابدَّ أن تتشاوروا، من نشاور؟ قال:

﴿ استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا ﴾ [٥٣]

ومن الإنسان العاقل ؟

قد يظن البعض أنه شديد الذكاء، ولكن النبى وضح صفاته وبين نعوته فقال عن العاقل .. الكيس الفطن ....

﴿ الكَيّسُ من دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الموتِ، والعاجِزُ من أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وتَمَنّى على الله ﴾ [٥٤]

فهو الإنسان الذى يراقب الله ويخشى الله، ولذلك فالله يجرى الخير على لسانه.

فمن أجل ذلك نحن نشاوره لأننا متأكدون أن الخير الذى جاءنا على لسانه إنما هو من عند الله ﷻ، وقوله ﷺ:

﴿ إِسْتَرْشِدُوا الْعَاقِلَ تَرْشُدُوا، وَلاَ تَعْضُوهُ فَتَنْدَمُوا ﴾[٥٥]

فالذى يعصى سوف يندم، وهذا كان نظام الصالحين فى كل وقت وحين يا إخوانى، فالناس لماذا يشاورون إخوانهم ويشاورن الصالحين؟

لأنهم يجدون فى هذه المشورة فضل الله، وهداية الله، وتيسير الله ﷻ، ومن أجل

---

٥٢ رواه أحمد عن ابن عباس، ومسلم وأبو داود والنسائى عن نعيم الدارى، والترمذى والنسائى عن أبى هريرة ﷺ

٥٣ رواه الخطيب عن أبى هريرة ﷺ

٥٤ سنن الكبرى للبيهقي عن شداد بن أوس

٥٥ جامع المسانيد والمراسيل عن أبى هريرة

ذلك لا يوجد أحد يعصيهم فى أمر من الأمور إلا ويندم بعد ذلك!.

هذا أيضاً من المواضيع التى يجب علينا أن نراعيها فيما بيننا .... ألا وهى النصيحة وقد قال ﷺ:

﴿ المؤمن مرآة المؤمن ﴾ [٥٦]

فلا بد أن يكون كل منا مرآة لأخيه، يبين لأخيه عيوبه ويبين لأخيه الصفات الغير وجيهة فيه، والمؤمن الكيس الفطن يكون مثل سيدنا عمر ﷺ الذى كان يقول:

﴿ رحم الله امرأً أهدى إلى عيوبى ﴾

فهو الذى يطلب من الناس أن توجه إليه عيوبه، حتى يكون ماشياً على النهج المستقيم، ومن ناحية أخرى قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٧٨ الحج]

فلا يجوز أبداً أن واحداً منا يحرج أخاه فى أى أمر من الأمور، لأن الدين ليس فيه حرج.

وكيف يحرجه؟

- مثلاً يذهب إليه ويقول له: يا فلان سأتناول طعام الغداء معك اليوم، وهو يعرف أنه غير مستعد لذلك، فهذا إحراج!
- أو يا فلان أريد منك أن تنجز لى الموضوع الفلانى والفلوس لما يحين موعد صرف الراتب، وهو يعرف أن أخاه ليس معه المال اللازم..
- أو يا فلان أين أنت ذاهب؟ ذاهب لمكان كذا، طيب أنا آت معك، أنا لا أريدك، لابد أن أذهب معك!!

٥٦ رواه الطبرانى فى الأوسط والضياء عن أنس والبخارى فى الأدب وأبو داود عن أبى هريرة ﷺ

لا ينفع هذا، فهذا إحراج فى الدين! ..

الدين الإسلامى يا إخوانى ليس فيه إحراج[٥٧]، لأن الله ﷻ قال:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

والأمور فى الإسلام مبنيه على التراضى، وعلى الرضا، وفى الرضا خير كثير، قال ﷺ فى الحديث الطويل الشهير لإبن عباس:

{ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالصَّبْرِ مَعَ الْيَقينِ فَافْعَلْ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاصْبِرْ فَإِنّ في الصَّبْرِ على ما تكْرَهُهُ خَيْراً كَثيراً وَاعْلَمْ أَنّ مَعَ الصَّبْرِ النّصْرَ وَاعْلَمْ أَنّ مَعَ الْكَرْبِ الْفَرَجَ وَاعْلَمْ أَنّ مَعَ الْعُسْرِ الْيُسْرَ }.[٥٨]

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بالآداب ...

وأن ينظمنا فى عقد الأحباب ...

وأن يجعلنا من المهتدين للصواب ...

وأن يجعلنا من الذين تفتح لهم الرحاب ...

ويتحلون بحلل الأحباب ...

ويجعلنا من الذين يحبون الطاعات والقربات...

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

٥٧ وفى فتاوى ابن حجر الهيثمي فيما أخذ بالحياء { ألا ترى إلى حكاية الإجماع على أن من أخذ منه شيء على سبيل الحياء من غير رضا منه بذلك لا يملكه الآخذ وعللوه بأن فيه إكراهاً بسيف الحياء فهو كالإكراه بالسيف الحسي بل كثيرون يقابلون هذا السيف ويتحملون مرار جرحه ولا يقابلون الأول خوفاً على مروءتهم ووجاهتهم التي يؤثرها العقلاء ويخافون عليها أتم الخوف }.

٥٨ المستدرك على الصحيحين، عن ابن عباس

منهاج السالكين

منهاج السالكين

أولاً: التحصن بحصون الشريعة المطهرة

ثانياً: معرفة الأذكار النبوية فى الأحداث الحياتية

ثالثاً: المطعم الحلال

رابعاً: حسن القيام بفرائض الله ﷻ

خامساً: التقرب إلى الله بنوافل البر

سادساً: استحضار صورة المرشد

سابعاً: الأخلاق الفاضلة

وصيـــــة

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ ﴾

[١٢مريم]

منهاج السالكين*

منهاج السالكين

يـا مريـداً مـا قـد شـهدنا فاخلع النعل واستمع لمقالى

نحن والحمد الله جميعاً نريد أن نتحلى بحلل العارفين، ونذوق بعض جمالات المقربين، ونشم أريح ونسيم المجتبين والمصطفين، ونجلس على مائدة من موائد سيد الأولين والآخرين تدار علينا من أصناف المعارف الإلهية، والعلوم الوهبية، والأحوال الربانية ما به نكون جميعاً إن شاء الله من أهل المعية المحمدية، فما الباب يا إخوانى؟

هذا الكلام ربما قلته قبل ذلك مراراً وتكراراً، لكن نعيد لأن البعض كان غير حاضر، والبعض الآخر ربما كان غير قادر على أن ينفذ فربما لم يكن كل ما قيل جاء أوانه، ربما يكون جاء أوان التنفيذ.

فالبداية لأهل البداية، شرطها حتى تشرق عليهم أنوار النهاية ... لابد وأن تكون البداية فيها قوة عزيمة، وشدة فى أخذ الأوامر الإلهية والسنن المحمدية، ومن أجل ذلك قال الشيخ ابن عطاء الله ﷺ وأرضاه فى حِكمه:

{ من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة }

ولذلك فنحن نعرف صحة قصد المريد من البداية:

فالمريد الذى يأتى من البداية وعنده فتور، وعنده كسل، وبدأ سلوكه مع الله بالإعتذارات، نقول: ليس فيه فائدة كبيرة، وحتى فى الوظائف الحكومية، الموظف الجديد المحافظ على المواعيد وقائم بعمله، نقول هذا يمكن الإعتماد عليه، والموظف الذى يبحث عن الثغرات التى بها يهرب من العمل، فإن مستقبله لا يبشر بالخير إذا كان مصراً على هذه البداية، كذلك المريد فى طريق الله ﷻ:

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ ﴾ [١٢ مريم]

(يحيى) يعنى يا من تريد الحياة، فكل الذى يريد الحياة الإيمانية ويرغب أن يحيى فى الحياة الرضوانية النورانية لابد وأن يأخذ الكتاب، والكتاب يعنى تعاليم الكتاب وتشريعات الكتاب وأخلاق الكتاب، يأخذها بقوة عزيمة، فهذه هى البداية ... لابد أن تكون العزائم ماضوية.

أولاً: التحصين بحصون الشريعة المطهرة

فإذا كانت العزيمة قوية، ويريد الدخول إلى روض المعية، فأول شئ يعمله يحصن نفسه بالحصون الشرعية، وهذا ما يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ:

إلهى وأيدنى بشرعك ظاهراً ... لأشهد نور الوجه فى كل وجهة
إلهى بك اشغلنى عن الغير أفننى ... إلهى وحصنى بحصن الشريعة

فيعرف ما لابد له منه من أمور الشريعة حتى لا يفعل شيئاً عن جهل، لأن الجهل بأحكام الشريعة لا يعفى من الوزر، لماذا؟ لأن الله ﷻ أشار على الجاهل الذى لا يعلم الحكم أن يسأل العالم، وذلك بقوله ﷻ:

﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَۖ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٤٣ النحل]

فلابد أن أعرف ما لابد لى منه، ليس معنى ذلك أن أتعلم الشريعة لأجادل بها أو أفتخر بها، لا، ولكن كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

حصل العلم بعزم صادق ... لا تكن فى العلم كسلاناً ملول
حصل العلم بالقدر الذى ... يقتضيه الوقت لا قال يقول

فالعلم الذى تحتاجه الآن وفى هذا الوقت الطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة إذا كان عندك شئ تجب فيه الزكاة، وكذلك تحتاج إلى معرفة أحكام البيع والشراء، وآداب

معاملة الزوجة، وآداب تربية الأولاد، ومعرفة حقوق الجيران، وحقوق الأقارب، وصلة الأرحام، ومعرفة آداب العمل فى الإسلام، فأنت تحتاج إلى كل هذه الأمور، ولا غنى لك عن معرفتها.

ثانيا: معرفة الأذكار النبوية فى الأحداث الحياتية

يكمل هذه المبادئ التشريعية أن الإنسان يعرف الكلمات المقدسة التى كان يرددها سيدنا رسول الله ﷺ عند الأحداث والنوازل مثل:

ما الذى كان يقوله وهو خارج من البيت؟ وما الذى كان يقوله وهو داخل المنزل؟ وما الذى كان يقوله قبل الأكل؟ وماذا كان يقول بعد الأكل؟ وما الذى كان يقوله عند دخوله المسجد؟ وما الذى كان يقوله أثناء خروجه من المسجد؟ وما الذى كان يقوله قبل دخوله للمرحاض؟ وأيضا بعد خروجه من المرحاض؟ وماذا كان يقوله عند النوم، وكذلك عند إتيان زوجاته؟

وهذا الكلام لا يحتاج إلى معرفة، ولكنه يحتاج إلى تطبيق، فأعرف وأطبق على الفور، وأعلم أولادى معى على هذا النهج حتى أحصنهم، وأفضل كتاب فى هذا الباب كتاب الأذكار للإمام النووى حتى قالوا:

{ بع الدار واشترى الأذكار }[٢]

كثير من إخواننا اشتروه، ولكنهم ركنوه، فما الفائدة التى عادت عليهم غير أنهم أقاموا الحجة على أنفسهم؟ إنما المطلوب أن يشتروه وينفذوه، حتى تكون أنت الأذكار، أنت نفسك الأذكار، لأنك عندما تخرج من البيت وتقول:

﴿ بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ﴾

يقال لك:

(٢) وقد جمعنا هذه الأذكار فى كتابنا (أذكار الأبرار)

﴿ وقيت وكفيت وهديت ﴾ (٣)

وعند الذهاب إلى المسجد تقول:

﴿ اللهم بحق السائلين عليك، وبحق الراغبين إليك، وبحق ممشاى هذا إليك، فإنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، إنما خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فاغفر لى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم أجرنى من النار، وأدخلنى الجنة ﴾ (٤)

فأنا الآن لماذا أحفظ هذه الكلمات وأستطيع ترددها؟ هذا كله من التطبيق، لو مكثت فى يوم لا أقولها سوف أنساها، والذى يثبتها التطبيق.

إذاً يصير كتاب الأذكار صفحات فى صدور الأبرار لماذا؟ لأنهم يطبقونه على الدوام فى كل لحظة من اللحظات، وعندما ألبس أقول:

﴿ الحمد الله الذى كسانى ما أوارى به عورتى ، وأتجمل به فى الناس ﴾ (٥)

وألبس باليمين وأخلع باليسار، وعندما ألبس الحذاء لابد وأن أنفضه أولاً، لأن النبى ﷺ قال:

﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما ﴾ (٦)

والسبب فى ذلك أنه جاء فى مرة من المرات يلبس نعله فجاء غراب من السماء فاختطف النعل وطار بها فى الهواء فسقطت من داخلها حية، فبعدها قال ﷺ هذا الحديث المشار إليه آنفاً، ومرة نسيت هذه السنة سهواً، ولبست الحذاء ولم أنفضه فأحسست بشئ فى داخله يؤلمنى بوخذة، فخلعت الحذاء وإذا بى أجد بداخله خنفساء فعزوت هذا لعدم قيامى بتنفيذ السنة.

---

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة ﷺ

(٤) رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى ﷺ

(٥) رواه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة والترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ

(٦) مسند الشاميين عن أبى أمامة ﷺ

إذاً المطلوب مع العمل بالأحكام الشرعية، أن أنفذ الأذكار النبوية فى حركاتى وسكناتى:

وهى تملأ علينا كل شئون الحياة، فهناك أذكار عند الريح، وأذكار عند الزلزلة، وأذكار عند نزول المطر، وأذكار عند الخسوف، وأذكار عند الكسوف، وهكذا، وكل هذا موجود فى كتاب الأذكار، والمطلوب أن نتصفحه حتى نكون من الأبرار إن شاء الله.

ثالثاً: المطعم الحلال

فبعد الشريعة والأذكار لابد أن أحكم الأصل الأول، وإلا ضاع عملى هباء منثوراً، وما الأصل الأول؟ اللقمة الحلال، فقد قال ﷺ:

﴿ لكل شئ أساس، وأساس هذا الدين المطعم الحلال ورب لقمة حرام يأخذها الإنسان لا يلقى لها بالاً لا يتقبل منه عمل لمدة أربعين يوماً﴾ (٧)

فالذى يتعبد أو يذهب لمجالس الخير فلا قيمة لعمله ما دام لم يراع هذا الأصل.

ونحن لا نبتعد عن الحرام فقط ولكننا من أهل إتقاء الشبهات.

ومن أراد معرفة المزيد من أصناف الشبهات فعليه بالتوضيح الشافى الذى وضحه فضيلة الشيخ/ مُحَمَّد على سلامة فى كتابه (مصابيح على طريق الإيمان) ومن أراد المزيد فى جماع هذا الباب كمعرفة الحلال والحرام والورع وأصنافه فعليه بكتابنا (مائدة المسلم بين الدين والعلم).

فالمسلم يتقى الشبهات، قال ﷺ:

﴿لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس ﴾ (٨)

(٧) أخرجه الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما
(٨) رواه ابن ماجة

والذى لا يستطيع أن يحافظ على المطعم الحلال فعليه أن يرح نفسه من الآن لأنه ليس له نصيب فى طريق الصالحين ولا طريق المتقين ولا حتى طريق المسلمين، قال ﷺ: إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال للمرسلين فى (٥١المؤمنون):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾

وقال للمؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾[١٧٢ البقرة]

وما الطيبات؟

هى الحلال ... أى لابد وأن تكون من طريق حلال.

فلا تكون من سرقة ولا من غش ولا من نصب ولا عن طريق سيف الحياء، وهذه تكون كثيرة فى الصناع!!

مثلاً رجل يعمل عندى فأسأله عن أجره: كم يا فلان؟ فيقول الذى تدفعه، الذى تدفعه يعنى طمعان، الشغله تساوى خمسة جنيهات، أعطيه عشرة وأقول له خذ ما تريد فيأخذها ويمشى وينتهى الأمر على ذلك ... هذا حرام لأنه استحل الزيادة عن أجره بغير حق وبغير رضى نفس منى وأخذ رزقاً حراماً لأنه لم يشترط، وعليه أن يأخذ أجر المثل، أى مثل ما يأخذ غيره ولا يأخذ زيادة.

وهذا المال لا حرمة فيه إذا قال لى: هات خمسة وأنا أعطيته عشرة، ولكنه قال أعطينى ماشئت فأعطيته عشرة وقلت له خذ ما يكفيك فأخذ العشرة مستغلا طيبتى وتمسكى بإيمانى وشدة حيائى، فعليه أن يستوضح الناس كم يأخذون ويأخذ مثل الناس فى هذه الصنعة أو هذه العملية، ويأخذ مثل غيره.

هذه الصفة انتشرت فى المجتمع، فالصناع يريدون أن يأخذوا من الناس بأى طريق، فهذا حرام يا إخوانى لا يرضى عنه الله ولا يرضى عنه رسول الله ﷺ.

رابعاً : حسن القيام بفرائض الله ﷻ

فإذا أحكمنا الأساس وهو المطعم الحلال، فنتجه بعد ذلك إلى إتمام الفرائض، الحديث الذى يرويه سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ:

﴿ يا رسول الله ما أحب الأعمال إلى الله؟ قال الفرائض لوقتها ﴾ (١١)

فعلى السالك الراغب فى فضل الله ﷻ، والطالب لمعية رسول الله ﷺ، والمقتفى أثر رجال الله الصالحين أن يحافظ على الصلوات المكتوبات فى جماعة وفى بيت الله ﷻ عند أول الوقت، أى لا يؤذن المؤذن عليه إلا وهو فى المسجد متهئ للصلاة وهذا هو المقام الأعلى، أو يبادر عند سماع الأذان إلى المسجد وهذا هو المقام الأدنى.

وعلى هذا النهج كان ولا يزال الصالحون فى كل زمان ومكان، فلم نسمع عن أحد من الصالحين السابقين أو اللاحقين الحقيقيين أنه رضى لنفسه أن يتنزل عن المقام العلى وعن الصف الأول فى مواجهة الأول ﷻ، بل لابد أن يكون فى الصف الأول على الدوام بين يدى الله مهما كانت الظروف ومهما كان السهر، وقالوا فى ذلك: (كل سهر يمنع عن صلاة الفجر حاضراً فهو سهر فى معصية الله ﷻ)

وشغلهن بغير ذكرك قاطع سهر العيون لغير وجهك باطل

أى فالعين التى تشتغل بغير ذكر الله فى سهرها، أو بغير المسارعة إلى تنفيذ أوامر الله فى ليلها يكون سهرها هذا باطلاً يا إخوانى، إذاً لابد من الفرائض فى وقتها فى جماعة وفى بيت الله حتى أضمن القبول إن شاء الله لأننى لو صليت بمفردى لا أعرف هل تقبل أم لا؟ وحتى لو قبلت فلن أستطيع أن أتم خشوعها المطلوب لله ﷻ، لكن فى الجماعة فالصلاة مضمونة ومقبولة، فلو كان فيها رجل صالح يتقبل الله صلاته ويقبل صلاة الجميع من أجله، قال ﷺ:

(١١) متفق عليه

﴿ ما اجتمع أربعون رجلاً من أمتى إلاّ كان فيهم رجل صالح ﴾ (١٢)

من أجل ذلك نبحث عن المساجد الكبيرة التى فيها الأربعون وليس عن الزوايا الصغيرة التى فيها عشرة أو خمسة، بل المسجد الذى فيه أربعون حتى نضمن أن الصلاة مقبولة إن شاء الله.

خامساً: التقرب إلى الله بنوافل البر

فقلنا يا إخوانى:

إن الأساس الأول هو الشريعة: فلابد أن نتحصن بحصن الشريعة.

الأساس الثانى: الأذكار.

الأساس الثالث: المطعم الحلال.

الأساس الرابع: الفرائض فى مواقيتها.

والمطعم الحلال، أو ترك الحرام بالكلية يعنى المطعم الحلال مع ترك الذنوب والآثام، هذا شئ طبيعى لأن الذى يقوم بالفرائض وفى نفس الوقت يقع فى الذنوب والآثام يكون ما يفسده أكثر مما يصلحه:

﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ [٣١ النساء]

فإذا حافظت على الفرائض وهذه هى الأساس، وأريد أن أدخل فى رياض المقربين بأن أدخل فى الحديث القدسى الذى يقول:

﴿ ما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى

(١٢) رواه الخليلى عن ابن مسعود والسيوطى فى الجامع الصغير

يتقرب إلى بالنوافل (التى سيأتى ذكرها) حتى أحبه ﴾ (١٤)

فإننى أدخل فى دائرة النوافل، وما النوافل المطلوبة هنا؟ ﷺ

ختام الصلاة ولابد من المحافظة عليه، والسنن اللاحقة بالصلاة القبلية والبعدية، وأحافظ على سنة الضحى وسنة الوتر، وإن استطعت أن أصلى ولو ركعتين فى جوف الليل الآخر حتى أكتب فى ديوان القائمين لله ﷻ، فلكى أحصل على مجموع النوافل كلها تقريباً ... فالضحى لا أتركها، والوتر لا أتركه، وإن استطعت ألا يفوتنى صلاة الليل ولو بركعتين لا أترك ذلك أبداً فقد قالوا:

{ ركعتان بالليل خير من ألف ركعة بالنهار }، وقالوا أيضاً:

{ ركعتان بالليل خير من الدنيا وما فيها }، وقيل:

{ ومن صلى بالليل والناس نيام رفعت له يوم القيامة الأعلام }

و قال ﷺ:

﴿ بشر المشاءين فى الظلام بالنور التام يوم القيامة ﴾ (١٥)

وبعد هذه النوافل نختم ختام الصلاة الطويل للإمام أبى العزائم بعد الفجر، فالإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه كان هذا نهجه على الدوام يصلى الفجر فى جماعة ويختم هو وأحبابه فى جماعة وبعد الختام مباشرة يقرأ الصلوات والفتوحات (*)

التى أوردها عن النبى ﷺ، ولكن كيف يقرأها؟ وكيف يختم؟

هناك قراءة للعادة، وهى أن تقرأ كعادة وتختم كعادة أى تريد أن تؤدى ما عليك فقط وهذه القراءة لا تعود على صاحبها بالفتح، وهناك تلاوة للفتح وفيها لابد أن تترنم وتخشع وتتأنى وترتل حتى تحس بالحلاوة وتنزل على قلبك هطول الغيوث الربانية وأنواع

---

(١٤) متفق عليه عن حديث أبى هريرة ﷺ

(١٥) رواه أبو داود ، والترمذى ، وأبو يعلى ، والدار قطنى ، والبيهقى عن بريدة ﷺ

(*) ختام صلاة الفجر والأوراد والفتوحات والصلوات موجودة فى كتب أوراد الأخيار، وجاكع الأذكار والأوراد

الرحمات القدسية فتجدها نازلة على قلبك وتحس ببرد تنزلاتها فى صدرك أثناء قيامك بتلاوتها وتتذوق من حلاوة الإيمان ومن رحيق الإحسان ومن صفاء الإيقان ما لا يشعر به الأولون ولا الآخرون.

فإذا كنت متعباً فلا يفوتك أن تؤدى قبل النوم الجزء الخاص بأدعية الصباح الواردة عن سيدنا رسول الله ﷺ ثم تنام.

وبعد أن تستيقظ فأمامك متسع من الوقت حتى صلاة الظهر تكمل فيه ختم الصلاة الطويل والصلوات بخشوع وبترتيل وبتأنى وبترنم.

وهناك أيضاً نافلة أخرى ألا وهى الصيام:

لابد أن يكون لى نصيب من الصيام ولو على الأقل ثلاثة أيام كل شهر، وهذا هو الحد الأدنى للسالكين يا إخوانى مهما كانت الظروف.

والثلاثة أيام إن شئت مجتمعين أو متفرقين يوم فى أول الشهر أو فى وسطه أو فى آخره كما يروق لك، الإثنين من كل أسبوع جائز، كل يوم خميس جائز المهم أن نرعى آداب السياحة أثناء الصيام، فمن آداب السياحة ألا أحضر عند أخى وأنا صائم فنحن نأتى إلى المسجد على المغرب وبعد المغرب الدرس، فإذا كنت صائماً آخذه وأطلب منه يجهز لى إفطاراً وأعطله وهو يرغب أن يسمع الدرس، فهذا الأمر ليس له داعى فى مثل هذا اليوم. فإذا كان الأخ ذاهباً لزيارة أخيه فمن السنة أن أذهب إليه مفطراً حتى يعطيه الفرصة للإكرام، بل من السنة ألا أذهب لأزور أحد فى اليوم الذى أنا صائم فيه نهاراً، لماذا؟ حتى أعطيه الفرصة ليكرمنى وليظهر كرم الله علىّ، فالذى يخرج لسياحة مثل هذه فلا داعى لصيامه فى ذلك اليوم، إنما يصوم فى يوم آخر غير هذا اليوم لكن لا يخلى نفسه من صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وقال ﷺ:

﴿ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ؟ صَوْمُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ﴾ (١٦)

(١٦) سنن النسائي الصغرى عن عمرو بن شرحبيل

يذهب الإحن والأضغان الموجودة فى الصدر ، وقال ﷺ:

﴿ صوم شهر الصبر (أى رمضان) وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله ﴾ (١٧)

يعتبر كصيام السنة كلها، إذاً لا يخلى نفسه من هذا القدر.

وأيضاً لابد أن يكون له فى كل يوم وقفة مع كتاب الله، والحد الأدنى كما قال الصالحون أن يقرأ القرآن مرة كل ثلاثين يوماً، أى كل يوم جزءاً من القرآن ... قراءة بتدبر وبتأنى وبتفهم، وإذا لم يقرأه هنا متى سيقرأه؟ عندما يموت !!!!!

وكذلك لا بد أن يكون له نصيب من علم الله ﷻ، فيقرأ ولو صفحة فى كتاب، ولو باب لقوله ﷺ: ﴿ كل يوم لم أزدد فيه علماً بربى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم ﴾ (١٨)

و قال ﷺ: ﴿ لأن تغدو (يعنى تصبح) فتقرأ باباً من أبواب العلم خير لك من أن تصلى مائة ركعة ﴾ (١٩)

منزلة العمل عند السالكين

فمع أنى أختم الصلاة، وأقرأ الصلوات، فإننى أتجه إلى عملى ويرن فى أذنى قول الله ﷻ:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ [١٠٥ التوبة]

لأنى لو قصرت فى عملى فإن رزقى سيصبح حراماً، فأنا أؤدى عملى كما ينبغى حتى يبارك الله ﷻ فيه على قدر ما كلفنى الله ﷻ به، وعلى قدر التكليف الذى كلفنى المسئول فى العمل به.

(١٧) رواه أحمد وابن جرير ، والبيهقى عن أبى هريرة ﷺ
(١٨) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم فى الحلية ، وابن عبد البر فى العلم من حديث عائشة
(١٩) رواه أحمد وابن جرير ، والبيهقى عن أبى هريرة ﷺ

سادساً: استحضار صورة المرشد

وهناك شئ آخر مهم وهو أساس الفتح للصالحين:

وهو أنه لا بد عند كل عمل من الأعمال الصالحة من الإستحضار على لوحة الخيال لصورة المرشد لأن هذه هى باب الفتح الأعظم، فالمرشد هو الباب الذى يأتيك منه الوارد من سيدنا رسول الله ﷺ، وكونك استحضرته يعنى فتحت باب الفضل الإلهى لك، وقد قال الإمام أبو العزائم ﷺ فى هذا الشأن:

((استحضار صورة المرشد يمنع واردات الحس عن القلب))

أى يجعل الحواس مشغولة لا تأتى بشئ من الخارج تورده للقلب فيكون الحس تحت سلطان القلب، والقلب يتلقى من الرب ﷻ، وأسرع براق للإلتحاق بالرفاق وللتلقى من حضرة الخلاق هو صورة المرشد الدال على الله ﷻ، وإن كان المرشد فى نظرك رجل فقير أو مسكين لكنها حكمة الله ﷻ.

فالإمام أبو العزائم ﷺ عندما ذهب ليزور سيدى ياقوت العرش، وكان رجلاً حبشياً وسيدى أبو العباس أتى به من بلاد الحبشة بريح، لأن الله قيده عنده بأنه سيكون خليفة الزمان، حتى أن سيدى أبو العباس ساعة ما ولد فى الحبشة أمر أولاده أن يصنعوا ثريداً ولحماً، ولما سألوه قال: اليوم ولد ياقوت العرش ببلاد الحبشة، قالوا: ومن ياقوت العرش؟ قال خليفتى، وكان هناك تجار يأخذون الأولاد الصغار من الحبشة ويبيعونهم عبيداً فأخذوه ضمنهم، وكان قوى البنية، فهاجت الريح والسفينة فى البحر الأحمر، فقال التاجر: إذا أنجانا الله سأعطى هذا العبد لسيدى أبى العباس المرسى، وفى الحال سكنت الريح وسارت السفينة، وبعد قليل جاء لياقوت مرض فى رأسه، فقال التاجر فى نفسه سأعطى للشيخ هذا العبد المريض؟! لا، سأختار واحداً أحسن وأقوى وهذا هو الذى ينفع، وقد وصلت السفينة قرب العصر إلى الإسكندرية، فقال الشيخ لأتباعه هيا بنا نتريض على البحر، وعندها وصلت السفينة قام التاجر وقال للشيخ يا سيدى

ببركتك أنجانا الله ﷻ وهذا العبد هدية لك، فقال الشيخ: لا! نحن نريد الذى نذرته لنا، فجاء به، فخلع عنه عمامته ووضعها على رأسه فطابت رأسه فى الحال، فأخذه وتولاه ورباه وزوجه ابنته، وصار وارثاً لحاله، ولذلك لما ذهب الإمام أبو العزائم ليزوره فى ضريحه المبارك قال فى شأنه:

تواضعت رب العرش أعليت بالفعل جعلت ترب الأرض للعالم القطبا

فهو تراب صحيح ولكنك جعلته القطب، أنت لك مطلق التصريف فى الموجودات فتفعل فيها ما تشاء وتصنع بها ما تريد:

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [١٢٤ الأنعام]

﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ [٢٤ الأنبياء]

لماذا طرد إبليس؟ هل كفر بالله؟ لا، بل لأنه لم يسجد للعبد الذى أقامه الله، وهذه قال فيها الإمام أبو العزائم ﷺ:

((عجبت لمن سجد لواحد فأشرك، ولمن سجد لإثنين فوحد !!!))

قالوا كيف؟

قال: إبليس أبى أن يسجد إلا لله، ولما قال له اسجد للعبد أبى فأشرك وبعد عن رحمة الله، والملائكة يسجدون لله وأمرهم الله أن يسجدوا للعبد فسجدوا فوحدوا.

وهكذا هو الأمر يا إخوانى ... فبعد النفوس عن حضرة القدوس معظمه لعدم تسليمهم لأمر الله فى اختيار الله وفى اصطفاء الله للرجال الذين يقيمهم الله ﷻ لتجديد دين الله ﷻ، والله قطع الأمر فقال:

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾

فهذه إرادته وتلك مشيئته وأنت ليس لك من الأمر شئ، هذا هو اختياره وهذا

هو انتقاؤه وهذا هو اصطفاءه ﷻ.

فصورة المرشد هى المفتاح الذى يفتح للسالك كل خزائن عالم الأرواح.

ونحن قد جربناها يا إخوانى والحمد لله، وما نحن فيه فهو من هذا الباب لا من عمل ولا أمل، فأنا رجل فقير لا أستطيع أن أعمل ولا أن أتعبد ولا غيره، وكل ما فى الأمر أن يستحضر السالك صورة المرشد فيجد أن كنوز السموات والأرض العلية كلها مفتحة.

وإذا استحضر السالك صورة المرشد فى أى مهمة أو أى ملمة فإنها تفرج فى الحال وكأنه كلمة السر التى يجيب بها الله ﷻ المضطر، ولذلك كان الصالحون السابقون يبينون ذلك فيقولون:

{ إن استحضار صورة المرشد هو بمثابة اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى }

فقد سأل خاصة المريدين شيخهم الشيخ مُحَمَّد البكرى – وكان قطب وقته – فقالوا: ما اسم الله الأعظم؟ فقال لهم أنا، فاسألوا الله بى ﷻ فإنه يجيبكم فى الوقت والحال.

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى ﷺ وأيضا سيدى أبو العباس المرسى يقول كل منهم لتلاميذه:

{ توجهوا إلى الله ﷻ بنا فى حاجاتكم يقضيها لكم }

نحن طبعا لم نصل إلى هذا المقام ولكنى أبين مكانات العارفين ﷺ وأرضاهم، فلابد للإنسان يستحضر صورة المرشد:

عند تلاوة القرآن وعند الذكر وعند قراءة الصلوات وعند العلم عندما يدرس العلم وفى أى أمر من الأمور حتى يتمثله ويحتذى حذوه ويتأسى به.

فهذه هى الصورة المعتمدة فى حضرة الله ﷻ.

فمثلاً ... فالجنيه الذى عليه صورة الملك فاروق كان معمولاً به فى عصره أما الآن هل ينفع فى زماننا؟! وإذا ذهب به أحد إلى البنك ليتعامل به ما الذى يحدث له؟

يقبضوا عليه فوراً لأنه رجل مزور، فالعملة المسموح بتداولها فى الملك والملكوت هى الصورة المعتمدة أى العبد المقام من لدن سيدنا رسول الله ﷺ، فالإقامة للعبد من الله ﷻ على يد سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

هذه النقطة مهمة وقد أطلت فيها بعض الشئ لأنها هى الأساس ولا أحب أن أتكلم فيها كثيراً لأن بعض النفوس الضعيفة يتوهمون أننا عندما نتكلم فى هذا الأمر فنحن ندعو لأنفسنا، أبداً نحن نحق الحق والحق أحق أن يتبع ونحن مأمورون ألا نغش والدين النصيحة فهل نغش إخواننا؟ أم لابد أن نبين لهم الطريق الذى سلكناه؟

هذا هو مبدؤنا، ولو كتمت شيئاً فإننى أكون غاشاً لإخوانى .... !! وهذا علم لا يجب كتمه! ... وإن كان من علوم الحقيقة !!! ... لأنه هو الأساس فى طريق الله ﷻ كما وضح وبين ذلك كل السابقين واللاحقين ... وكلهم اتفقوا على هذا الأصل ولا يوجد بينهم اختلاف.

سابعاً: الأخلاق الفاضلة

وبعد ذلك:

- يلتزم بالنهج المحمدى مع زوجته.
- وبالخلق النبوى مع أولاده.
- والأخلاق المحمدية فى تعامله مع جيرانه وأقاربه حتى يدخل فى عباد الرحمن.

– ولما يسير على هذا المنهاج وينجح فيه، ... وهذا هو المنهاج الأول ينتقل تلقائياً إلى المنهج الثانى وهو منهاج الواصلين، ... وفيه يتوقف العمل باللسان!! .. ويصبح العمل بالقلب والجنان .. !!!، وهذا ليس وقته الآن وليس شأنه الآن.

نسأل الله ﷻ أن يصلح أحوالنا، وأن يقوم أخلاقنا، وأن يهذب نفوسنا وطباعنا

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

وصـــيَّة

إذا أقبل علينا أخُ جديد، فالمفروض أن الأخ الذى يأتى به سالكٌ على هذا المنهج فعليه أن يتولى تلقينه هذا المنهج من نفسه وهذا إذنٌ منا بذلك لجميع الإخوان.

ويتبقى بعد ذلك أنك إذا كنت ملتزماً بهذا المنهج فستمنحه عند التلقين روح العمل بالمنهج، وأنت ربما لا تشعر فيعمل به ويعينه الله ﷻ على أداء هذه الأحكام.

وهذا هو منهاجنا جميعاً يا إخوانى فى الدعوة إن شاء الله رب العالمين ..

ويكون لك بعد ذلك الثواب الذى أشار إليه رسول الله ﷺ فى قوله:

((لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها)) (٢٢)

وفقنا الله وإياكم للعمل لما يحبه ويرضاه .

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

(٢٢) رواه أحمد من حديث معاذ وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد بلفظ " لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم "

جهاد المقربين

جهاد المقربين

نـــار المـجاهـــــدة

تـــزكيـــة النفـــس

ميزان قبول الأعمال

شهوات النفس الخفية

الشـــــرك الخـــفى

تهـــذيـــب النـــفس

الباعث على الجهاد

معـرفـــة النفـــس

صفات أهـــل القرب

صورٌ من جهاد العارفين

وقـــت السحـــــر

الإستغفار عقب العبادة

قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

علمت نفسى أنى كنت لا شئ

فصرت لا شئ فى نفسى وفى كلى

به تنزَّه صرتُ الآن موجـــوداً

به وجودى وإمدادى به حولى

ومن أنا عـــدمٌ الله جمَّلنى

فصـــرت صورته العليا بلا نيل

جهاد المقربين

جهاد المقربين

فإن رمت الوصول إلى جنابى فهذى النفس فاحذرها وعادى

سيدنا أبو اليزيد البسطامى ﷺ وأرضاه ، وقد صار من كبار العارفين بالله حتى صار بينه وبين الله دلال ووداد، وصل به إلى أن قال له العلى القدير:

يا أبا يزيد لو أنبأنا الخلق بمحبتنا لك لقتلوك.

فقال ﷺ وأرضاه: ولو أنبأتهم بسعة رحمتك ما عبدوك، فقال: يا أبا يزيد لا نقول ولا تقول .

أنظر إلى الدلال والوداد وصل إلى أى مدى !! حبيب يخاطب حبيبه على بساط القرب والمناجاة ولا رقيب ولا واشى ولا غواشى بل ولا خلأ ولا ملأ !!!

هذا الرجل الذى وصل إلى هذا الحال فى بدايته كان مثلنا وقال:

{ طلبت الوصول إلى الله وأخذت فى العبادات والمجاهدات والمكابدات وظننت أنها الطريق الموصل إلى الله ...

– مثل معظم الناس الذين يظنون أن الطريق الذى يوصل إلى الله هو العبادات والإكثار منها والمجاهدات –

قال وفى ليلة من الليالى رأيت المولى ﷻ فقلت: يارب أريد القرب من حضرتك، فقال: يا أبا يزيد أترك نفسك وتعالَ.}

فإنا لا نُجلس على هذا البساط إلا من ترك نفسه وجاء بروحه وقلبه.

نـــار المـجاهــدة

فعرف أن المدار كله على جهاد النفس فأخذ يجاهد نفسه وظل يجاهد نفسه كم من الوقت؟ قال: جاهدت نفسى عشرين عاماً، كيف كنت تجاهدها؟ قال: كنت حداداً على نفسى (حداد يعنى وضعها فى النار !! ويظل ينفخ عليها بالكير لكى يسويها) ... !!!

{ كنت حداداً على نفسى عشرون عاماً ثم تنعمت بها بعد ذلك }

لكن الناس يريدون أن يتنعموا بما تنعم به العارفون وحديدهم بارد لم يدخل فى النار، هل هذا ينفع؟ لا، فالحديد لكى أشكله ماذا أفعل فيه؟

لازم أدخله النار وأصهره إلى درجة الإنصهار، فالنفس حديدة الطبع، حديدة الخلق، حديدة العادات، ولكى ألين طباعها وألين عاداتها وألين أخلاقها حتى أطبعها بالطبعة المحمدية وأخلقها بالأخلاق الربانية وأهذبها بالكمالات الإلهية لازم أدخلها نار المجاهدة .

ونار المجاهدة بعدها نور المشاهدة .

نار ونور ... والاثنان نفس الكلمات، فالنار للمجاهدة ... ويحدث منها النور للمشاهدة .... ما الفرق بين النار والنور؟

النار فى البداية وبعدها تصفو، ماذا يكون؟ نور، حينما نوقد النار فى الأول يكون فيها دخان وغيره ، لكن بعدما تصفو ماذا تكون؟ نور خالص، فالنفس يا إخوانى كما قال الحكماء:

أدب النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

فأنت إنسان عند الله بماذا؟

بنفسك الزكية.

ولذلك فإن أصحاب رسول الله صلوات الله عليه ورضى الله عنهم أجمعين صعدوا على درج الكمالات الإلهية وعلى رفرف العنايات الصمدانية بماذا؟

بجهادهم لأنفسهم.

سيدنا رسول الله ﷺ مكث معهم فى مكة ثلاث عشرة سنة، مكث معهم اثنتى عشرة سنة وبعدها فرضت الصلاة، وبعدما هاجر بسنتين فرض الصيام، وفرضت الزكاة، وبعد الهجرة بثمانى سنين فرض الحج، إذاً ماذا كان يفعل معهم فى هذه الاثنى عشر سنة؟

تـــزكيـــة النفس

كان فاتحاً لهم مدرسة اسمها مدرسة تزكية النفوس وتطهيرها من لقسها لتطيب فتدخل رحاب حضرة القدوس، لأن العبادات التى يكلف بها الإنسان بعد ذلك عندما نبحث فى قانون القبول لهذه الأعمال، ماذا قال الله فيه؟

من الذى ينجح عندك فى العبادات؟ من الذى يفلح؟ النجاح عند الله اسمه الفلاح، قال: هل تريدون أن تعرفوا؟ قلنا: نعم .قال:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى]

فالذى يريد أن يفلح فى العبادات ... وينال بها رفعة الدرجات ... ويصعد بها إلى منتهى الكمالات ... ويرقى بها إلى حضرة الذات ....:

لابد أن يمشى على هذا المنهج:

- يزكى نفسه أولاً .
- وبعد ما يزكى نفسه يتعبد!!

فهذه هى العبادة الخالصة، لأنها بعدما يزكى النفس، والتزكية تعنى التطهير فتزكية النفس يعنى تطهيرها، ومم أطهرها؟ من صفاتها السيئة، من الأحقاد ومن الأحساد ومن الغضب ومن الشهوة ومن الشره ومن الجشع ومن

الغش ومن الخداع ومن الرياء ومن حب الشهرة ومن طلب الظهور، كل هذه الصفات هى التى تقطع الإنسان.

ميزان قبول الأعمال

فعندما نزن أعمال العباد بالموازين الحقية، كالصدق والإخلاص وغيرها نجدها لا ترقى إلى درجة القبول! لماذا؟ لأنهم لم يجاهدوا قبلاً فى تزكية نفوسهم من الصفات التى تحبط الأعمال، فمثلاً الذى يخرج للحج كيف يتحقق له القبول؟ إذا علم الموازين المحمدية التى بها يحبط العمل وتجنبها وعرف علامات القبول فاهتدى بها وحرص على العمل بها، فمن موجبات عدم القبول قوله ﷺ:

﴿ يخرج الناس إلى الحج فى آخر الزمان أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وقراؤهم للسمعة وفقراؤهم للمسألة ﴾ (٢)

وهؤلاء كلهم خارج الميزان ..!!

فإننى لا أخرج للحج لكى يقولوا لى عندما أرجع الحاج فلان وإلا فإذا كان الحج لقب فإننا يجب أن نقول الحاج أبو بكر والحاج عمر، هل حجوا أم لا؟ لقد حجوا مراراً وتكراراً، وكذلك هل الحج أهم من الصلاة ؟ الصلاة، إذاً فالمفروض أن نقول المصلى فلان والمزكى فلان ... !!

إذاً لماذا أنا خارج للحج؟ لله .!!

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [١٩٦ البقرة]

لله أى لرضاء الله ولنيل القبول عند الله ولطلب الوصول بحضرة الله وللإتصال والوصول بأهل مقامات الكمال فى حضرة الكبير المتعال، فالأعمال عندما تريد أن تزنها زنها بصنجة الإخلاص:

(٢) رواه الخطيب والديلمى عن أنس ﷺ .

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [٣ الزمر]

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [٥ البينة]

ولكى أصل إلى مقام الأخلاص فعلى بجولة كبيرة مع النفس لأطهرها من شهواتها.

شهوات النفس الخفية

النفس ماذا تحب؟

قالوا: تحب أشياء كثيرة:

أول شيء تحب الظهور والشهرة:

تريد أن تُعرف، تريد من الناس أن يعرفوا أن فلانا هذا رجل يقوم الليل أو رجل يختم القرآن كل أسبوع مرة أو رجل ينفق على الفقراء والمساكين، وحتى لو أنك عملت عملاً فى السر تظل وراءك حتى تذكره لإنسان ولا تستريح هى أبداً إلا إذا ذكرته لأحد .. وقد ذكر ذلك هذا الحديث الشريف الذى قال فيه ﷺ:

﴿ إذا عمل أحدكم عملاً بينه وبين الله فلا يزال الشيطان به حتى يذكره فإذا ذكره حبط عمله ﴾ (٦)

لأن الشيطان يريد أن يفسد عليك الأمر.

فالناس ماذا تحب؟ تحب الظهور، فواحد مثلى إذا خطب خطبة يريد بعد أن ينتهى منها أن يقول له الناس: يا سلام، اليوم أنت أبدعت، أنت اليوم ولا الشيخ فلان ولا العالم فلان ولا الواعظ فلان، هذا الكلام يطرب النفس جداً وتحب أن تسمع مثل هذا الكلام وتريد أن تستزيد منه .. !! ، حتى إذا لم يقله أحد فإن النفس تطلبه فتقول: ما رأيك يا فلان فىَّ اليوم؟ كيف كانت الخطبة اليوم؟

(٦) رواه صاحب كشف الخفاء .

لأن النفس تريد أن تتلذذ بهذا الحديث ... فهذه لذة النفس :

- ولذتها فيها حتفها وهلاكها والعياذ بالله.
- وفيها بعدها عن حضرة القرب والمناجاة لحضرة رب العالمين وحضرة خير المرسلين ﷺ .
- وهى تتطلب من الإنسان أن يكون واعيا لها وحريصاً منها.

وكذلك تريد أن تظهر فى المقدمة فتجلس فى مكان ظاهر وواضح فى مجلس مثل مجلسنا هذا وإذا لم يقدمها أحد وقال تعالَ هنا أو هنا يا فلان يحصل عندها شئ من الضيق لأنها تريد أن تظهر بأى بطريقة.

وحب الظهور قال فيه الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

{ حب الظهور يقسم الظهور }

ما الذى يكسر ظهر الإنسان ولا يجعله يصل إلى الله؟

حب الظهور لأنه مادام عشق الظهور فيكون عمله من أجل الظهور!!

- يريد أن يقرأ من أجل أن يقول ويظهر !!
- ويريد أن يعمل ليظهر أنه يعمل !!
- ويريد أن يتحرك لكى يظهر أنه يتحرك !!!

وهذا العمل يصبح لله أم لغير الله يا إخوانى؟

يصبح لغير الله لأنه لشهوة خفية وهذه هى التى يقول فيها الله ﷻ واسمعوا الآية بآذان صاغية وواعية ماذا يقول فيها:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [١٠٦ يوسف]

الشرك الخفى

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [١٠٦ يوسف]

أكثر المؤمنين مشركون، كيف يكونوا مشركين وهم مؤمنون؟

عند نزول هذه الآية ذهب أصحاب رسول الله مسرعين إلى مولانا رسول الله ﷺ وقالوا كيف يكون هذا؟

قال لهم: { إياكم والشرك الخفى }، فهناك داء خبيث اسمه الشرك الخفى وليس الشرك الظاهر فالشرك الظاهر واضح وهو أن يعبد غير الله لكن هناك شئ اسمه الشرك الخفى.

ومن مظاهر الشرك الخفى الرياء والعجب.

فالعجب يعنى إعجاب الإنسان بعمله لأنه مسرور من نفسه وعندما يقوم بعمل يحس بزهو وخيلاء في نفسه وهذا اسمه العجب لأنه معجب بنفسه وهو يورث الغرور والميل إلى المباهاة والكبرياء.

والرياء يعنى العمل لغير الله أى لأجل الخلق أو لأجل الظهور أو لأجل الشهرة أو لأجل الحصول على غرض من الأغراض كالحصول على مال أو الحصول على منصب أو الحصول على غيره وهذا هو الرياء.

وهذا الشرك ما شكله؟ وما نظامه؟ قال ﷺ فى وصفه:

﴿ الشرك أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ﴾ (٨)

هذا هو الشرك الخفى.

والشرك أخفى من دبيب النمل أسرع فراراً منك للتوحيد

(٨) أخرجه أحمد، والطبرانى من حديث أبي موسى ﷺ

فحتى نكون موحدين توحيداً صحيحاً لابد أن نتخلص من هذا الشرك كله.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يلاحظون هذه المواطن بصورة غريبة:

فسيدنا عمر ﷺ فى يوم من الأيام وهو أمير المؤمنين دعا الناس وصعد المنبر، وبعدما صعد المنبر خطب خطبة قصيرة جداً، ماذا قال فيها؟ قال لهم: كنت أسمى عميراً وكنت أرعى الغنم على بضع قراريط آكل بها – يعنى نقود قليلة لأن القيراط نوع من العملة الصغيرة – واليوم صرت عمر المدعو أمير المؤمنين، فلما نزل سألوه: لماذا قلت هذا الكلام؟فقال: إن نفسى نازعتنى الظهور فأحببت أن أبين لها حقيقتها أمام الناس لتتضرع إلى خالقها وباريها ﷻ !!

هل أحد منا يستطيع أن يفعل مثل ذلك الآن؟ ... !! من منا يستطيع أن يفعل مثل هذا الآن؟

تهذيب النفس

وهذا يا إخوانى مبدأ السلوك عند العارفين فعندما يأتى إليهم أحد من المريدين ويريد أن يصل إلى رب العالمين، فأول خطوة يتخذونها معه يقولون له: نحن نريد أن نرتاح من نفسك لأنها طالما هى معك فهى شريك متعب، نحن نريدك لوحدك:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ ﴾ [٢٩ الزمر]

فيقولون له: نحن نريد رجلاً لرجل لا نريد فيه شركاء، لا نريد أن يشاركنا فيك النفس وغيرها، نحن نريدك بمفردك.

ولذلك فإن الإمام الغزالى ﷺ وأرضاه، وكان عالم بغداد وكان يحضر مجلس علمه كما ذكرت الكتب ما يزيد عن عشرة الأف نفس لشدة تأثير وعظه وسحره فى النفوس،

وطبقت شهرته المشارق والمغارب، لما جاء يسلك طريق القوم دله الله على رجل فقير من فقراء الصوفية فذهب إليه وقال له: أريد أن أسلك الطريق، فقال له: لماذا؟ وهل أنت محتاج للطريق؟ إنك رجل عالم، عالم كبير جداً.

الباعث على الجهاد

ما حاجتنا للطريق يا إخوانى؟

وما حاجة هذا العالِم للطريق؟

العلوم التى نحصلها لها ثلاث وسائل:

- إما أن نحصلها عن طريق السماع من العلماء.
- أو عن طريق النظر بالاطلاع فى الكتب أو النظر إلى المبدعات والكائنات لمحاولة استكناه أسرارها ومعرفة خواصها.
- وهناك نوع من العلوم لا نستطيع تحصيله بأحد الوسيلتين السابقتين – أى السمع أو البصر واسمها علوم المكاشفة.

فمثلاً مَنْ مِنَ العلماء يستطيع أن يصف الملائكة؟

ومن يقدر من العلماء أن يصف الجنة وما فيها؟

ومن يقدر من العلماء أن يصف ملكوت الله الأعلى؟

ومن يستطيع من العلماء أن يحكى ما فى اللوح المحفوظ؟

ومن يستطيع من العلماء أن يطلع على أحوال أهل البرزخ وعلى سؤال الملكين وعلى ما يدور فى القبور؟

ومن يستطيع من العلماء أهل السماع أو أهل الاطلاع أن ينكشف على أسرار المخلوقات وعلى عجائب الكائنات وعلى غرائب المبدعات التى أبدعها الله فى كائناته؟

من يستطيع من العلماء أن يصل إلى شئ ولو قليل جداً جداً جداً يشير به إلى ذات الله العلية؟

هذه الأمور كيف تعرف؟

تعرف عن طريق علم اسمه الذوق، أو علم الكشف، أو علم الشهود وهذا يحصل بالقلب، ولذلك لما حدد الله وسائل المعرفة فى كتابه قال:

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ [٣٦ الإسراء]

فالذى يسلك طريق القوم لماذا يسلك؟

لكى يحصل عن طريق الفؤاد ما لا يستطيع أن يحصله عن طريق السمع أو عن طريق البصر.

لذلك هذه المشكلات التى ذكرناها من الذى يستطيع أن يتحدث بشأنها إلا العارفون؟

فغيرهم قد يتحدث عنها ظناً أو حدساً أو تخميناً لكن ليس عن علم يقين، إذاً من الذى يتحدث عنها يقيناً (أى رؤية وشهوداً) ؟

العارفون الذين قال فيهم سيد المرسلين:

﴿ تعلموا اليقين وأنا معكم ﴾ (١١)

والذين قال فيهم الله موضحاً طريقهم الذى يوصلهم إلى علم اليقين:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [٧٥ الأنعام]

فالموقنون من هم؟

(١١) رواه أبو نعيم ثور بن يزيد مرسلاً، ورواه بن أبى الدنيا فى اليقين من قول خالد بن معدان .

الذين اطلعوا على ملكوات السموات والأرض، ولكن كيف يطلعون على ملكوت السموات والأرض ؟

هل بالمناظير؟ لا، لا يقدرون، هل بالعيون؟ لا، لا يستطيعون، إذاً بماذا؟

بعين الروح لا عين العقول شهدت الغيب فى حال الوصول؟

بأى عين يا إخوانى؟

عين الروح وعين القلب وعين الفؤاد وهذا ما يجعلنا نسلك سبيل العارفين، لماذا؟ لنرى ما لا يراه الناظرون، ونعلم ما لا يعلمه العالمون، ونعرف ما لا يعرفه العارفون، بعد تطهير قلوبنا وتزكية نفوسنا وهيام أرواحنا ووقوعنا على عين حقيقتنا التى تكشف لنا حقائق الكائنات التى أودعها الله فى السموات والأرض.

معرفة النفس

فهذا السبيل أراد أن يعرفه الإمام الغزالى لأنه اطلع على كل العلوم التى كانت فى عصره لكنه بقى عنده أسئلة لا يجد عليها أجوبة وهى التى ذكرناها يريد أن يعرف هذه الحقائق فكيف له أن يعرفها؟

قالوا له: عليك بالصوفية، فالكتب ليس فيها منها شئ والعلماء ليس عندهم عنها خبر، ... من الذين عندهم هذه العلوم؟ قالوا: لا يوجد إلا الصوفية فاذهب إليهم وهم يعرفونك !!

فذهب إلى الرجل الصوفى فقال له: أتريد أن تعرف هذه العلوم؟ قال: بلى، قال له: اخلع عمامتك وثيابك – ثياب العلماء الجبة وغيرها – وتخرج من المدينة التى أنت مشهور ومعروف فيها وتطلب بدل الشهرة الخمول وتلبس ملابس سقاء وتحمل السقاء (القربة) وتطوف بها فى الأسواق تسقى الناس لوجه الله ولا تأخذ منهم أجراً ولا تطلب منهم شكراً على ذلك ولا تأكل إلا عندما تأتى عندى فأنا الذى أقدم لك الأكل وكل

يوم تخرج إلى سوق من الأسواق بعدد أيام الأسبوع، لماذا كل هذا؟ لأنه يريد أن يهذب النفس:

هذب النفس إن رمت الوصول غير هذا عندنا علم الفضول
هذب النفس بتوحيد العلى عن بيان الآى من فرد قئول

هذا هو تهذيب النفس.

فمكث الإمام الغزالى على هذا الحال سنتين حتى اتضعت نفسه وتواضعت لله وعرفت حقيقتها وعرفت قيمتها، فمتى عرفت النفس حقيقتها وقيمتها اهتدت إلى خالقها وبارئها

{ من عرف نفسه فقد عرف ربه }

فبدأت بعد ذلك الفتوحات والهبات والإلهامات تتوالى علي الإمام الغزالى ﷺ وأرضاه، ولذلك سجل مسيرته هذه فى كتاب سماه المنقذ من الضلال ، والعجب أنه بعدما وصل إلى هذا العلم كله وهذه الشهرة كلها قال إن هناك حقيقة أنقذتنى من الضلال، كأن كل شئ يحصله الإنسان أو يعمله المرء قبل معرفة نفسه يتبين له بعد معرفة نفسه أنه كان ضلال.

وليس الغزالى فقط يا إخوانى ..، فلو تتبعنا سِيَر الصالحين لوجدنا هذا نهجهم وسيظل إلى يوم الدين نهجهم هكذا ... لأنه لابد من تهذيب النفس حتى تعرف حقيقتها !! وتعرف فطرتها التي خلقها الله ﷻ منها !! فتعرف أن **بدايتها نطفة مذرة ونهايتها جيفة قذرة وهى فيما بين ذلك تحمل العذرة**، فمتى عرفت هذه الحقيقة ووقفت عندها عرفت حدودها فلا تطغى ولا تتجبر ولا تستكبر لأنها تعرف أن الحول والطول والقوة والإرادة والعلم كلها من الله وبتوفيق الله وبإمداد الله كما قال أصحاب رسول الله ﷺ:

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

تعبيراً عن هذه الحقيقة، وكما قال الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

علمت نفسي أني كنت لا شئ ... فصرت لا شئ في نفسي وفي كلي
به تنزه صرت الآن موجوداً ... به وجودي وإمدادي به حولي
ومن أنا عدم الله جملني ... فصرت صورته العليا بلا نيل

فمعرفة النفس هي الطريق إلى القدس.

لذلك من الذي يحصل على تأشيرة دخول إلى حضرة ملك الملوك؟ الذى يقدم شهادة إلى الحضرة المحمدية موقعة من رائد من رواد تزكية النفوس بأنه قد زكى نفسه وقد صارت نفساً زاكية، هذا هو الذى يفتح له الباب ويدخل في الرحاب ويصير من ذوى الألباب.

أما لو مكث الإنسان ملايين السنين ولم يطهر نفسه ولم يخرج من وهدته ولم يتحول عن طريقته ومتمسك بعاداته مثل معظمنا، هكذا لا يريد أن يغير عاداته ولا يغير طباعه ولا يغير سلوكه ويريد في نفس الوقت أن ينال ما ناله المقربون.

كيف يكون هذا؟ وهل هذا يصح؟

صفات أهل القرب

فلا يدخل أحد هذه الحضرة إلا إذا كان مرتدياً حلة رسول الله ﷺ، أما من هو واقف عند حسه مشغول بشهوات نفسه فلا يتمكن من دخولها أبداً، فقد قيل فى ذلك: { **مكتوب على حضرة القدوس لا يدخلها أرباب النفوس** } وحلة رسول الله هذه ما صفتها؟

(التواضع والمسكنة والذل والانكسار والافتقار إلى الواحد القهار)

فالذى يلبس هذه الحلة يسمح له بالدخول لكن الذى يتمسك بصفات نفسه

فيرى نفسه أنه رجل كريم وأنه رجل عزيز وأنه رجل منيع وأن له صولجان وله سلطان نقول لهذا ولأمثاله: ماذا تريد من الله؟

أنت معجب بنفسك، ومدل بعملك على ربك، فكيف يتم وصلك؟

فمعرفة النفس هى المعراج إلى حضرة القدوس وهى التي من أجلها نصحب العارفين ونسير فى ركب الأولياء والمتقين.

صور من جهاد العارفين

وسنذكر بعض صور جهاد العارفين لنتأس بهديهم ونسير على دربهم فمن ذلك:

أنهم يواظبون على إحياء الليل فى طاعة الله ثم يصلون الفجر فى جماعة ويشغلون الوقت بعده فى ذكر الله تأسياً بسيدنا رسول الله ﷺ وعملاً بقوله ﷺ:

{ من أخلص لله أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه } وإن كانوا يحددون غايتهم ويصححون وجهتهم حتى لا يكون الرجل منهم يخلص الأربعين يوماً من أجل أن ينطق بالحكمة بل إنما هو يخلص فيهم لله ﷻ.

فمن الممكن أن يقعد ويخلص الأربعين يوماً من أجل الحكمة، وهذه تكون عبادة لعلة وليست لله، لكن لازم يخلص لله ... جاءت الحكمة أم لم تأت فهذا ليس مقصده بل مطلوبه رضاء الله بتحقيق حديث رسول الله ﷺ:

{ مَنْ أَخْلَصَ لله أَرْبَعِينَ يَوْماً تَفَجّرَتْ ينابيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ } (١٣)

فمن منا يا إخوانى لا يريد أن تتفجر ينابيع الحكمة فى قلبه ؟

من منا لا يريد أن بحار الأنوار الإلهية تتفجر في أفق فؤاده ؟

من منا لا يريد عيون الأسرار اللدنية تظهر في لوح معارفه وفي محيط لطائفه ؟

(١٣) أخرجه أحمد فى الزهد عن مكحول مرفوعاً مرسلاً ، وابو نعيم فى الحلية من طريق مكحول عن أبي أيوب الأنصار

من منا لا يريد سحب الفضل الإلهى وسحب الخير الربانى تصطدم بجبال قلبه فتهبط التجليات والإشراقات والتنزلات فيفيضها من قلبه على لسانه لأهل الإشارات وأهل العنايات الذين جعل الله لهم نصيباً فى هذه العلوم الذوقية؟

من منا لا يريد هذه الأمور؟ والطريق واضحة تتطلب أن المرء يخلص لله متى؟

في هذا الوقت يا إخوانى وقت الفجر .

وقت السحر

بالتجلى فى ساعة الأسحار إذا أضاءت شموسه للسارى

ساعة الأسحار يا إخوانى .... هى ساعة التجلى ... وساعة التملى ... وساعة التحلى ... وساعة القرب والتدانى ... وساعة الأنس والتهانى ... فى غيبة أهل الأرواح والقلوب عن الهياكل والمبانى.

فالذي يريد هذه الحقائق هاهى سفينة أهل الوصال تتحرك فى بحر الأنوار مسافرة إلى ذى الجلال والإكرام براكبيها فى وقت السحر، فمن تخلف عن هذا الوقت تخلف عن الركوب فى سفينة العارفين والواصلين، لأن هذا وقت السفر والذى يصل بعدما سارت السفينة ماذا يركب؟ !! ... خلاص انتهت.

سفينة العشاق التى تجمعهم للتلاق وللتمتع بحضرة المنعم الخلاق تطير بأجنحة الأشواق على رفارف العناية إلى حضرة الخلاق فى وقت السحر ...!!

فالذى يتخلف عن هذا الوقت ماذا يرى؟

لا يرى إلا الأكوان وأهل الأكوان وما أدراك ما أهل الأكوان؟

فهذه يا إخوانى حالة العارفين وحالة الواصلين وحالة الأنبياء والمرسلين من قبل، هى هكذا.

الإستغفار عقب العبادة

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

ثم ماذا يعملون؟ نائمون؟ لا ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ ﴾ هم نائمون؟ كلا بل

﴿ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات]

وما المراد بهذا الاستغفار؟ بعني انتهى من العبادة ويستغفر الله ﷻ من رؤية التقصير فى العبادة، هل يبدأ الواحد منهم عمله بالإستغفار؟ لا، لكنهم كانوا يستغفرون بعد العمل، لماذا؟

من رؤية التقصير فى هذا العمل !!

يعنى يقولون: يا رب نحن قصرنا فى هذا العمل فاقبله مع قصورنا فيه، واقبله مع غفلتنا فيه، واقبله مع شغلنا عن حضرتك فيه.

هذا هو الإستغفار، فالإستغفار كان بعد العمل، فكانوا الليل فى طاعة ربهم والسحر فى الإستغفار من رؤية تقصيرهم ومن رؤية الأشياء التى تنتاب الإنسان وتجعل العبادة غير خالصة للحنان المنان ﷻ:

مل سحيراً وادخل بحان الكرام تتهنى من بعد رشف المدام

فالذى يريد أن يدخل حنان الكرام أين يذهب؟ ها هو الباب.

نسأل الله ﷻ أن يعرفنا نفوسنا، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يبين لنا ما نصلح به شأننا، إنه رب الخير على كل شئ قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم، ونستغفر الله من كل قول وعمل

آداب السياحة الروحانية (*)

أنواع الســـياحة

آداب الســـــــياحة

أولاً:

تصحيح النية

حقيقة الإخوان

ثانياً:

الإستئذان من الأهل

ثالثاً:

تجهيز نفقات السفر

(*) ألقى هذا الدرس صباح الجمعة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة فى الإحتفال بالمولد النبوى الشريف ١٠ ربيع أول ١٤١٤ هـ

رابعاً:

الإستئذان من نائب المرشد فى البلدة

خامساً:

تجهيز القلب

سادساً:

حقيبة السائح

سابعاً:

علو همة السالك

ثامناً:

آداب السالكين فى اجتماعاتهم

تاسعاً:

آداب الحديث عند السالكين

آداب السياحة الروحانيَّة (٥)*

العبادة التى نقوم بها الآن من أجَّل العبادات ومن أفضل القربات فى مجال الصالحين والمقربين ....

ما اسم هذه العبادة التى نحن فيها الآن؟

﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ [١١٢ التوبة] و ﴿ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ [٥ التحريم]

أنـواع السياحة

اسمها السياحة .. السياحة الروحانية.

وهى غير السياحة الدنيوية، فالسياحة الدنيوية فى الآثار، أما سياحتنا هذه فهى سياحة فى الأنوار، السياحة الدنيوية سياحة فى عالم المبانى أما السياحة التى نتحدث عنها فهى فى عالم المعانى أو فى عالم التهانى أو فى عالم القرب والتدانى أو فى عالم النور الربانى أو السر الفردانى على حسب سياحة كل فرد من الأفراد.

هذه السياحة من أجل العبادات التى أمر الله ﷻ بها المؤمنين والمؤمنات:

- **حتى يكتسبوا المبادئ العالية والدرجات الراقية فى مجالات القرب عند القريب ﷻ.**

وحتى يتم لنا المراد ... نريد أن نعرف مع بعضنا بعض النوايا والطوايا والآداب التى يجب أن يلتزم بها الأفراد فى السياحة الروحانية وأنتم شهود على من وراءكم، يعنى كل واحد منكم مطالب أن يبلغ من وراءه.

* ألقى هذا الدرس صباح الجمعة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة فى الإحتفال بالمولد النبوى الشريف ١٠ من ربيع أول ١٤١٤ هـ

الإذن بالسياحة

المفروض أن كل واحد مُقام فى بلد لا يسمح لأحد بالسياحة حتى يختبره وينظر هل هو عارف آداب السياحة وأحكام السياحة أم لا؟

فإذا كان لا يعرفها فلا يإذن له بالسياحة، لماذا؟

لأن ما يبطله وما يفسده يكون أكثر مما يحسنه .. فلابد له أن يعرف آداب السياحة أولاً.

وهذه هى مهمة القائمين فى كل بلد، لابد أن يعملوا الأفراد الذين يتبعونهم آداب السياحة ولا يخجلون فى ذلك لأن هذه أمانة فى أعناقهم، ... ولا يصح أن يقول ليس لى دخل بهذا لأنى لو وجهت فلاناً فسوف يغضب منى !!

نقول له: لا لأنه لو غضب منك هنا سوف يرضى بعد قليل، ... أما لو تركته على عماه فسوف يشتكيك يوم القيامة لحضرة الله، ... عندما يراجع ملفه ويجد أنه قد خاب عمله وخاب سعيه !! يقول لك: أين كنت منى؟ يارب خذ لى بحقى من فلان، فيقول له: ما حقك؟ فيقول : إنه لم ينصحنى وتركنى فى العمى ولم يفتح لى عينى ولم يوجهنى ولم يبصرنى، فالحق ثقيل لكن مع ثقله مرئ، والباطل خفيف ولكن مع خفته والعياذ بالله وبئ ومهلك.

ونحن أخذ العهد علينا رسول الله ﷺ كما يقول أصحابه بالنصيحة لكل مسلم:

أى لابد أن ننصح للمسلمين ومن لم ينصحهم فقد خان العهد وحنث فى العهد مع رسول الله ﷺ.

ومن لا يحب النصيحة لا يصلح فى طريق القوم: لأن أهل الطريق كل واحد منهم حريص على نفسه ويطلب من الناس أن ينصحوه ويقول:

(رحم الله امرءاً أهدى إلى عيوب نفسى)

آداب السياحة

آداب السياحة سنتناولها بإختصار شديد جداً حيث أننا لا نستطيع أن نطيل فيها لأنها تحتاج إلى سفر كبير ولكننا سنذكر ما لابد منه والوسعة بعد ذلك تأتى بعد التطبيق وكل واحد سيرزقه الله من باب التوفيق ما فيه الخير له وللطريق.

وهى كما يلى:

أولاً: تصحيح النية

لابد من تصحيح نيته قبل أن يتحرك من البيت، أى قبل أن يخرج من البيت لابد أن يحضر نيته فيحدث نفسه قائلاً لماذا أنا خارج؟ ومن أجل ماذا هذا الخروج؟

فإذا كان لنية دنيوية فليرح نفسه وإذا كان لشهوة أو حظ نفسانى فليرح نفسه كذلك، إذاً لماذا يخرج؟

إذا كان من أجل لقاء الإخوان يكون هذا هو المراد الأكرم والمقصد الأعظم لأن لقاء الإخوان يذهب الأحزان، والنظر فى وجه أخ فى الله على شوق خير من الإعتكاف فى مسجد رسول الله ﷺ عاماً بنص الحديث الشريف.

فنحن هنا مثلا من أجل ماذا؟

من أجل أن نتملى بالنظرات فى وجوه إخواننا.

أى أنه لا يجعل أحدكم السياحة من أجل العلم فقط:

لأنها إذا كانت من أجل العلم فربما لا يجد الشيخ العالم، أو كان عنده قريباً فيظن أنه ليس فى حاجة إلى هذه الزيارة، فالسياحة هنا من أجل أن نتملى فى نظرات الإخوان ومن أجل أن نتمتع ونتهنى بالروح العالية التى لدى الإخوان.

حقيقة الإخوان

الإخوان هم هيكل الشيخ لأن كل واحد منهم خصه الله بسر وكل واحد منهم خصه الله بفضل وكل واحد منهم خصه الله بمزية، فعندما يجتمعون تكون حقيقة الشيخ فى مجموعهم، كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

فكأنما فى جمعهم رجل له قلب توجه وجهة الرحمن

أى عندما يجتمعون فكأنهم رجل واحد متوجه إلى الله ﷻ، لماذا؟ لأنهم حال رجل كامل،

فمنهم من أخذ حبه ومنهم من أخذ عشقه ومنهم من أخذ صمته ومنهم من أخذ لسانه ومنهم من أخذ أذنه ومنهم من أخذ قلبه ومنهم من أخذ عينه ومنهم من أخذ سره ومنهم من أخذ روحه، فلما يتجمعون يكونون الصورة المعنوية أو الصورة الحقيقية لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

إذاً لماذا أحرص على مثل هذه اللقاءات؟ من أجل التمتع بالنظر إلى الإخوان وأخذ نصيبى من كل روحانى من الإخوان، ففى هذا الإجتماع ونحن لا نشعر، كل واحد يأخذ نصيبه من السر الموجود عند الآخرين وإن كان لا يشعر، وبعضنا يحس به، كيف يكون ذلك؟ إنه يحس بالحال الذى نحن فيه والصفاء الذى نعيش فيه، ومن أين هذا الحال؟ إنه من الإخوان الجالسين والحاضرين والذين فيهم سر سيد الأولين والآخرين ﷺ وظهرت فيهم الآية الكريمة:

﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ ﴾ [١٠١ آل عمران]

أى فيكم كلكم وليس فى واحد منكم، فكل واحد منا فيه سر من رسول الله ﷺ، والذى عند هذا غير الذى عند ذلك، والذى عند الأول غير الذى عند الآخر فلما نجتمع كلنا يكون قد اجتمع فينا سر رسول الله ﷺ كله الظاهر والباطن، فالجالس فى

هذه المجالس يحظى بمدد رسول الله ﷺ الظاهر والباطن.

أما النوايا الأخرى تكون بعد ذلك:

- فمن أجل تحصيل العلم أو الحكمة.
- أو قضاء المصالح أو غير ذلك.
- وكلها تكون بعد المبدأ الأول وهو لقاء الإخوان فى الله ﷻ.
- إذاً أول خاطرة أنفذها حتى تصح السياحة هى إتمام النوايا لله ﷻ.

ثانياً: الإستئذان من الأهل

فإذا أتممت النية فعلىَّ بعد ذلك أن أستإذاً ولكن ممن؟ من زوجتى التى معى فى البيت إذا كنت متزوجاً أو من والدى إذا كنت أعزباً لأن الإسلام علمنا أن المسلم لا يخرج رغماً عنهم، فالنبى ﷺ لما كان يتعبد فى الليل كان ينام أولاً مع السيدة عائشة – وذلك فى ليلتها – ثم بعد ذلك يقول لها كمال تروى السيدة عائشة رضى الله عنها:

{ أتاني ليلة فدخل معي في فراشي – أو قالت في لحافي – حتى مسَّ جلدي جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي، فقالت: قلت إني أحب قربك، لكني أوثر هواك فأذنت له }،(٤)

يعنى هل تسمحين لى أن أتعبد هذه الليلة؟ فتقول له: يا رسول الله والله إنى لا أريد فراقك وأحب قربك، ولا أوثر على قربك شيئا قط ولكنى أوثر ما تحب .. أى إذ كنت تريد ذلك فسمعا وطاعة، فيكون ذلك بالرضا لأنه لا ينفع الإكراه فى ذلك وهذا ما نتبينه فى قول الله ﷻ:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [٢٥٦ البقرة]

(٤) تخريج أحاديث الإحياء للعراقي أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله، ومن طريقه ابن الجوزي في الوفا، وفى الترغيب والترهيب قريب من ذلك

أي لا ينفع الإكراه، إذاً فلابد أن نستإذاً ونعلمهن الأدب العالى ونُعرف الزوجة أو الأهل أن المقصد هو لقاء الإخوان لأنهم ربما يدعون لنا دعوة صالحة يصلح الله بها حالنا أو يرفع النكبات النازلة علينا أو يصلح بها حال أولادنا.

وهكذا نحببهم حتى يكونوا هم الذين يدفعوننا لمثل هذه اللقاءات فنعطى للزوجة أو الأهل على قدر مفهومهم شيئاً من الثمرة التى نجنيها من هذه اللقاءات ولا نتركهم على جهل، فتقول الزوجة مثلاً: هو بيروح ينزه نفسه يأكل ويشرب وينام مع الإخوان وتاركنى هنا مع الأولاد فى هذا السجن وتقصد المنزل، وهذا قد يكون المفهوم بالنسبة لبعض الزوجات أو بعض الأهل بل ربما يؤدى إلى سوء تفاهم .

ولهذا فإذا حدثت جفوة بسبب سفرى إلى هنا أو هناك فالعيب منى لأنى لم أعرفهم شيئاً من هذه الثمرة وأن هذه الثمرة تعود على الجميع بالخير فى الدنيا والآخرة لأنهم لو عرفوا ذلك سيكونون هم الذين يدفعوننى إلى حضور مثل هذه اللقاءات ولسان حالهم يقول إن حضورك هذه اللقاءات هو الذى يأتى لنا بالخير ويمنع عنا البلايا ويصلح لنا الأحوال.

ثالثاً: تجهيز نفقات السفر

أستأذن من زوجتى.

ولابد أن يكون معى كسفر الحج نفقاتى التى سأصرفها فى هذه السفرة وتكون زائدة عن نفقات أهلى وأولادى كسفر الحج تماماً بتمام.

فلا يصح أن أستدين لأسافر وأزور الإخوان فى الله، ولا يصح أن أترك أولادى بغير زاد من أجل أن أزور الإخوان فى الله.

بالنسبة لى شخصياً عندما أسافر سفراً طويلاً المنيا أو أرمنت أو غير ذلك أو هنا، فقبل أن أخرج من البيت أتأكد أنهم غير محتاجين لشئ حتى رجوعى من السفر، أى أن

كل شئ يكون متوفراً والأموال التى أتركها لهم فإننى أتركها من باب الإحتياط فقط لأنهم لن يشتروا شيئاً وهذا هو الأدب العالى الذى علمه لنا رسول الله ﷺ.

أما أن أقول لزوجتي كم بقى معك من مصروف البيت؟ تقول لى: باقي خمسون جنيهاً، أقول لها هاتيهم لأنى مسافر إلى القاهرة اليوم، الإخوان هناك والشيخ هناك، تقول لى: ونأكل من أين؟ أقول لها: تصرفى، أما أنا فلا أقدر أن أتخلف عن لقاء الإخوان ... فهذا كلام لا ينفع لأنها لذلك ستكره الإخوان وقد تلعن الإخوان وكل شئ من جهة الإخوان وساعة ما يقول لها أحد الإخوان سيزورنا تقول له لا تدخله على البيت، من السبب؟ أنا من تصرفاتى ومن سوء سلوكياتى مع زوجتى فى مثل هذا الوضع.

أرجو أن تستوعبوا هذا الدرس، أريد أن يصل هذا الكلام لجميع الإخوان فرداً فرداً، وكل نائب عن إخوانه الذين في بلده، والذى لن يوصل فالأمانة في عنقه، وأنا قد بلغت اللهم فاشهد.

رابعاً: الاستئذان من نائب المرشد في البلدة

فإذا كنت ذاهباً لزيارة أخ في الله أو ذاهباً لزيارة صديق أو ذاهباً لزيارة مثل هذه لابد أن أرتب مع الأخ الكبير الذى كبرناه في البلد التى نحن فيها، لأن هذه هى سنة الإسلام.

لاأخرج أنا فى ناحية وهذا فى ناحية وهذا فى ناحية لأن يد الله مع الجماعة نمشي مع بعض جماعة ولا نكون متفرقين، قال ﷺ:

﴿ إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم ﴾ (٦)

فإذا مشينا وأصبحنا ثلاثة فلابد أن يكون أحدنا أمير وهو يسير ونحن نسير معه، وكل واحد ينفق من ماله الخاص حتى ينال الأجر من عند الله ﷻ.

(٦) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ

ولا يتواكل فلا نترك واحداً يدفع ونغرمه ونقول له ستأخذ الثواب كله وحدك فقط لأن هذا قد يُكرهه فى الدين لأنه نفرض أنه ليس معه إلا هذين الجنيهين وهما نفقات أولاده حتى آخر الشهر أنعريه ونقول له هذا كى تأخذ الثواب!!

لقد علمنا الإسلام أن كل واحد يتحمل نفسه كنفقة الحج، واحد سوف يحاسب لا مانع ثم يحاسب الآخرين وكل واحد يدفع ما عليه، ولو وجد بيننا فقير ونريد أن نتحمله فهذا جائز ويكون تعاوناً بيننا وبين بعض.

وإن كان هذا الفقير مستعداً لأن يدفع ولم يأت عالة على إخوانه من البداية .. لأن مثل هذا لا يصح فالمسافر لا يصح أن يكون عالة لابد أن يتحمل عن نفسه حتى يؤجر ويحصل على الأجر والثواب من الله ﷻ.

فإذا نويت الذهاب لزيارة أحد إخوانى فى غير هذه اللقاءات الشهرية فيجب أن أبلغ الأخ الكبير وأعرفه بأننى أريد أن أذهب لأزور أخى فلان لماذا؟

- ربما يعرف أن فلاناً هذا غير موجود فيعرفنى ويريحنى.
- أو يريد أن يبلغ فلاناً هذا رسالة ففرصة أنه يعطيها لى وأوصلها له.
- أو فلان هذا عنده ظروف معينة فيعرفها لى فأذهب إليه وأنا مستعد لمواجهة هذه الظروف.

فلابد أن يستإذن المرء الأخ المقام فى البلدة إذا كان ذاهب يزور الشيخ أو يزور أخاه فى الله أو يزور هذا أو ذاك حتى تكون الأمور واضحة وجلية أمامه وحتى لا يفاجئ بأن الأمور تأتى على غير مراده.

والذى يسافر ويتعب ويجد أخاه غير موجود لا يغضب، ويقول إننى قادم من سفر طويل ولم أجده ... نقول له: لماذا لم تستإذاً وتذهب إلى أخيك حتى يُعرفك إن كان أخوك الذى تريده موجوداً أم لا؟

خامساً: تجهيز القلب

وأيضاً عندما يريد السفر لابد من أن يجهز قلبه وذلك يكون بما يلى:

١ تزكية النفس:

وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

{ زك نفسك قبل السماع تشرق عليك أنوار الكلام }

أى قبل أن يحضر المرء هذه اللقاءات يجهز قلبه، فأنا عندما كنت فى حالة طيبة كنت أجهز نفسى تجهيزاً غريباً بالصيام والقيام وتلاوة القرآن والبعد عن المعاصى، حتى إذا حضرت كنت جاهزاً لتلقى الحكمة العالية وكان هذا ما يتم والحمد لله فإذا سمعت درساً وعدت أكرر الدرس كما سمعته كجهاز التسجيل تماماً بالحرف الواحد لماذا؟ لأننى زكيت نفسى قبل الذهاب إلى السفر.

٢- الحفاظ من المعاصي الظاهرة والباطنة :

وذلك أن من باب أولى وأنا ماشى فى الطريق وذاهب للقاء الإخوان لا ألتفت لهذه أو تلك ولا أشغل نفسى بغيبة ولا نميمة ولا لغو ولا معصية بل أشغل نفسى بالصلاة على النبي ﷺ أو الإستغفار أو ذكر الله أو أى عمل صالح يقربنى إلى الله ﷻ حتى إذا حضرت أحصل العلم كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

خذ ما صفا لك من نور الإشارة حال السماع قوى العزم والدين

٣- التطهر من أمراض القلوب :

أى وكذا وأنا سائر فى الطريق لا أظن فى نفسى أبداً أننى أفضل الموجودين فى الجماعة التى معى حتى لو كنت صائماً وهم مفطرون، فإنه لا يصح أن أحضر لقاء من هذه اللقاءات وأنا صائم إلا فى رمضان كما لا يجوز أن أزور أخاً فى الله وأنا صائم نفل لماذا؟ حتى أعطيه الفرصة لكى يكرمنى، ولذا يجب أن أجعل زيارته وأنا مفطر واليوم

الذى نويت فيه الصيام لا أذهب فيه لزيارة أحد إلا إذا كان لا يتأثر من هذا الأمر، وقد كره رسول الله ﷺ الصيام فى السفر وقال:

{ ليس من البر الصيام فى السفر }

أى ليس من بر الإنسان بنفسه أن يصوم وهو مسافر.

ورغم ذلك فإذا قمت بهذه الأعمال فصمت وصليت وزكيت لا أعتقد أننى أحسن من فى الجماعة بل أعتقد أننى أقلهم علماً وأقلهم حالاً وأقلهم مقاماً لأنه من تواضع لله رفعه الله ﷻ وأنا ذاهب لمقام بين يدى الله فلابد أن أتطامن وأخضع وأتواضع لله ﷻ وأنا مسافر إلى هذا المقام .

سادساً: حقيبة السائح

ما الذى آخذه معى وأنا مسافر؟ أو الذى أحمله فى حقيبتى؟

لابد أن آخذ معى جلباباً حتى أنام فيه، فبعض إخواننا المتواكلين لا أقول المتوكلين يسافر من غير الجلباب فيحمل أخاه المشقة لأنه ربما سبعة أو ثمانية يزورونه فى وقت واحد وسينامون عنده فيأتى بجلباب لمن ويترك من؟ والمقاسات أحياناً تختلف هو طويل وزواره قصيرون أو هو قصير وهم طوال، فمن أين يأتى لهم بملابس للنوم؟ أيقترض من الجيران؟ أم يقول لأخيه نم بالبدلة؟ فيقولها له وهو يتأذى، ماذا يكلفنى أن آخذ جلبابى معى؟! هل هى حمل ثقيل؟! ولنفرض أنها حمل ثقيل فسيكون لها أجرها والأجر على قدر المشقة، إذاً لابد أن أحمل جلبابى معى.

حتى من الناحية الصحية لو أن هذا الجلباب الذى سألبسه فيه مرض جلدى فإنه سيعدينى، فالإسلام يقول لى هنا لابد أن يكون لك ملابسك الداخلية الخاصة بك وجلبابك الخاص بك ومشطك الخاص بك ولا تمشط بغير مشطك وفوطتك الخاصة بك، أليس هذا نظام الإسلام يا إخوانى؟

إذاً يكون معى جلبابى ومشطى ومرآتى، المرآة أحملها أيضاً؟ نعم، فالنبي ﷺ كان يحمل كل هذا فى السفر:

﴿ كان لا يترك فى السفر المرآة والمشط والمكحلة (أو القطرة) وقارورة الزيت ﴾ [٦] (زجاجة الفازلين أو زيت الشعر) حتى يضع على شعره أيضاً وهو فى السفر، فإذا كان هذا سفر رسول الله ﷺ فهو الأدب العالى لأمير الأنبياء وسيد الأصفياء ﷺ فكيف بنا؟!

فعلىَّ أن أحمل معى جلبابى وفوطة صغيرة ومشط وقلم حتى أسجل به ونوتة صغيرة أسجل فيها اسم أخ أو عنوان أخ، ولابد أن أعرف الإخوان بأسمائهم وألقابهم فعندما نقدمهم للآخرين نقدمهم بأنه فلان الفلانى ويعمل كذا وكذا لقوله ﷺ:

{ إذا آخيت أخاً فى الله فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن عمله وعن بلده } (٧)

أى معرفة كاملة، فعندما أقدمه للآخرين سواء فى مجتمع عام أو مجتمع خاص، أقول الأخ فلان الفلانى يعمل كذا ووظيفته كذا ومن بلدة كذا أو من محافظة كذا، لكن أقول له الأخ مُحَمَّد ... مُحَمَّد إيه؟ سينسى هذا الأسم، لازم فلان الفلانى واسمه كامل واحفظه وأعرف وظيفته ، وهذا الكلام كيف أحفظه؟

لابد أن يكون معى نوته صغيرة أسجل فيها هذه العناوين ومعى قلم ومعى نوتة قصائد حتى أقرأ فيها ما تيسر من القصائد ومعى كتاب صغير من كتب الصالحين سواء من كتب الإمام أبو العزائم أو مولانا الشيخ مُحَمَّد على سلامة أو أى كتاب لأى رجل من الصالحين، وعندما أركب وسائل المواصلات أفتح كتابى وأقول لنفسى:

﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء]

أى يكفيك هذا الكتاب، فلا تشغل نفسك بالذى يتكلم حولك هنا وهناك، وكن

(٦) رواه الترمذى فى الشمائل، والبخارى، ومسلم عن أنس ﷺ
(٧) رواه الترمذى، والرائطى، والبيهقى فى الشعب عن ابن عمر رضي الله عنهما

مع الله على الدوام.

ونجملهم مرة أخرى يا إخوانى ... معدات الحقيبة الخاصة بنا: { جلباب – فوطة صغيرة – المشط – المرآة – القلم – نوتة صغيرة – الكتاب – نوتة قصائد }

وإذا كان المرء محتاجاً لأدوية معينة يأخذ معه ما يستعمله من الأدوية، فلا يجوز أن يقول لأخيه أنا أتعاطى الدواء الفلانى ونسيته، وتكون الساعة الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل، ماذا يفعل؟

يقول له أبحث عن صيدلية تكون مفتوحة، يخرج الرجل ويترك البيت ويدور على الصيدليات ليحضر الدواء الذى أريده، هل هذا كلام أمر به الإسلام؟! لماذا لا أحمل معى ما أحتاج إليه من الدواء حتى أريح الناس؟!

سابعاً: علو همة السالك

السالك فى طريق الله ﷻ لا ينام إلا عن غلبة ولا يأكل إلا عن حاجة وفاقة، لم يذهب لأخيه للراحة فهو مرتاح فى بيته، ولا ليأكل ما تشتهيه نفسه لأنه يستطيع إحضاره فى بيته، إذاً لماذا هو ذاهب لزيارة أخيه؟ إنه ذاهب ليتزود من الزاد الذى يقول فيه الله:

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [١٩٧ البقرة]

ذاهب ليحصل من زاد التقوى وليس من الزاد الحسى، فكفاه من الزاد الحسى الذى عنده فى بيته وفى بلده وفى مكانه وفى زمانه، لكن إذا عرض عليه يأكل ويشكر الله عليه فلا يمتنع من الأكل لكن يأكل ما وجد ويحلى الأكل ويحسنه لأهل المكان ولو كان شيئاً قليلاً حتى يجبر بخاطرهم وحتى يرفع شأنهم وحتى يشعرهم بالثقة فى فضل الله، فإذا أطعموه ولو كسرة خبز وحبة ملح يشكر الله عليها ويشكرهم عليها ويرفع من شأنهم ويثنى عليهم شديد الثناء، لأنهم قدموا ما وجدوا ..

كما كان يفعل سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

ثامنا: آداب السالكين فى إجتماعاتهم

وفى البيت الذى أنزل فيه لا يجوز أبداً أن يفتح حجرة مغلقة لينظر ما فيها أو يأخذ شيئاً منها بغير إذاً أو يتناول شيئاً ويحرج أخاه ليجعله يوافق على أخذه وإن كان بغير رضا نفسى حتى لا يدخل فى قول المصطفى ﷺ:

﴿ كل ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام ﴾ (١٠)

ومثل هذا ما يحدث من بعض الإخوان الذين يأخذون أشياء من منزل أخيهم بغير إذاً ككتاب أو نوتة، كأن يجد أحدهم نوتة قصائد قيمة فى بيت أخيه فيأخذها ويخفيها فلا ينتفع بها، أو يجد كتاباً غير موجود عنده فيأخذه ويخفيه، وهذا عندما يحدث يعتقد فاعله أنه خير ... لا، كيف يكون خير؟! فكل شئ تأخذه من أخيك بغير إذاً لا ينفعك الله ﷻ به ولا يبارك لك فيه، إذاً ما نفعل؟

علينا أن نستأذن.

وحاجة أعجبته فى البيت كصورة حتى للشيخ أو كتاب لا يقول له لأنه إن قال أخوه سيؤثره على نفسه ويعطيها له و ربما ليس لديه غيرها ويحتاج لها، فلا يصح للأخ أن يبدى هذه النظرة أو يقول مثلاً أن هذا التسجيل ما شاء الله ليس له مثيل، فسيقول له أخوه خذه ويمكن يكون محتاج له وليس له إلا هو أو هذا الشريط الذى عندك ليس له مثيل ما شاء الله.

مبدأ القوم على العفة

على عفة النفوس حتى أن الناس إذا أعطيتهم يتعففون، وليس يطلبون !!! وعايز هذا وعايز ذاك بالبجاحة كده، مال هذا وطريق الصوفية؟!

(١٠) أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير عن أنس

حتى لو طلب من أخيه وأعطاه أخوه حياء منه أصبحت حراماً، قال ﷺ:

﴿ كل ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام ﴾

فمثلاً قلت للحاج / مُحَمَّد أعطنى هذا الكتاب فاستحى منى وأعطانيه، ولكنه محتاجاً له وليس معه مال ليشترى غيره، أصبح هذا الكتاب الذى أخذته رزقاً حراماً سيحاسبنى الله عليه تماماً كالذى سرق، لأنها سرقة فعلاً، سرقة بسيف حياء.

أجلسنى فى بيته وأجد حاجة جيدة وأطلبها فسيعطيها لى ولكنه غير راض من داخله، فالأساس عند الله رضا القلوب، وما دام غير راض من داخله أصبحت حراماً على والعياذ بالله على طول.

وقد يحصل أحياناً من بعض إخواننا، يكون أخوه فى العراق أو الأردن أو السعودية ويرسل إليه يطلب منه شيئاً معيناً فيحضره له حياءاً منه، أنت الذى طلبت منه، فالواجب عليك أن تعطيه ثمنه، لكن الحقيقة أنه طمعان فى أخيه، أصبحت هذه كالأخرى: ﴿ كل ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام ﴾

أيضاً أخوك ذاهب إلى الحج، أنا عايز كذا ... !!!

وهذا الكلام يحدث مع الناس العوام، كذلك أنا عايز جلابية قطيفة، عايز شال صوف، لا ... أنا لا أفرض عليه، يجيب زى ما يجيب أو لا يأتى بشئ، ... الأفضل من هذا وذاك أطلب منه قراءة الفاتحة هناك ... أو يدعو لى دعوة صالحة هناك ... أفضل من الدنيا والآخرة.

لكن هذه التكليفات ما دمت أنا لم أعطيه المال ولا أريد أن أعطيه شئ أصبحت داخلة فى قول رسول الله ﷺ: ﴿ كل ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام ﴾ .

إلا إذا كان صاحب الشئ تطيب نفسه ويحضر ما طلبت برضاء نفس.

يعنى أنت أحياناً عندما يكلفك أخوك بشئ تفرح أنه كلفك وتحاول أن تحضرها

بأى طريقة، فهذا لا شئ عليه، إذا أنت تأكدت من هذا فلا شئ عليك تماماً كما ذكر الشيخ فى كتاب الإسراء، من منكم قرأ كتاب الإسراء للشيخ مُحَمَّد على سلامة ﷺ؟ أقرأتموه؟

ذكر فيه الشيخ قصة الشيخ أبو عسكر عندما وجد رجلاً تاركاً جاموسته تأكل من غيط الجيران، قال له: حوش الفول بيأكل فى الجاموسة ثم مشى وتركه.

وعلى بعد خطوات الجاموسة ماتت، فجرى صاحب الجاموسة وراء الشيخ، فقال له الشيخ: أنا قلت لك حوش الفول بيأكل فى الجاموسة، فقال له: ولماذا أنت تترك حمارك يأكل فى الغيط؟ قال له: حمارتى نعم تأكل ولكنه راض، صاحب الحقل لو عرف فسيكون راضياً، لكنك تؤكل جاموستك غصباً.

والأمور تقاس على هذا المنوال يا إخوانى:

فأنا عرفت أن الأستاذ محمود لو طلبت منه حاجة سيفرح ويسر، وطلبت منه ليس فى ذلك شئ لأنه سيفعلها برضاء نفس ...

لكن لو طلبت منه حاجة وسيؤديها وهو متبرم أو وهو متضايق فهذه التى فيها الحرج وتدخل فى قول رسول الله ﷺ: ﴿كل ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام﴾

أيضاً ليس من أدب الإسلام أن يكثر الإنسان من التطلع إلى الرياش والأثاث فى بيت أخيه:

فيجلس كالحرامى يتطلع مرة إلى هذا السقف ومرة إلى هذا الجدار، ما الحكاية؟

أنت ذاهب لزيارة أخيك أم للبيت؟

ذاهب لأخيك:

إذاً فنظرك لا يعدو أخاك طرفة عين حتى تنال رضا الله ﷻ فى المشهدين، فأنت لم تذهب حتى تتفرج على بعض الأثاث الذى لديه أو بعض الموبيليا التى طرفه، مالك

ومال هذا الكلام؟

هذه الأشياء لا تشغل إلا الفارغين واللاهين بالدنيا عن الدين، أما الإنسان فأكثر شئ يهتم به عند أخيه هو أخوه، لأنه ذاهب من أجله لا من أجل البيت ولا من أجل أثاث البيت ولا من أجل مقتنيات البيت ولا من أجل رياش البيت بل ذاهب من أجل أخيه الذى يعمر هذا البيت وهو الأساس الذى عنده كله.

تاسعاً: أدب الحديث عند السالكين

فإذا دار حديث بينه وبين أخيه فيلتزم بأدب الحديث.

وأدب الحديث الذى يوضحه رسول الله ﷺ لنا:

- **إذا تكلم أحدنا يستمع له الأخرون.**
- **ولا يقاطعونه.**
- **وإنما يتركوه حتى يفضى بما عنده.**
- **ثم يناقشونه.**
- **أو يردون عليه.**
- **ولا يتكلمون فى الحرمات ولا فى الغيبة ولا فى النميمة ولا فى لغو الكلام.**

وإنما كما قال الإمام أبو العزائم فى مجالسنا:

مجالسهم ذكر ونور وحكمة لأنهم تابعوا المختار فى السير

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

كيفية الحمد والشكر (*)

كيفية الحمد والشكر

نعم الله فى الإنسان

كيفية الحمد

وصف الحامدين

حقيقة الشكر

حكمة الصلاة

كيفية الشكر

أبواب الشكر

فضل الشكر و الشاكرين

(*) كان هذا الدرس يوم الخميس ٥ / ٥ / ١٩٩٤ بعد صلاة المغرب بمسجد عزبة أبو إسماعيل، مركز مطاى، محافظة المنيا

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

كيفية الحمد والشكر*

كيفية الحمد والشكر

استمعنا اليوم إلى آيات كريمة ونحن نقرأها فى كل صلاة !

ليست مرة واحدة بل فى كل ركعة من ركعات الصلاة نقرأها! على مذهب الإمام مالك المأموم لا يقرأ الفاتحة لماذا؟ لأنه يعتبر قراءة الإمام قراءة له لأن الإمام قرأ عن الجميع، لكن الإمام الشافعى ﷺ وأرضاه يطلب من الإمام والمأموم قراءة الفاتحة فى كل ركعة من ركعات الصلاة حتى الركعات التى يقرأ فيها الإمام قراءة جهرية يطلب منه أن يسكت سكته حتى يقرأ من خلفه الفاتحة لماذا؟ لأنه أخذ بالحديث الذى يقول فيه رسول الله ﷺ:

﴿كل صلاة بغير فاتحة الكتاب فهى خداج﴾[1]

وكلمة خداج يعنى ناقصة !

ناقصة من الخير ومن البر ومن البركة وكلاهما على خير، والإمام أبو حنيفة ﷺ وأرضاه أخذ بقول الله ﷻ:

﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [٢٠ المزمل]

وقال الذى يقرأه الإمام فهو قراءة للمأموم، والإمام الشافعى قال الإمام يقرأ الفاتحة والمأموم واعتبرها ركناً من أركان الصلاة لكن هذا صحيح وهذا صحيح والاثنان من جوهر النبوة أخذوا ومن الأسوة الطيبة اقتبسوا، لا نستطيع أن نقول هذا خطأ أو هذا صحيح لأنهما مجتهدان، الشاهد أننا لابد فى كل ركعة إما أن نسمع أو نقرأ الفاتحة

(١) رواه أحمد والستة عن عبادة بن الصامت

أو نسمعها ونقرأها، وما أول آية فى الفاتحة؟

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

إذا قدم لى أخى جميلاً ماذا أفعل؟ .. أشكره ومتى أشكره؟

بعد أن يصنع الجميل ثم أعرف قيمة هذا الجميل، فمن أجل أن تكون قراءتى صحيحة لابد أن أستحضر قبل الصلاة وعند افتتاح الصلاة قدر النعم التى تفضل بها علىَّ الله ﷻ، لابد أن أستحضر هذه النعم جميعها لكى أشكره عليها، لماذا تقف أمامه؟ نقف لنقول له إننا شاكرون على جميل عطاياك، نحن شاكرون لحسن تدبيرك لنا فى كل أمر من أمورنا، نحن شاكرون لإصلاحك لنا هذه الأعضاء.

كان الإمام أبو اليزيد البسطامي ﷺ وأرضاه عندما يستيقظ من نومه وقد كان من كبار العارفين بالله ﷻ ينظر فى المرآة فقالوا له لماذا تفعل هذا؟

قال حتى أنظر إلى وجهى هل أكرمنى الله ﷻ وعفا عن ذنوبى وأبقاه على هيئته أم أخذنى بذنوبى وغير خلقتى، فلو آخذنا بذنوبنا نصبح فى الصباح لا نرى شيئاً من الذى معنا من هذه النعم الدائمة التى تفضل بها علينا الله وهو الذى أبدعها وهو الذى يكفلها وهو الذى يدبرها وهو الذى يسيرها بقدرته وإرادته وحكمته ﷻ، وهذه النعم يا إخوانى ليست هينة.

نعم الله فى الإنسان.

فعندما ذهب رجل إلى أحد العلماء العاملين يشتكى سوء الزمان وأن الزمان جنى عليه وأنه ليس به خير .. ولا بر ... ولا شئ !! فقال له: يا أخى أترضى أن يأخذوا عينيك ويعطوك عشرة آلاف دينار؟ ... قال: لا، ...فقال له: أترضى أن يأخذوا أذنيك ويعطوك عشرة آلاف دينار؟ .... قال: لا، فقال له: أترضى أن يأخذوا لسانك ويعطوك عشرة آلاف دينار؟ ... قال: لا، فقال له: أترضى أن تكف رجلاك عن المشى

وتأخذ عشرة آلاف دينار؟ قال: لا، فقال له: أترضى أن يمسك يديك عن الحركة وتأخذ عشرة آلاف دينار؟ قال: لا، فقال له يا أخى معك خمسين ألف دينار من هؤلاء فقط وتقول إننى فقير ومحتاج ولا أحد يعطف على ويعطينى، فما بالك لو أتى بالنعم الأخرى ومنها العقل وما الذى يساويه فى الدنيا والآخرة؟

فهذه النعم من الذى يحفظها؟ ومن الذى يؤمن عليها؟

الله ﷻ، فلو أنه أخذ نعمة من هذه النعم:

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٢٣ الأنبياء]

من الذى يقول له لم فعلت هذا؟ إذا أصبحت فى الصباح ووجدت العين لا ترى هل أقول له لماذا أخذتها أبداً:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [٤٥ فاطر]

لو يؤاخذنا ببعض ذنوبنا لا نساوى شيئاً لكنها نعم لا عد لها ولا حصر لها سواء بداخلى أو من حولى أو فى منزلى أو بعقلى وكل هذه النعم من أجلى صنعت لماذا؟

قال: لأنك مطلوب لله تعالى وقد حملك الأمانة التى من أجلها صرت خليفة عن الله ﷻ فى هذا الكون !!!

من أجل هذا كل شئ مجهز لك.

فأنا مطالب عندما لأقف بين يدى الله ﷻ فى الصلاة أن أستحضر أولاً نعم الله علىّ، من الذى أتى بى إلى هنا؟ ومن الذى حرك الأعضاء وسارت إلى هنا؟ ومن الذى فكر العقل وجعله يتذكر الكلمات التى تقولها فى الصلاة؟

لو ضغط الله على مفتاح الإيقاف هل أتذكر شيئاً وأنا فى الصلاة يا إخواني؟

لا، فكما أدخل أخرج لكن من الذى يشغل ومن الذى يعطل؟ أنا .. العقل .. لكن هل يستطيع احد أن يشغله أو يعطله يا إخوانى؟

يعنى هل تستطيع أن تقول للعقل انتظر نصف ساعة بدون تفكير حتى أستريح، لا تستطيع لأن الذى يشغله الله رب العالمين، حتى الأعضاء العادية فالجهاز الذى يأكل ويحضر الأنزيمات ويهضم الطعام من منا يستطيع تشغيله أو إيقافه؟

ومن يستطيع أن يقول للمعدة انتظرى نصف ساعة وبعد ذلك اهضمى!

الأجهزة بداخلى لكن من الذى يشغلها يا إخوانى؟

الله رب العالمين، وإن كانت معى فلكى أشكر أنا وأنت الله الشكر المطلوب فإننى مطالب أن أعرف جميع هذه النعم التى فىّ والتى من حولى والتى لى هنا والتى لى عند الله والتى لى فى الجنة حتى أشكر الله عليها هل يستطيع أحد منا أن يحيط بهذه النعم يا إخواني؟ أبداً !!

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [١٨ النحل]

نعمة واحدة وليست نعم، الله يقول نعمة واحدة من نعم الله لا نستطيع أن نعد الفضل الذى لنا فيها من الله ﷻ !!!!!!

الفضل الذى لنا فى نعمة البصر لا نستطيع أن نعده والفضل الذى لنا فى نعمة السمع لا نستطيع أن نعده، من الجائز أن بعض الأطباء الأجانب المهرة حاولوا أن يعدوا بعض هذه الوظائف فأتوا بالكبد وعدوا له حوالى ثلاثمائة وخمسين وظيفة وقالوا ربما فى المستقبل نكتشف وظائف أخرى له لا نعرفها الآن، هذا فى الكبد فقط فما بالك بباقى الأعضاء أين نذهب لا نستطيع، ماذا نفعل يارب؟

قال سبحانه إنى أعلم أنكم عاجزون فأنا أشكر نفسى وأنتم تقولون مثلما أقول كيف؟ يعنى أحدنا يعد ويستحضر هذه النعم وبعد ذلك يقول إنى لا أعرف أن أشكرك ولكنى أقول ما كلفتنى بقوله فى الصلاة وأعرف أننى عاجز:

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

هكذا يشكر الله وهو شاعر أنه مقصر!!

وهو يشعر أنه لم يقم بالذى عليه وهو يشعر أنه لا يستطيع أن ينهض بشكر نعمة واحدة من النعم التى غمره بها الله.

لكن الذى دخل الصلاة وهو يظن أن ربنا غبنه وكيف أنه أعطى فلاناً كذا وكذا ولم يعطه فهذا يقول بلسانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقلبه غير راض عن الله لأنه غاضب منه، هل هذا يصبح شاكرًا لله ﷻ يا إخواني؟ لا !!

أو الذى يرى نفسه أنه قدم شيئاً كبيراً لله حيث يقول فى نفسه استيقظت من نومى وتوضأت وخرجت من بيتى ووقفت أمامك وبهذا فقد فعلت شيئاً عظيماً، وهذا قد تباعد صلاته بينه وبين الله ﷻ لأنه لبس رداء الكبرياء أمام المتكبر ﷻ وهذا لا يصح أبداً فالذى يقف بين الله يكون كما قال ﷺ:

﴿ إِنَّمَا الصَّلاةُ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ وَتَضَرُّعٌ وَتَأَوُّهٌ وَتَنَادُمٌ وَتَضَع يَدَيْكَ فَتَقُولُ: اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهِيَ خِدَاجٌ ﴾ (٦)

فحال الإنسان المؤمن أثناء الصلاة هو هذا الحال.

كيفيــة الحمد

فهل عندما أقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أكون قد شكرت الله يا إخوانى؟ لا، هناك شئ اسمه الحمد وشئ اسمه الشكر، فالحمد شئ والشكر شئ آخر

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ عمل من أعمال القلوب واللسان يترجم عما فى الجنان فالذى يحمد الله ويعترف بالفضل لله ويقر بأن كل النعم التى فيه من الله واصلة وبالله حاصلة وبفضل الله ﷻ تشمله وتحوطه وتقوم له بكل ما يحتاجه فضلاً من الله ونعمة، هذا هو الحمد يعنى الإعتراف القلبى بأن كل النعم من الله ﷻ ... سنوضح

(٦) أخرجه الترمذي والنسائي بنحوه من حديث الفضل بن عباس، تخريج أحاديث الإحياء العراقي

أكثر،

أنا رجل حامد لله ﷻ وأريد أن أحمده فلابد أن أكون فى قراره نفسي معترف بأن كل شيء يحدث لى من الله ﷻ من الخير والبر والفضل، وكل شئ يحدث لى من الشر فمن نفسى ومن لؤمى ومن خبث طبعى ومن سفهى ومن جهلى.

فعندما يأتى أحدهم ويقول لأخيه إن حقلك هذا العام أتى بمحصول ما شاء الله، الحامد يقول له هذا بفضل الله وتوفيقه وبمعونته، والآخر الغير حامد يقول نعم بشطارتى ومهارتى وخبرتى فأنا فعلت وسويت ويعد الأعمال التى عملها وينسب هذا الفضل لنفسه فبهذا خرج من دائرة الحامدين.

إبليس عَبَد الله ﷻ سبعين ألف سنة لكنه رأى أن هذا العمل الذى عمله بقوته وفتوته وشطارته ومهارته، من أجل هذا قال:

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ ﴾ [٧٦ ص]

فكانت النتيجة أن طرده الله ﷻ، لماذا؟ لأنه لم ير فضل الله عليه فى هذا العمل، من الذى وفقك؟ ومن الذى أكرمك؟ ومن الذى ألهمك؟ ومن الذى هيأ لك الأسباب؟ لو رأى هذه الأشياء لنسب الفضل لله ﷻ.

ولأجل هذا فالرجل الذى يرى الفضل من الله يقول: يا أولادى قبل أن يدخل المحصول المنزل أخرجوا حق الله ﷻ فلولا معونته لنا وبركته علينا ولولا توفيقه لنا ما أتى هذا المحصول فأخرجوا حق الله لكى يزيدنا بعد ذلك.

والآخر يقولون له الزكاة فيقول وما الزكاة؟ أنا طوال العام أتعب وأشقى وأكد وفى النهاية أعطيها لفلان وفلانة جاهزة لأنه يرى نفسه فمثله كمثل الرجل الذى قالوا له: إن الفضل الذى أنت فيه من الله، قال: لا:

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ [٧٨ القصص]

فكل هذه الأشياء من علمى وخبرتى ومهارتى وشطارتى هى التى أتت بهذه الأشياء فكانت النتيجة:

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [٨١ القصص]

وصف الحامدين

الإنسان الحامد لله هو المقر والمعترف ليس بلسانه بل بقلبه وجنانه بأن الفضل كله من الله وإلى الله ﷻ، يقولون له أولادك ما شاء الله ربنا بارك فيهم وبرره ومطيعين ومتفوقين، يقول الحامد: هذا من فضل الله هو الذى هداهم ووفقهم وماذا كنت فاعلاً لهم لولا توفيق الله ومعونته، فهذا الرجل أصبح إنساناً حامداً لأنه نسب الفضل لله ﷻ، أما الآخر فيقول: إنني أقوم بتأديبهم وأحضر لهم العصا وأراقبهم ليل نهار وأتابعهم وينسب الفضل لنفسه، فمثل هذا خرج من دائرة الحامدين لأن الحامد ينسب الفضل كله والنعمة كلها لله رب العالمين.

وهكذا يا إخوانى فى أى أمر فإن كان طبيباً يقولون له أنت السبب فى علاج فلان يقول لا الفضل لله ومن الله وإلى الله ﷻ، لكن النساء الواحدة منهن تقول لصاحبتها انظرى ما أنجبت؟ وكيف شكله وصورته؟ والحقيقة أنها لم تأت به أو بشكله أو صورته فالذى أعطي هو الله الذى يقول:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [٦ آل عمران]

من فيهن صورت؟ ومن فيهن قصرت أو أطالت أو لونت؟ هذا أبيض وهذا أسود وهذا أحمر، ومن فيهن كونت؟ لكن يا إخوانى لمن الفضل؟ لله ﷻ هو الذى صور وهو الذى كون وهو الذى لون وهو الذى دبر وهو الذى هيأ هذا الإنسان فالفضل من الله وإلى الله ﷻ، فالإنسان الحامد هو الذى ينسب كل شئ إلى الله ﷻ وهذا مثله واضح

فى قول سيدنا إبراهيم عليه السلام:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء]

مع أن المرض ليس منه لكنه أدب الحضرة نسب المرض لأنه عيب لنفسه عليه السلام، فينسب الحامد كل كمال إلى الله وكل نقص وكل تقصير وكل سهو وكل غفلة إلى نفسه، وهذا يا إخوانى فى كل حال، الكلام سهل لكنه فى حال الفعال صعب ولا يأتى به إلا كمل الصالحين وكمل المقربين والذين إحساسهم دائماً فى كل وقت وحين انه معهم وأنه سبحانه لو تخلى عنهم طرفة عين لا يستطيع الواحد أن يطرف أو يحرك أصبع أو لسان أو أى عضو ويعلم أن الله ﷻ هو الفعال لما يريد ... هذا يا إخوانى الحمد.

فالحمد يا إخوانى أجمله سيدنا أبو بكر فى جملة واحدة قال فيها:

{ الحمد لله الذى لم يصل أحد إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته }

وهذه خطبة كاملة خطبها سيدنا أبو بكر ونزل!!

ومعنى هذه الخطبة أن أهل الحمد الأعظم هم الذين وصلوا ووقفوا على لا حول ولا قوة إلا بالله فيرى الواحد منهم فى نفسه أنه ليس له حول ولا طول ولا قوة ولا فضل إلا إذا أمده بذلك الله ﷻ.

فعندما يطلب من أحدهم مصلحة يقول إذا وفقنى ربنا سأفعلها، وعندما يطلب منه علماً يقول إذا ألهمنى ربنا سأعلمك فهو دائم واقف على أعتاب فضل الله يستمطر الخير والنعم كلها من الله لأنه يرى الفضل كله من الله وإلى الله ﷻ.

ولذلك لما حدثت للسيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها حادثة الإفك واتهمها المنافقون بالزور والبهتان ونزلت براءتها من الله ﷻ وكان سيدنا رسول الله ﷺ جالساً مع سيدنا أبى بكر وزوجته ومعهم السيدة عائشة فقال لها سيدنا رسول الله ﷺ:{ أَمَّا بَعْدُ. يَا

عَائِشَةُ! فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا. فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللّهُ .. فقالت: إِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، لاَ تُصَدِّقُونِي بِذلِكَ .. وَاللّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} .... وَأَنَا، وَاللّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ. وَأَنّ اللّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي } ثم وهم جالسون أخذه ﷺ الوحى ونزلت البراءة، آيات تتلى فى كتاب الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وتعطى درساً عظيماً للمؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة، أدب ربانى فى درس قرآنى وكانت نتيجة الحادثة التي تعرضت لها السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها.

ودائماً دروس القرآن الكريم نماذجها تكون أبطال الله وأولياء الله ﷻ وأنبياء الله ورسل الله لأنهم هم الذين يستطيعون تحمل هذه الدروس.

فبعدما قرأ سيدنا رسول الله ﷺ العشر آيات من سورة النور والتي فيها البراءة فقالت لها أمها زوجة سيدنا أبى بكر: { قُومِي إِلَيْهِ – إلى رسول الله– قَالَتْ: وَاللّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، لاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللّهَ. هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي } { خرجة البخارى ومسلم والطبرانى وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها }.

انتبهوا يا إخوانى فهذا خالص التوحيد.

إذاً لمن التوحيد؟ لم يقل سبحانه: { حمداً لله } إنما قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾

فالحمد كله فى الدنيا والآخرة لله على كل نعمة ظاهرة وباطنة، فلا أحد من خلقه له نصيب فى الحمد.

فما الوصف المشترك بين الله وبين خلقه؟ .. هو الشكر.

إذاً لمن الحمد؟ .. لله!

فكيف نحمد الله؟

كما علمنا رسول الله ﷺ :

فى وقت الخير نقول الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وفى وقت الضر نقول الحمد لله على كل حال.

هكذا نحمد الله ﷻ فى السراء ونحمده فى الضراء لأننا حامدون لله ﷻ على كل نعمة ظاهرة أو باطنة.

حقيقة الشكر

لكن الشكر شئ آخر فما هو؟

الشكر بينَّه الله ﷻ فقال:

﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ [١٣ سبأ]

فالشكر عمل ونحن نعلم هذا يا إخوانى.

- فالحمد عقيدة ومعانى قلبية وأسرار روحانية يعيشها الإنسان بقلبه والله ﷻ مطلع على القلوب ويعلم ما فيها من الغيوب.
- لكن الشكر حالة فعلية تفعلها الجوارح شكراً لله ﷻ .

وكل جارحة لها شكر وكل نعمة واردة علىَ لها شكر يناسبها فى كتاب الله وفى حديث وسنة رسول الله ﷺ.

نحن الآن فى موسم الحصاد ... هل إذا جلسنا على رأس الحقل ونقول الحمد لله رب العالمين ربنا أكرمنا وأعطانا ونجلس على رأس الحقول أسبوعيا نكرر هذه الكلمات هل نصبح شاكرين لله يا إخوانى؟ لا !!

متى يكون الرجل منا شاكراً لله؟

عندما يأتى ويرى المحصول ويخرج منه حق الله وهو الزكاة!

هذا هو الشكر العملى!

فالحمد أنه ينسب هذه النعمة وهذا الفضل لله لكن هذا لا ينفع إلا ومعه الشكر، والشكر معناه إخراج حقوق الله ﷻ الواجبة عليه فى هذا المحصول لله سبحانه وتعالى إذا كانت العشر أو نصف العشر أو غيره على حسب ما حددت وبينت الشريعة الغراء ووضح سيد الأنبياء ﷺ.

وهذا رجل يصلى ويصلى الفجر فى موعده وقبل الفجر أيضاً يصلى التهجد لله ﷻ ويقرأ ختمه قرآن كل يوم ...لكن لم يخرج حق الله !!! هل تصبح هذه عبادة يا إخوانى؟ أبداً !! .... إنه يعتقد أنه يضحك على الله ... ويعتقد هذا فى نفسه ... وهو بهذا داخل فى قوله تعالى:

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [٩ البقرة]

فالشكر فى هذا الموضع هو العمل كما قلنا، عبدٌ أفاء الله عليه وأخرج الزكاة لكن عنده مال زائد ما شكره فى هذه الحالة؟

أن يذهب لأداء فريضة الحج لله ﷻ.

لكن عنده مال زائد وحتى لو أقام مستشفى أو مسجداً أو غيره لكنه لم يذهب لأداء الفريضة المدين بها لله ﷻ، هل تصلح هذه الأعمال الخيرية يا إخوانى؟

لا ..! نحن علينا الأصول أولاً وبعد الأصول الفروع.

فأنا معى مال زائد بعد إخراج حق الله { الزكاة } فأنا على الناحية الأخرى وهى شكرى لله على هذا المال بأداء الفريضة لله ﷻ.

حكمة الصلاة

أعطانى ربنا الصحة وأصبحت فى الصباح معافاً فى بدنى وعينى سليمة وأذنى سليمة ولسانى مستقيم وجوارحى تتحرك بإرادة من يقول للشئ كن فيكون ..

فليس شكرى على هذه النعم أن أقول الحمد لله فقط ... مثلما يقول بعض الناس: .. مادام قلبى نظيفاً غير مهم أى شئ آخر !! – ما لنا ولقلبك – والذى صنع القلب ويعلم بباطن القلب هو الذى أمر بهذا الأمر !!

شكرى لله الذى علىَّ بالنسبة لهذه الجوارح ماذا؟

أن أعفرها بالتراب أمام رب الأرباب، أسجد بها لله وأركع بها لله وأخضع بها بين يدى الله من أجل أن أشكره أنه جعل هذه الأعضاء تتحرك طوع أمرى وأستعين بها فى هذه الحياة على طاعته وقربه ﷻ ...

هذه هى الحكمة الأولى من الصلاة:

أننى أشكر الله على هذه النعم، وهذه النعم متجددة لأننى كل يوم أستيقظ وعينى ترى فواجبى أن أشكر الله على هذه النعمة هذا اليوم، فهى ليست نعمة طوال العمر إنما هى نعمة متجددة دوماً فى كل نفس وأنا محتاج أن أشكر الله عليها.

والله ﷻ لم يرض أن يشق علينا فقال يكفى أن تقف بين يدى الله ﷻ خمس مرات تشكره على نعم الجوارح، نعم الأعضاء الظاهرة والباطنة التى خلقها وصورها وشغلها وهيئها وكونها وغذاها ﷻ فاشكره عليها.

كيفية الشكر

– فشكرى لله ﷻ على نعمة الأعضاء بالصلاة.

– وأشكر الله على نعمة المال بالزكاة.

- وأشكر الله على نعمة اللسان أنى أذكر الله به سواء بالإستغفار أو بتلاوة القرآن أو بالصلاة على حضرة النبي ﷺ أو بتسبيح أو بتحميد أو بتهليل أو بتكبير لله ﷻ.
- وأشكر الله ﷻ على نعمة العين بأن أنظر بها فى كتاب الله ﷻ.
- وأشكر الله على نعمة الأذن فأسمع بها كلام الله أو حديث رسول الله ﷺ أو مجالس العلم النافعة التي تقرب إلى الله ﷻ.
- وأشكر الله على نعمة العقل أنى أفكر به فى الخير لنفسى وأولادى ولإخوانى المسلمين أو أفكر به فى مصلحة تنفع المسلمين أو فى حل معضلة تشغل المسلمين أو فى فك كرب جار لى من المؤمنين فالتفكير فى الخير هو شكر لله ﷻ على نعمة العقل.

إذاً كل نعمة لها ما يلائمها من أنواع الشكر والشكر كله عمل:

﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [١٣ سبأ]

ولذلك كما تعملون عندما وقف سيدنا رسول الله ﷺ طوال الليل على قدم واحدة حتى تورمت قدماه والسيدة عائشة تقول له:

{ يَا رَسُولَ اللّهِ أَتَصْنَعُ هذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخّرَ؟ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟ } متفق عليه من حديث عائشة

فأنا أريد أن أشكر الله على هذه النعم، وكيف أشكره؟

أقول الحمد لله فقط؟ لا! بل أشكره بالفعل وبالصنيع، وكل نعمة من نعم الله أعطاها لك لها شكرها ولها طريقة الشكر التى بينها سيد الشاكرين ﷺ حتى نكون شاكرين بالطريقة الصحيحة المرضية لله ﷻ.

أحد الأغنياء وكان جالساً معى والذين معه يثنون عليه ويقولون إن فلاناً هذا ما

شاء الله عنده حوالى مائة فدان وقصر وخدم وحشم ومع ذلك لابد أن يقوم الليل بين يدى الله يتهجد ويصوم يومى الإثنين والخميس دائماً ويثنون عليه فقلت لهم:

ليست هذه عبادته ولا هذا شكره فهذا شكر الفقير لكن ما عبادته؟ عبادته قال فيها النبى ﷺ:

﴿ الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة، إلا من قال: بالمال هكذا وهكذا وهكذا وهكذا، وقليل ما هم ﴾ (١٥)

عبادته أنه يتفضل بالنعمة التى تفضل بها الله ﷻ عليه على الفقراء والمساكين وعلى المحتاجين، هذه هى العبادة التى يرضاها ويقبلها منه الله ﷻ، قال تعالى:

﴿ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ ﴾ [٤٠ النمل]

من هذا؟ الذى أخذ المال وأخذ الملك.

أبواب الشكر

فالذى أخذ الملك كيف يكون شكره؟

بالعدل بين عباد الله.

فالذى أخذ الملك أى الذى جعله الله مديراً أو وزيراً أو حاكماً فشكره على هذه النعمة القيام بالعدل بين خلق الله ورعاية حقوق من كلفه بهم الله ﷻ والسهر على مصالحهم.

هل كان سيدنا عمر يسهر فى المسجد أم كان يسهر فى الطرقات؟ كان ﷺ وأرضاه يتسمع على هذا المنزل أو ذاك ويرى مصالح الناس هنا وهناك، هذه هى عبادته وليست عبادته أن يجلس فى المسجد ويترك هؤلاء الناس.

(١٥) رواه مسلم والبخارى من حديث أبي ذر ﷺ

فكل فرد له شكر على قدر النعم التى وهبها له الله ﷻ وكل نعمة تفضل بها عليك الله فهذا هو الباب الذى فتحه الله لك لشكره ﷻ، فإذا دخلت من هذا الباب ستصل إلى الخير الذى قدره الله ﷻ لك.

ولو تركت هذا الباب الذى فتح لك وتريد أن تذهب إلى باب آخر لن تدخل إلى رحاب الله ولا إلى فضل الله ولا إلى كرم الله ﷻ.

ما الذى أفلح به أصحاب رسول الله ﷺ؟ .. أنهم عرفوا هذه الحقيقة:

فسيدنا عثمان ﷺ أعطاه الله المال فكيف كان يشكر الله على هذه النعمة؟

عندما تحتاج الدولة إلى مال لله فوراً يستجيب ويؤدى ما عليه من واجب، نريد تجهيز الجيش يقول تجهيز الجيش كله على نفقتى فكان يجهز الجيش وحده.

المسلمون ليس لديهم بئر ماء والبئر ملك رجل يهودى وهو يتحكم فى المسلمين فقال ﷺ: من يشتر هذا البئر وأضمن له الجنة، قال: أنا يا رسول الله!

وذهب واشترى البئر وقال هذا البئر وقْف للمسلمين ولم يبع الماء لهم ..

والمسلمون لما أصابهم قحط وجاءه دقيق فى تجارة وجاءه التجار ليكسبوه أضعافاً مضاعفة، يقول: لا! هذا يعطى لفقراء المسلمين ... هذه هى عبادته.

ما عبادة خالد بن الوليد؟ وما شكره لله؟

عبادته وشكره يخطط ويدبر ويضع الخطط التى يكيد بها الأعداء والتى يحقق بها النصر لجند السماء.

هذا يا إخوانى الشكر المطلوب وليس ما يحدث الآن، يقول الخطيب الحمد لله فنقبل أيدينا ونعتبر أنه شكر لله ﷻ على النعمة !!!

لا ليس هذا هو الشكر.

فضل الشكر والشاكرين

فشكر الله على النعمة أنى أنفق مما رزقنى الله، قال تعالى:

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [٣ البقرة]

- أعطانى مال أنفقه على المحتاجين.
- أعطانى جاه أقضى به مصالح السائلين .. هذه هى عبادتى ... وهذا هو شكرى لله ﷻ.
- أعطانى حسن تدبير الأمور وحسن إخراج المسلمين من معضلاتهم ومشاكلهم فيصبح شكرى لله وعبادتى لله أنى أصلح بين عباد الله المتخاصمين والمتفارقين وتصبح هذه عبادتى لله وتهجدى لله وطاعتى لله ﷻ .. ، فعندما يقضى أحدنا ليلة يصلح بين متخاصمين أفضل؟ .. أم أن يقضى ليلة مع كتاب الله ﷻ؟ أيهما أفضل يا إخوانى؟

الصلح قال ﷺ:

﴿ ألا أدلكم على ما هو أفضل من درجة الصلاة والصيام والزكاة والحج؟ ﴾ النوافل وليست الفرائض، قالوا بلى يا رسول الله ﴿ قال إصلاح ذات البين ﴾ (١٨)

فالشكر يا إخوانى لله ﷻ عمل:

والشكر يشمل الشكر لله ويشمل الشكر لخلق الله، قال تعالى:

﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [١٤ لقمان]

تشكر الله وتشكر والديك على النعم التى أعطاها لك، وشكر الوالدين هنا البر بهما وطاعتهما وقضاء حاجاتهما طالما لا تخالف الشرع.

(١٨) رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء ﷺ

وأيضاً أى شخص أجرى الله ﷻ نعمة على يديه لى كأن علمنى مهنة أو حرفة أو علمنى كلمة علم أو صنع لى معروفاً فربنا علمنا ليدوم المعروف أن نشكر الناس وقد قال ﷺ: ﴿ مَنْ لم يَشْكُرِ النّاسَ لَمْ يَشكُرِ الله ﴾ سنن الترمذي عن أبى سعيد

وقال رسول الله ﷺ:

{ أخبرني جبريل عليه السلام أنه إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين يقول الله لعبده عبدي هل شكرت فلانا على ما كان منه إليك فيقول لا يا رب شكرتك لأن النعمة كانت منك قال فيقول الله ما شكرتني إذ لم تشكر من أديت لك النعمة على يديه } شعب الإيمان للبيهقى.

ما الذى قلل صنع المعروف فى المجتمع الآن يا إخوانى؟

أن الناس لا تعترف بالجميل، يذهب إلى الرجل ويلاطفه ويداهنه ويلاينه إلى أن يقضى مصلحته وبعد ذلك حتى كلمة السلام عليكم يبخل بها عليه فتنكسر نفسه ويقول لقد صنعت له الجميل ولم يقل حتى السلام عليكم ونحن بشر والبشرية موجودة فتقتل فى نفسه الرغبة فى عمل الخير!!

لكن عندما كان الناس يعترفون بالخير ولا ينكرون الجميل كانوا يتنافسون فى عمل الخير ويريد كل واحد منهم أن يصنع الخير حتى يرضى الله ويرضى خلق الله!

فالله ﷻ هو الذى أمرنى أن أشكر الناس على الجميل وعلى الخير الذى صنعوه معى وكل واحد يكفر بهذه النعم يكون له عقاب شديد يوم لقاء الله ﷻ.

أضرب مثلاً بسيطاً حتى أنهى حديثى الآن:

لو أحدنا احتاج مائة جنية من يعطيه الآن؟

لا أحد، لماذا؟

لأنه إذا أعطاه المبلغ يقول له سأردها بعد شهر وبعد الشهر يقول له بعد شهرين

وبعد الشهرين يقول له بعد سنة وبعد هذا يهرب منه وبعدها يقول له اذهب إلى القضاء واطلبنى ويسمع ما يكره!!

فالذى يعمل هذا العمل مرة هل سيفعلها مرة أخرى؟ لا !!

لكن الإسلام لم يقل هذا إنما قال لابد أن أفى بالعهد:

﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [٣٤ الإسراء]

العهد نفسه سيُسأل!!

العهد الذى أنت أخذته سوف يُسأل !!

أنا قصرت بى الأمور أذهب إليه وأستسمحه وأقول له اصبر علىَّ هذا الشهر، الشهر التالى ليس معى أقول له أيضاً ..

بل إن الله ﷻ كما أمر حبيب الله ومصطفاه ﷺ، أوصى حضرة النبي ﷺ عندما أسدد الدين الذى على؛ قال لابد أن أزيد شيئاً عليه من عندى بدون شرط عليه حتى لا يكون ربا، أزيد شيئاً من عندى حتى يكون دليلاً على شكرى لهذا الرجل واعترافاً بالجميل أقول له هذه هدية منى لك، ولذلك أخذ النبى من الرجل اليهودى سبعة أوسق، وعندما جاء ليطالبه قال يا عمر أعطه ثلاثين !، انتبهوا أخذهم سبعة .. وأعطاهم له ثلاثين ليجذبه إلى الله ﷻ وليعرفنا كيفية رد الجميل فلم يردهم ناقصين أو على مراحل بل قال ردهم وزدهم.

لذلك لو هذا الفعل موجوداً الآن سيظل الخير موجوداً فى المجتمع وبالتالى المؤمن فى الوقت الذى يحتاج فيه سوف يجد ألف يد تمتد بالخير إليه لأنه سيشكر الله ويشكر عبيد الله على فضل الله ﷻ.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ أحوال الخليل مع الجليل ﴾ (*)

بين المتوكلين والمتواكلين

دور الأسباب فى الحياة

أسباب الهدايه

حكمة دعاء الأنبياء

تعليم الخليل للملائكة

ملازمة باب الدعاء

سر إجابة الله للصالحين

حقيقة رفع التكليف عن الصالحين

الولي المربى

(*) كان هذا الدرس يوم الخميس ٥ / ٥ / ١٩٩٤ فى السهرة بعزبة أبى إسماعيل – مركز مطاى – محافظة المنيا.

أهل الإطلاق وأهل التقيد

من مشاهد الحبيب ﷺ

مقامات الصالحين

وراثة الصالحين

طريقة الإلتحاق بالصالحين

خصوصيات الحجر الأسعد

عمر إمام المحدثين

حديث الحقائق

كتاب الأبرار

أحوال الخليل مع الجليل

استمعنا جميعاً إلى دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام الطويل، فسبحان الله لا يوجد نبى من أنبياء الله أكثر الله ﷻ من ذكر أدعيته فى القرآن مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام مرة فى سورته التى سمعناها الآن والمسماه { سورة إبراهيم } ومرة فى سورة الشعراء:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [٨٣ الشعراء]

لماذا أكثر الله ﷻ من ذكر أدعية سيدنا إبراهيم بالذات؟ حتى لا يظن كثير من الناس أن المقام الأكرم أو المقام الأفضل هو ترك الدعاء.

بين المتوكلين والمتواكلين

بعض الجماعة الغير ملاحظين لهذا الأمر من تدرج الأنبياء فى المقامات الروحانية يأتى له أمر من الأمور الشديدة كالمرض حفظنا الله وإياكم من الأمراض، أو ينزل عليه بلاء وكلنا معرضون للابتلاء لأن الدنيا كلها دار بلاء حتى يعرف المجاهدين من الصابرين، فبعض الناس الذين يسمون المتواكلين وليسوا المتوكلين ... فجماعة اسمهم المتواكلين وأخرى اسمهم المتوكلين:

المتوكل يزرع الأرض ويجد فيها ويرويها وينقيها ويسمدها وبعد هذا يتوكل على الله ﷻ، أما المتواكل فيترك الأرض ويقول: المكتوب على الجبين ستراه العين، كيف تراه؟! وأنت لم تزرع ولم ترو ولم تسمد فكيف يأتى المكتوب؟ المتواكل يمرض يقال له: اذهب إلى الطبيب، يقول لا لو كتب ربنا لى الشفاء سوف أشفى بدون طبيب فالطبيب ليس بيده شئ والشفاء كله من عند الله، وهذا صحيح لكنها كلمة حق أريد بها باطل، نعم الشفاء من عند الله لكن رسول الله ﷺ: قال:

﴿ تداووا عباد الله فإن الله كما خلق الداء خلق الدواء ﴾ (١)

(١) رواه أحمد والأربعة وابن حبان والحاكم عن أسماء بنت شريك ورواه القضاعي عن أبي هريرة .

وقال ﷺ:

﴿ ما من داء إلا وأنزل الله ﷻ له دواء علمه من علمه وجهله من جهله ﴾ (٢)

فالمتوكل يذهب إلى الطبيب ويعلم أنه سبب فى يد مسبب الأسباب، والشفاء من الله لكن الطبيب جعله الله لنا سبباً من الأسباب.

وأنا أقول لإخواننا المتواكلين مادام الأمر كله من عند الله فلماذا تأكلون؟! ليس هناك داع للطعام فإن القوة من عند الله وهى مكتوبة وستأتيك من عند الله، لكن هذا سبب وضعه لنا مسبب الأسباب ﷻ وهذا لإخواننا المتواكلين!!

فالذى لا يريد أن يعالج ويقول الشفاء من عند الله ولا يريد أن يجِّد فى الزرع ويقول الخير قدره الله نقول له لا تأكل، من أين القوة؟ من عند الله، فالطعام لا يعطى قوة ولا عافية، فالعافية والقوة والصحة من الله ﷻ لكن هذه كلها أسباب جعلها الله ﷻ، ولذلك كونه ربط الأسباب ببعضها.

من الذى يخلق الجنين؟ الله !!، لو امرأة حملت من غير اتصال برجل عن طريق الشريعة المطهرة ما موقفنا منها يا إخوانى؟ ألسنا جميعاً نتخذ منها موقفاً شديداً؟ وتأنيب وتوبيخ إن لم يكن قتل أو غيره لماذا؟ من الذى خلق؟ هو الله لكن نحن نعرف أنه لابد من سبب، وطالما أنه لا يوجد سبب من حلال يصبح سبباً من حرام لأن هذه هى قاعدة الله.

دور الأسباب فى الحياة

إن الله ﷻ جعل كل شئ فى كونه متوقف على الأسباب:

ومن يشهد الأسباب تفعل فهو فى ضلال مبين قاله القرآن

فالذى يرى الأسباب تفعل من نفسها من غير توفيق أو إذاً من ربها يكون فى

(٢) رواه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب والحاكم عن أبى سعيد ﷺ .

ضلال مثل من يقول: لا أفضل من هذا الطبيب فيده فيها الشفاء ويثنى عليه كثيراً، لكن الطبيب هذا سبب والشفاء من مسبب الأسباب ﷻ.

فنحن يا إخوانى نلتمس الأسباب التى فيها قدرة وتصريف مسبب الأسباب ﷻ ولا نقف على الأسباب طالبين قدرة الله لأن هذا يعتبر امتحان لله ﷻ فالذى يجلس فى الشارع ويقول لو أنه كتب لى لقمة عيش لأتى بها إلىَّ، فمثل هذا يختبر الله، ولم يقل الله هذا بل قال سبحانه:

﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾ [١٥ الملك]

لن تأكلوا من تعبكم أو شطارتكم ولكن لابد من السعى، حتى الجاهل الذى يحتج بالطيور أخرجنا النبي ﷺ من هذا المطب فقال:

﴿ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ﴾ (٣).

انتبهوا للحديث ماذا تفعل الطير؟ أتجلس فى العش؟ قال: لا تغدو فى الصباح تمشى { تغدو خماصاً وتعود بطاناً } أما الطير الذى يجلس فى العش ويقول يارب ارزقنى فلا ينفع هذا الكلام لأن هذا يختبر الله ﷻ والله ﷻ قد جعل لكل شئ سببا ودبر الكون كله على الأسباب لأن عالمنا الذى نحن فيه اسمه عالم الأسباب ولذا ربط الدين كل شئ بالأسباب.

أسباب الهداية

وقد كان سبحانه وتعالى قادراً أن يعلمنا من غير معلم ولكن لماذا أرسل المعلم الأعظم ﷺ؟

من أجل الأسباب!، وبعد ذلك أرسل العلماء، لماذا؟ من أجل الأسباب!!

(٣) رواه أحمد والطيالسي فى مسنديهما والترمذى وابن ماجة عن عمر مرفوعاً .

لأن الكون كله مرتبط بالأسباب فالذى يلغى السبب سواء فى دين أو فى دنيا فإنه ضل عن الطريق المستقيم الذى وضحه رب العالمين ﷻ.

ومن ترك السبب فى الدنيا كمن ترك السبب فى الدين.

وذلك مثل الذين يقولون مالنا والنبى فنحن مع الله مباشرة، فلماذا أتى الله بالنبى ﷺ، فهو سبحانه وتعالى كان قادراً على أن يجعل الهداية منه لنا مباشرة من البداية لكنة أتى به وارتضاه وأمره بتبليغ رسالته ودعوته وأمرنا أن نأخذ ما أمرنا به وننتهى عما نهانا عنه، فهذا دليل على أنه يريد منا التمسك بهذا السبب مع الإعتقاد بأنه الفعال وهو مقلب القلوب والأبصار ﷻ، لكن لابد من السبب فهو سبب الهداية.

كما أن الرزق هو سبب القوت وسبب العافية فهو سبب عافية الأرواح وسبب شفاء القلوب وسبب نور أبصار الغيوب وسبب إنكشاف عوالم الله ﷻ لكل قلب نقى منيب وسبب الوصول إلى حضرة الله ﷻ وهو سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

والذى يبطل السبب فقد ضل طريق المسبب ﷻ فى الحالتين وهذه مثل تلك، فالشمس كان يمكن لله أن يمنحنا حرارة بدونها ويمكنه أن ينير الكون بدون سطوع أنوارها ولكن لماذا أتي الله ﷻ بها.

كذلك شمس القلوب وشمس الأرواح هو السبب الذى يأخذ بأهل القلوب وأهل الصلاح ليوصلهم إلى معية الكريم الفتاح ﷻ:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

فمن ينكر الشمس فهذا عنده رمد أو أعمى !!

كذلك من ينكر الشمس الكلية وإكسابها للحياة الروحانية والإيمانية من أهل النفوس الذكية فإما أن يكون أعمى البصيرة أو عنده رمد من الذنوب والعيوب، والعجب والجهل والظلم لنفسه ولعباد الله ﷻ .

لكن لا توجد عين بصيرة مضيئة إلا وتشهد أنوار الحضرة المحمدية التى تجذب

النفوس من أسفل سافلين البعد إلى قاب قوسين التدانى من حضرة القرب للقريب ﷻ ولا توجد غيرها.

تجـذب الـروح الهياكـل ... فـى الصـفا أعلـى المنـازل
إن أداروا الـراح صـرفاً ... أسـكرت عـال وسـافل

حكمة دعاء الأنبياء

فالمتواكلون يحتجون بحجة ظانين أنها قوية يقولون أن سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما أُلقى فى النار وآتاه سيدنا جبريل عليه السلام وقال له: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال: فلله ﷻ؟ قال: {علمه بحالى يغنى عن سؤالى }

ويقولون إن هذا هو المقام العالى، لكن المقام العالى هو الذى ذكره الله ﷻ فى كتاب الله من دعاء سيدنا إبراهيم مرات وكرات لنفسه ولبنيه ولذريته وفى الدنيا والآخرة وللبلد الحرام ولجميع الأنام، والمقام العالى الذى كان فيه أيضاً سيدنا رسول الله ﷺ فإنه يشاهد ما جرى له فى الطائف وشاهدهم وهم يرمونه وأصابوه لكنه يقول:

﴿ اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ﴾

إلى آخر الدعاء، فهو يراه، وكذلك يوم بدر عندما ظل يدعو حتى سقط الرداء من على كتفه الشريف وسيدنا أبو بكر يقول:

{ يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك }

فيقول: { اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض بعد اليوم }

ما جلية هذا الأمر؟ إن النبى ﷺ قال: ﴿ الدعاء مخ العبادة ﴾ (٤)

لماذا الدعاء مخ العبادة؟ لأنه إقرار منك بالعبودية وكونك عبد يعنى أنك محتاج

(٤) رواه الترمذى عن أنس رضي الله عنه .

ولكن ليس محتاجاً لخلق الله بل محتاج لسيدك ومولاك، وهذا هو الفارق!

والمحتاج لسيده ماذا يفعل؟

يقبل يده ويتذلل بين يديه ويمرغ خديه على التراب بين يديه ويشتكى إليه ويتأوه ويتوجع حتى يحن عليه ويعطيه الله ﷻ ما يريده منه، وهذا هو الحال الذى كان يفعله الأنبياء والمرسلون والذى يسير على نهجهم الأولياء والصالحون ﷺ وأرضاهم:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٦٠ غافر]

فأنت تعرف ماذا تقول له؟ الذى تقوله أنت يعلمه، لكنه يريد أن نحس أننا عبيد وهو رب حميد مجيد، وصفة العبد الحاجة والتذلل والتضرع والتأوه والشكاية والتبتل والإبتهال لكن لمن؟ لله ﷻ، وهذا هو الفرق، الجهلاء يجعلون هذه الصفة لخلق الله وهذا هو الخطأ الذى نهانا عنه الله وحذرنا منه سيدنا رسول الله ﷺ.

إننى كما يحدث الآن أذهب للرجل الذى لى حاجة عنده وأتذلل بين يديه وأتضرع له وكما نرى الناس بعضهم يرتمى على قدميه ويقبلها ويبكى بين يديه ويتذلل له، لماذا كل ذلك؟ لا، هذا الموقف قال فيه حضرة النبى ﷺ:

﴿اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس﴾ (٥)

فهنا موقف العزة لكن موقف التذلل لله.

فالناس قد بدلوا هذا الأمر فهم يتذللون بين يدى خلق الله وبين يدى الله ﷻ تجدهم عندهم عزة وشاعرين بأنفسهم وليس لديهم مسكنة ولا تضرع بين يدى الله ﷻ، وقد يبطأ الله عنا الإجابة لفترة قد تطول أو تقصر، وهو سبحانه عندما يبطئ فى الإجابة فإنما يريد منا الإكثار من الحنين والنجوى إليه، وهذا هو كل الأمر فمن يحبه الله يقول للملائكة أخروا عنه حاجته فإنى أحب أن أسمع صوته.

(٥) رواه تمام وابن عساكر عن عبد الله بن بسر .

مثال: ولله المثل الأعلى:

عندما أرفع السماعة وأقول يا أستاذ فلان أريد حاجة يقول حاضر ولا يقضى حاجتى، وفى اليوم التالى أتصل يقول حاضر فأنا أريد أن أسمع صوتك طالما أنك لا تتذكرنى إلا فى الحاجات فإنى أؤخرها، كذلك نحن لا نتذكره إلا عند الحاجات وعندما لا تكون لنا طلبات فإننا ننسى ونسهو، ولذا فعندما نحتاجه عند الحاجات فإنه يؤخر الطلب بعض الشئ لكى نلح ونكثر من السؤال لأنه يريد أن يسمع كلامنا ويسمع حنيننا وأوجاعنا وآهاتنا بين يديه ﷻ فإنه يقول:

﴿ يا داود أنين المذنبين أحب إلى من صراخ العابدين ﴾ (٦)

لماذا؟ لأن المذنب عندما يئن فإنه يكون شاعراً بالندم والذنب والانكسار، وهذا هو مقام العبودية المطلوب بين يدى الله الواحد القهار ﷻ، لكن العابد ربما يتدلل بعبادته على ربه فيقول له إننى فعلت ما لا يفعله أحد وإننى قدمت كذا وعملت كذا، ولكنه لا يريد إلا أهل الذل والمسكنة بين يديه.

فمقام الدعاء مقام الأنبياء، ولذلك عندما ننظر إلى قصص الأنبياء فى كتاب الله ﷻ نجد فيها العجب العجاب من أحباب الله وأصفياء الله فهو يبتليهم ويطيل فى البلاء، لماذا؟ لكى يزيدوا فى الدعاء ويزيدوا فى الرجاء حتى يجيبهم الله ﷻ فى النهاية كما يقول سبحانه فى القاعدة القرآنية فى (١١٠يوسف):

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾

حتى يكادوا أن يصلوا إلى اليأس ويهيأ لهم أنهم لا مكانة لهم عنده ولا منزلة لهم ويقولون لو كانت لنا مكانة كان أعطانا ولو كان لنا منزلة لأعطانا لكنه تركنا نحارب الكفار ونقول ونقول ولا يسأل فينا لماذا؟! لأنه يريد أن يسمع صوتهم!!

وهذه قاعدة سارية مع الكل ... فسيدنا موسى عليه السلام دعا واستجاب الله

(٦) ورد فى كشف الخفا للعجلونى وقال فى شأنه (لينظر) .

له، لكنه سبحانه قال: مع أنني استجبت لك فلا تقف عند هذا ولكن ألح في الدعاء فإن الله يحب العبد الملح في الدعاء لأنه يريد أن يسمع إلحاح عباده، وتركه أربعين سنة حتى أجاب، مع أنه سبحانه استجاب من البداية لكن لكي يلح في الدعاء، وسيدنا أيوب عليه السلام كان من البداية يستطيع أن يشفيه لكن لماذا تركه هذه الفترة الطويلة ثمانية عشر سنة أو أكثر؟ لكي يدعو ويلح في الدعاء، وسيدنا رسول الله ﷺ يعلم أنه سبحانه وتعالى سينصره ويعلم أنه سيبلغ ملكه هنا وهناك فقد قال ﷺ:

{ زُوِيَتْ لِيَ الأَرْضُ حَتّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا. وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَصْفَرَ أَوِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ يَعْنِي الذّهَبَ وَالْفِضّةَ وَقِيلَ لِي: إِنّ مُلْكَكَ إِلَى حَيْثُ زُوِيَ لَكَ } (٧)

إنه يعلم هذه الأرض ومن فيها، ولكن لماذا تدعو؟ قال هكذا أمر الله ﷻ.

تعليم الخليل للملائكة

فالمقام العالي يا إخواني هو مقام الدعاء وليس المقام هو { علمه بحالي يغني عن سؤالي } إنما موضوع علمه بحالي هذه كانت تربية إلهية بين الخليل والحضرة العلية، وهو درس يلقنه الله ﷻ للملائكة على يد سيدنا إبراهيم.

ورسل الله هم المعلمون لملائكة الله، فلما حدث ما حدث وألقوا به في النار، وكانت كما يقولون لهيبها على مسافة شهرين سيراً وحتى أنهم احتاروا كيف يلقونه فيها لولا أن نزل إبليس عليه اللعنة وعلمهم وقال لهم: أحضروا شجرتين وشجرة في الوسط وضعوا فيها الحبال على رأس الجبل فوضعوه وحركوها وألقوه كما يفعلون في نظام المدافع حتى ينزل من بعيد في قلب النار، وهذا كان اسمه المنجنيق وهو أول منجنيق صنع وهو المدفع الأول في البداية، وعندما ألقى سيدنا إبراهيم في النار ضجت الملائكة وقالت يارب خليلك وصفيك يلقى به في النار، فقال الله ﷻ: { إن كان استغاث بكم

(٧) سنن إبن ماجه، ورواه رواه أحمد ومسلم و أبو داود والترمذي عن ثوبان ﷺ بألفاظ مختلفة.

فأغيثوه } هل نادى على أحد منكم؟ إن كان نادى فأجيبوه، ثم عادوا مرة أخرى وقالوا: يارب عبدك إبراهيم، فقال الله: اختاروا واحداً منكم وأرسلوه إليه يسأله ماذا يريد؟ فالله ﷻ يريد أن يعطيهم درساً فى كمال توحيد العبيد الذى وصل فيه للدرجة الأولى سيدنا إبراهيم عليه السلام:

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [٧٩ الأنعام]

كلام من هذا يا إخوانى؟ كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام! فيعطيهم الدرس ﷻ فى منازل التوحيد ومراتب التفريد التى وصل إليها أنبياء الله والتى يجب على ملائكة الله أن يحصلوا عليها من رسل الله عليهم السلام، فالملائكة تعلموا العبادة وليس لهم فيها ترقيات فكل واحد منهم على باب من أبواب العبادة، فمنهم القائم أبداً ومنهم الراكع أبداً ومنهم الساجد أبداً ومنهم المسبح أبداً، فقد تعلموا العبادة جميعها، وهل لهم حاجة للرسل لكى يعلموهم الطهارة؟ لا، لأنهم ليس عندهم هذه العبادة ولا الوضوء ولا الغسل لأنهم ليسوا فى حاجة إلى ذلك، ما الذى يحتاجونه من الأنبياء؟

يحتاجون منهم أن يعلمونهم دروس التوحيد العالية، فمن أين يتعلمونها؟ من رسل الله وأنبياء الله عليهم السلام أجمعين، فكان هذا درساً من دروس التوحيد علمه الله ﷻ للملائكة الكرام الكبار منهم على يد سيدنا إبراهيم عليه السلام خليل الله.

وأيضاً درس لنا نتعلم منه أن من كان ظهره على الله وأمره إلى الله ومفوضاً أموره إلى حضرة الله فلا يلجئة الله ﷻ إلى أحد سواه ولو كانوا الملائكة فليس لهم دخل به، فالله بنفسه فى عزة قدسه يقوم برعاية مصالح عبده ويتولى سياسة أمور عبده لأنه لم يتوكل على أحد سواه ﷻ:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾ [٣ الطلاق]

ماذا تعنى (الله حسبه)؟ تعنى كافيه فلا يحتاج حتى للملائكة ولا الجن ولا الإنس ولا شمس ولا قمر ولا أى شئ من الأسباب ينفعه لأن مسبب الأسباب ﷻ تولاه فى جميع أحواله وفى جميع أطواره.

ملازمة باب الدعاء

فالمقام العالى الذى تختاره هو الذى اختاره لنا رسول الله ﷺ وهو أن ندعوا الله ولكن فيم ندعوه؟ أفى الأمور الهامة فقط؟ أبداً، ولنأخذ العظة من كليم الله ... سأل الله فى أكبر شئ يطلبه العبد من الله وقال له:

﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [١٤٣ الأعراف]

وسأل الله ﷻ حتى فى رغيف العيش:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ ﴾ [٢٤ القصص]

والله قال له:

﴿ يا موسى سلنى فى كل شئ حتى فى ملح طعامك وحتى فى شسع نعلك ﴾ (٨)

فكلما تحتاج شيئاً من الملح للطعام قبل أن تقول لزوجتك قل يارب اجعلها تحضر الملح، ثم قل لها احضرى شيئاً من الملح فستأتى به فوراً، لكن تقول لها احضرى الملح ولم تقل يارب فتقول لك أنا مشغولة قم وأحضر لنفسك لأنها تأخذ التوجيه كما يقول النبى ﷺ

﴿ القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ﴾ (٩)

(٨) رواه الخليلى فى الضعفاء .
(٩) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء.

فأنت تحتاج أى شئ من القلوب اطلب من علام الغيوب فهو الذى يحرك القلوب حتى قال لنا فى الحديث القدسى عن رب العزة:

{ إِنّ الله يَقُولُ: أَنا الله لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا، مَالِكُ المُلُوكِ، وَمَلِكُ المُلُوكِ، قُلُوبُ المُلُوكِ بِيَدِي، وَإِنّ العِبَادَ إِذَا أَطَاعُوْنِي حَوّلْتُ قُلُوبَ مُلُوْكِهِمْ عَلَيْهِمْ بالرّأْفَةِ والرّحْمَةِ، وإِنّ العِبَادَ إِذَا عَصَوْنِي حَوّلْتُ قُلُوْبَهُمْ عَلَيْهِمْ بالسُخْطِ والنّقْمَةِ، فَسَامُوْهُمْ سُوْءَ العَذَابِ، فَلا تَشْغَلُوْا أَنْفُسَكُمْ بالدُّعَاءِ عَلى المُلُوكِ، وَلكِنِ اشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بالذِّكْرِ وَالتّضَرُّعِ، أَكْفِكُمْ مُلُوْكَكُمْ } (١٠)

أنذهب للملوك والسلاطين؟ لا !!

نذهب إلى الله فهو بيده كل تصاريف القلوب ﷻ، فقال له أنت تطلب كل شئ منى يا موسى حتى وأنت ذاهب إلى الإسكافى لتصلح نعلك تقول له يارب أريد أن أصلحه فتذهب إلى الإسكافى فتجد الماكينة جاهزة ولا يقل لك إنها معطلة أو أنى مشغول هذا اليوم أو عنده ازدحام، لكنه سبحانه يهيئ لك الأسباب ويهيئ لك الأحوال وتقضى مصالحك فى الحال.

سر إجابة الله للصالحين

وهذه الجزئية التى يتعجب منها الناس فى الصالحين ...

لماذا حاجاتهم تقضى فى الحال؟ .. هذا هو السر نحن كشفناه لكم!!

لأنهم قبل أن يطلبوا من خلق الله يطلبون من الله بالقلوب، ويطلبون من الخلق بالألسنة التى هى محل للذنوب والعيوب!!

فعندما يطلبون من الله يهيئ لهم الأسباب ويحقق لهم الرجاء ويجيب الدعاء ويقضي حوائجهم ﷻ فى الحال وهذا نهج الصالحين ونهج المقربين فى كل وقت وحين

(١٠) رواه الخطيب عن أنس .

تأسياً بأنبياء الله ورسل الله عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

هذا هو المقام الأعلى، والمقام الأدنى منه الذى يقول:

{ علمه بحالى يغنى عن سؤالى }

وهذا أيضاً لا يصح إلا للذين أصبح لهم وجهة واحدة، لا يوجد غيره يعنى يقولون له:

{ مفيش غيرك على البال وأنت وبس اللى حبيبى } هل هناك من يصل إلى هذا المقام؟ ممكن لكن البال ملئ ... جزء للأولاد وجزء للزوجة وجزء للمصالح وجزء للعمل، فالبال غير خالى، ومادام البال غير خالى كيف يقول علمه بحالى؟ فالذى قال هذا لا يوجد غيره فى قلبه، يقول له:

{ إنك لما سلَّمت مالك للضيفان وولدك للقربان ونفسك للنيران وقلبك للرحمن اتخذناك خليلا } (حديث قدسى رواه أبو الحسن المسعودى فى أخبار الزمان)

ماذا يبقى بعد ذلك؟ الأمر كله لمن؟

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [١٦٣ الأنعام]

إذاً من يستطيع أن يقول:

{ علمه بحالى يغنى عن سؤالى }

الذي يصل بقلبه إلى هذا المقام هو الذى يستطيع أن يقول هذا الكلام، وإن كان هذا ليس هو المقام العالى بل المقام الأعلى منه لمن هو مشغول به سبحانه بالكلية، ومع ذلك يطلب من الواحد المتعال لأنه أمر بذلك فى كتابه الكريم، لماذا يطلب؟ تنفيذاً للأمر وتنفيذاً للتكليف.

مثلما جاء الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول: لماذا فرض الله علينا الصلاة؟ فالذين لم ينتبهوا وهم المنافقون يقولون: إن الصلاة ليصل بها الإنسان إلى الله ومادام قد

وصل يصبح ليس عليه صلاة، لأنها ثقيلة على النفس والنفس تطلب دائماً العمل الخفيف، تريد أن تجلس مع الناس تحكى وتتكلم وتريد أن تشرب وتأكل لكن الصلاة ثقيلة، فتقول له: أنت وصلت ... إلى أين وصلت؟ وصل وصول إبليس، من قال إنى وصلت وترك الصلاة فقل له وصلت ولكن إلى سقر.

حقيقة رفع التكليف عن الصالحين

فما بال الذين يقولون قد رفع عنا التكليف وهذا كلام الصالحين، ويعنى أنا قد وصلنا إلى حالة أصبحنا نتلذذ بها فى الصلاة وبالصلاة فلا نحس فيها بمشقة ولا بعناء ولا تعب، وهذه الحالة التى قال فيها رسول الله ﷺ: ﴿ أرحنا بها يا بلال ﴾ (١١) أى لماذا أطلت علينا؟ إذاً فإنى أشتاق لمقابلة الحبيب، وأرحنا ليس فيها أو منها ولكنه قال: أرحنا بها لأن الراحة فى الصلاة، لماذا تشعر بالراحة فى الصلاة يا رسول الله؟

قال: ﴿ جعلت قرة عيني فى الصلاة ﴾ (١٢)

ومن قرة عينه؟ الله ، فليس له قرة عين غير الله ﷻ.

فالإمام أبو العزائم قالوا له لماذا تصلى؟ هؤلاء القوم يقولون الذى وصل واتصل ليس عليه صلاة قال كيف؟! يقولون الذى وصل إلى مقام المشاهدة، والذى يشاهد مع الله دائماً لماذا يصلى؟ قال: لا

ما غاب عنى حبيبى ... لكنه كلفنى
فصرت بعد يقينى ... بالفضل قد عرفنى
أنا بمن فى وجودى ... من بالصفا أتحفنى
تلك التكاليف رمز ... لما بها شرفنى

(١١) رواه أبو دواد والدار قطنى من حديث بلال ﷺ .
(١٢) أخرجه النسائي والحاكم من حديث أنس ﷺ .

فأنا قائم به وسائر به ومتحرك به وساكن به ومتكلم به ولا حول ولا قوة إلا بالله ﷻ فلماذا أصلى؟ لأنه كلفنى من أجل التكليف، والتكليف من الله تشريف، ما الذى جعل المرسلين يبذلون المهج والأرواح فى سبيل دعوة الله؟ لأن الله هو الذى كلفهم فيقولون نحن نكلف من الله، ما هذا التشريف؟ تشريف ما بعده تشريف عندما يقول له:

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ ﴾ [٨ الفتح]

يقول: فى سبيل هذا الأرواح والمهج وتهون النفوس فى سبيل تشريف وتكليف العزيز القدوس ﷻ. هذه محطات نضع أيدينا عليها حتى نعرف الحق لأنه التبس على الناس كثير من هذه الأمور، ويوجد أناس كثيرون يأخذون على الصوفية هذه الأمور لكن من يعمل هذه الأمور؟ هم متنطعى الصوفية، لكن الصوفية الذين نتحدث عنهم هنا فالصوفية حالهم حال سيد الأولين والآخرين ﷺ الذى استقر عليه والذى لقى الله ﷻ عليه، حال الكمال المحمدى فى النهاية لأنه كان فى أطوار الترقى باستمرار صلوات الله وسلامة عليه.

الولى المربى

سؤال: قرأت فى كتاب للإمام أبى العزائم رضي الله عنه وأرضاه حكمة تقول:

{ الله حى قيوم فلا يصل إليه واصل إلا بحى قائم }

وهذا الرأى يختلف عما يشاع فى الصوفية فهل الولى فى البرزخ لا يستطيع أن يوصلنى؟ الإجابة:

يمكن الإنتفاع بالولى فى البرزخ إذا استطعت أنا أن أصل إلى هذه المرحلة، لكن أنا الآن أحتاج إلى طبيب أجلس أمامه ليكشف علىَّ ويشخص الداء الذى بى ويعطينى من الصيدلية القرآنية الدواء الصالح لى، فعندما نذهب إلى روضات العارفين رضي الله عنهم وأرضاهم وهى أماكن استجابة الدعاء ويكشف الله بسبب أصحابها الكربات ويعطى الزائرين لها

الكثير من المكرمات.

لكن التربية الروحية لها وضع آخر وتختلف فهو يقول لي لماذا فعلت هذا؟ ولماذا لم تفعل هذا؟ فهى تحتاج إلى رجل أجالسه ويجالسنى يحدثنى وأحادثه هذه ناحية، الناحية الأخرى لابد أن يربينى بالحال قبل القال فلا يقوى على تربية العارفين الذين هم فى البرزخ إلا الذى استطاع أن يراهم ويخاطبهم ويكلمهم، فالذى لم يصل إلى هذه الحالة كيف يتربى على أيديهم؟!

أهل الإطلاق وأهل التقييد

فانا أذهب هناك مثل العوام أدعو الله فيستجيب لى، وقد أشعر ببعض الروحانية، لكن ليس هذا هو المطلوب لأن أهل البدايات اسمهم أهل التقييد ولا يتأتى الوصول إلا إذا خرجنا من دائرة التقييد إلى دائرة الإطلاق.

ماذا تعنى دائرة التقييد؟ يعنى تزايد الناحية الروحانية عندى فى زمان معين أو مكان معين، فتجد أهل التقييد فى شهر رمضان يحسون أن الروحانية والشفافية فى ازدياد وكذلك فى يوم عرفه وكذلك فى المولد النبوى الشريف وعندما يذهب إلى الكعبة يحس بروحانية عالية جداً كذلك فى زيارة سيدنا الحسين أما مع زوجته فلا توجد هذه الروحانية، أما أهل الإطلاق فرمضان مثل غيره والكعبة مثل هنا لأنه فى الظاهر نائم مع أهل منزله لكنه فى أحضان رسول الله ﷺ فى كل الأوقات، فنحن نراه مع زوجته لكن قلبه هناك مع الحبيب ﷺ ويكلمها كلاماً تظن أنه ثناء عليها لكنه يثنى على حبيبه الأول ﷺ ويقول:

نقل فؤادك حيث شئت من ما الحب إلا للحبيب الأول

حتى عندما يسمع الأغانى العادية يأخذها على الذات المحمدية { أروح لمين } وغيره كل هذا لا يرى أمامه إلا هو لأنه ﷺ فى الفؤاد:

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى وأبحت جسمى من أراد

فهؤلاء القوم لا يوجد عندهم فرق لأنهم أصبحوا فى دائرة الإطلاق أى فى معية الكريم الخلاق ﷻ، لا يحجبهم عن الله زمان ولا مكان ولا طعام ولا شراب حتى قال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ وأرضاه: { لولا أن رسول الله ﷺ اغتسل من الجنابة ما اغتسلت منها }

لكمال حضوره مع الله ﷻ، حتى فى هذه الشهوة والتى نغتسل منها لأننا غبنا عن الله فيها بعض الشئ، فالواجب أن تغسل نفسك بعد هذه الغيبة عن الله.

إذاً كيف تغيب عنه لحظة؟ لابد أن تغسل نفسك جيداً وتطهر نفسك، فيقول حتى فى هذه الحالة لم أغب عن الله ﷻ.

من مشاهد الحبيب ﷺ

ولذلك حضرة النبي ﷺ قال فيها:

﴿ حُبب إلى – وليس أنا الذى أحببت ..!! لأنه ليس له إلا حبٌ واحد!! – من دنياكم – دنياكم أنتم لأنه ليس له فيها شئ – ثلاث .. الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة ﴾ (١٣)

وإياكم أن تفهموها على الفهم الظاهر فتصبحون لم تحسنوا الظن بحبيب الله ومصطفاه فهى لها معنى مختلف تماماً غير المعنى الظاهر .. فالمعانى التى كان يراها رسول الله ﷺ معانى أخرى:

فالطِيب حبب إليه لأن الطيب يكون هو الإذن بالقرب من الحبيب ﷻ، فالذي يريد أن يتقرب من رسول الله ويراه ويصلى عليه ويظل يصلى عليه حتى يشم الرائحة

(١٣) رواه النسائى وابن شيبه والإمام أحمد وابن سعد والبراز والحاكم وأبو يعلى والبيهقى والطبرى والضياء وابن عدى عن أنس ﷺ

الخاصة به، أحياناً يشمها مرة فى النهار وأحياناً مرتين وأحياناً لا تفارقه الرائحة ليلاً أو نهار ... هذا فى البداية، فما هذه الرائحة؟

هى رائحة خاصة ... وهى رائحة الحبيب ﷺ، ما شكلها وما عينتها؟

لا تعرف فهى تحتاج أن تدخل أنت المعمل وتشمها بنفسك، ولا تُشم بالأنف ولكنها تُشم بالقلب، قال تعالى:

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [٩٤ يوسف]

فهم كذبوه لأنهم لم يشموها لكنه شم رائحة يوسف عليه السلام وبعد ما يشم رائحة الحبيب يأتى له الإذن .. { استعد سيأتى لك الحبيب } .

فيأتى له فى المنام أو غير ذلك، !!

وأطيب الطيب هي نسمات الحبيب ﷺ، وهذه نسمات يا إخوانى تهب على القلوب لا يدرى كنهها ولا يستنشق عبيرها ولا يستطعم ريحها إلا من طهر قلبه من العيوب ونفسه من الذنوب وأصبح مقرباً من حضرة علام الغيوب.

والنساء فيها معانى كثيرة جداً جداً ولكنها على سبيل الإلماح يقول فيها الله ﷻ:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [٢١ الروم]

يعيش أهل الشهود فى وصل الفرع بأصله فى حالة الإتصال مع الواحد المتعال ﷻ مثلما يحن الرجل إلى زوجته لأنها منه ... فكذلك حنين الصالحين والأنبياء والمرسلين لما فيهم من المعانى القدسية ... والأنوار الربانية ... والأسرار الصفاتية ... من حضرة رب العالمين ﷻ.

والكلام فى هذا المجال صعب لا نستطيع أن نكيفه أو نحيزه فى عبارات أو كلمات

لكن هذه حضرات مشاهدات قال تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [٥٨-٥٩ الواقعة]

يشاهد فى هذه الحالة فيلم الخالق وكيف يخلق النطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظام، إلى لحم، إلى غيره ... يسمى هذا الفيلم فى هذه الحالة فيلم الخالق ﷻ وفيلم المصور وفيلم البديع، يشاهد أسماء الله وصفاته وتجلياته وهباته وأعطياته ومكرماته فى هذه الأحوال، لكن نحن لا نستطيع أن نشاهد هذه الأحوال لأننا يكون غالباً علينا الحالة الحيوانية فى هذه الأمور !!

لكن هؤلاء القوم يا إخوانى وصلوا إلى حالة الصفاء الكلى والبهاء القدسى إلى أنهم لا يغيبون عن جمالات الله ولا عن كمالات الله طرفة عين مع قيامهم بكافة الحقوق الأدمية على أكمل الأحوال المرضية.

وهذا مشهد يقول فيه الله ﷻ:

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ ﴾ [٥ الرعد]

مشهد يستدعى العجب لكنه عند العارفين ليس عجيب لأن الأمر من الله ﷻ.

مقامات الصالحين

وبالنسبة لسؤال الحاج/ حسن يقول الإمام: { الله حى قيوم لا يصل إليه واصل إلا بحى قائم } ففى عصرنا سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ جمع الله ﷻ فى أصحابه مقامات الرسل والأنبياء السابقين وكان كل صحابى منهم على قدم نبى أو على قدم رسول من رسل الله، وقد ألمح إلى ذلك سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فى بعضهم، فتارة يقول: مثلك يا أبا بكر فى أمتى كمثل عيسى يقول (١١٨المائدة):

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

ومثلك يا عمر فى أمتى كمثل نوح يقول:

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [٢٦ نوح]

ويقول مرة أخرى:

{ من أراد أن ينظر إلى عيسى بن مريم فلينظر إلى أبى ذر } (١٤)

فهو شبيه سيدنا عيسى فى الزهد والورع، فأشار ﷺ إلى بعض هذه المنازل فى أصحابه ﷺ وبعد انتقالهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ما من صاحب مقام أو رتبة أو درجة يرتقى إلى الله ﷻ إلا ويقيم الله ﷻ فى مكانه فرداً من الأحياء، وهذه سنة الله تعالى

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [١٠٦ البقرة]

هؤلاء هم حقائق آيات القرآن لأن رسول الله ﷺ هو القرآن وهم آيات هذا القرآن المعنوية فلا تنسخ آية منهم إلا ويأتى مكانها.

فأكرم الله ﷻ بعض الأئمة لصدقهم وإخلاصهم وأظهرهم فى مشارب الرسل والأنبياء السابقين وجعل لهم ذكراً ولسان صدق فى الآخرين لكنهم كانوا أيضاً على القدم، فمثلاً سيدى أحمد البدوي ﷺ وأرضاه أكرمه الله واشتهر وجعل له صيتاً وذكراً فى الآخرين لصدقه وإخلاصه لكنه كان على القدم العيسوى وفيه قال الإمام أبو العزائم عندما دخل عليه:

عبدت الرب بالحال العلية أيا بدوى قد نلت العطية
ورثت حال عيسى فى مقام به زهدت فى الدنيا الدنية

فكان فى المقام العيسوى ولذلك لم يتزوج وليس له حاجة بالنساء مع أنه عاش

(١٤) أخرجه أحمد فى الزهد .

تسع وسبعين سنة لأنه فى المقام العيسوى، وأيضاً مثله سيدنا إبراهيم الدسوقى، ولذلك قال فيه فى قصيدة طويلة: { عليه أبا ذر الغفارى قد أملى } أى الذى أملاه الإلهامات فى الحال الخاص به الوارث الأول سيدنا أبو ذر الغفارى لأنه ورث حاله، ولذلك عاش واحد وأربعين سنة لم يتزوج ولم ينجب، وليس له حاجة فى هذا الموضوع لأن حاله كان عيسوياً.

وهكذا الأمر يا إخوانى، فكل رجل من رجال الله على قدم نبى من أنبياء الله أو رسول من رسل الله، وكلما انتقل رجل أقيم مكانه رجل فى الحال.

وقد تذكروا أن سيدى أبا الحسن الشاذلى ﷺ وأرضاه عندما ذهب إليه سيدنا رسول الله ﷺ وهو فى تونس وقال له يا أبا الحسن سر إلى الإسكندرية فإنك سترى بها أربعين رجلاً فلاناً وفلان وأعطاه كشفاً بالأسماء، قال فقلت يا سيدى الطريق طويل والجو حار وليس به ماء، فقال ﷺ: علينا ذلك، لأنه إذا أقامك أعانك، فالذى يقيموه يعينوه، فهل يقيموه يدعو الخلق إلى الله ويتركوه؟! كيف يسع هؤلاء القوم؟

يعينوه بالأنوار والأسرار ويعينوه بالعلوم ويعينوه بالمواهب ويعينوه أيضاً بوجبات الضيافة ويعينوه بكل شئ.

يقول فمشيت وكلما مشينا كانت هناك سحابة تظلنا حتى وصلنا إلى الإسكندرية – مظلة ممدودة دائمة وكلما عطشنا أنزلت السماء ماء فنشرب ونملأ قربنا حتى وصلنا إلى الإسكندرية – وقبل الإسكندرية بقليل كان هناك ولى من أولياء الله الصالحين قادماً معه من المغرب وكان كلاً منهما فى مجموعة وكان نداً له، وقبل الإسكندرية بقليل قال لجماعته هيا نذهب للشيخ أبى الحسن الشاذلى ونسلم عليه ونبايعه، قالوا له لماذا؟ قال لهم جاءنى الليلة سيدنا رسول الله ﷺ وقال لى انتقل الليلة إلى الرفيق الأعلى الشيخ أبو الحجاج الأقصرى وقد مكث فى القطبانية سبع سنين وأخذناها منه وأعطيناها للشيخ أبى الحسن الشاذلى، فقد كان أبو الحجاج قطباً، لكن لابد أن يكون قطباً موجوداً اسمه قطب الوقت موجوداً بشحمه ولحمه وبدمه حتى يعرفه الناس ويذهب إليه الناس الذين

هم ناس فى نظر الله حتى يوصلهم إلى حضرة الله ﷻ، فذهب الرجل وسلم على الشيخ وهنأه بالقطبانية وبايعه عليها.

ورثة الصالحين

فهذا هو النظام وما يزال نظام الصالحين فى كل زمان ومكان، فكلما انتقل أحدهم لابد أن يحل مكانه رجل آخر قد يكون معروفاً وقد يكون مجهولاً لأنهم على حسب الزمان.

فإذا كان زمان صلاح وتقوى يكونوا ظاهرين ويذهب الناس إليهم ويذهبون هم إلى الناس، وإذا كان زمان سوء مثل الزمن الذى نحن فيه يختفون لأن الناس ستسخر منهم وتستهزئ بهم وهذا يكون وبال على الناس.

فاختفاؤهم رحمة بالناس لأن الناس تريد المادة وتريد الدنيا وعندما يروهم يسخرون منهم ويستهزءون بهم فمن أجل هذا يخفون أنفسهم رحمة بالناس!!

لأن الذى سيسخر منهم سيعلن عليه الحرب وهم لا يريدون إعلان الحرب على أحد أو يؤذى أحد بسببهم، وليس كما يقول الجهلاء أن سيدى فلان سيؤذيك فهذه عقيدة فاسدة، مال الصالحين والإيذاء؟! فهم لا يؤذون أحداً، هم ينفعون الناس ويدعون للناس ويرفعون البلاء عن الناس فإذا حدث إيذاء ذات مرة فهم لا يعلمون عنه شيئاً فقد يكون أحد الجهلاء أذاهم وهم يرفعون الأمر لله فالله يغار عليهم فيؤذيه لكن ليس لهم دخل بهذا الإيذاء.

فالذى أريد أن أقوله أن ما يردده البعض من أن هذا الرجل الصالح لو غضب عليك سيحدث لك كذا وكذا قول غير صحيح لأن الصالحين لا يؤذون أحداً ولا يضرون أحداً بل هم على قدم سيد الخلق ﷺ يقولون:

(١٥) ﴿ اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ﴾

ولا يدعون على أحد أبداً، وهذا يا إخوانى نظام الصالحين ﷺ وأرضاهم.

طريقة الإلتحاق بالصالحين

من أجل هذا كان الشيخ ابن عطاء الله السكندري ﷺ وأرضاه يقول:

{ إذا غاب عنك معرفة الولى فقل فى دعائك دائماً اللهم دلنى على من يدلنى عليك إلى أن يكشف الله لك عن الرجل الذى ستصبح معه }

ولابد أن يكون معه اسمك فيرسل لك طلب من أجل الإلتحاق بالمدرسة وفى نفس الوقت تكون أوراقك موجودة فى المدرسة فهذا هو نظام الصالحين، ولذلك نحن نظامنا لو جاء أحد نقول له: ما رأيت؟ ونحن ماذا رأينا؟ لأنه موضوع ليس هيناً لأنه من الله وإلى الله وبالله ﷻ.

هذا يا إخوانى بالنسبة للوصول، ومزارات الصالحين السابقين كلها فضل وإجابة دعاء وتحقيق رجاء هذا بالنسبة للعوام، لكن بالنسبة للخواص فأقول مثلاً سأذهب إلى سيدنا الحسين وأمكث هناك سنتين فى الضريح فماذا يفيدنى فى السير والسلوك؟

السير والسلوك له وضع آخر!! فأنا سرت مع مولانا الشيخ/ مُحَمَّد على سلامة ﷺ وأرضاه فأحضر درساً مثل هذا مثلاً وهو فى بورسعيد وأتكلم ثم يأتى بعدها بشهر أو بشهرين وفى درس عام يقول إخوانى الدعاة إذا عالج أحدهم موضوع كذا يقول كذا وصحة هذا الموضوع كذا فأعلم أن هذا الأمر خاص بى، فبمجرد ما كنت أجلس معه وأكون مجهزاً بعض الأسئلة فى نفسى فيقدم التحية ويتكلم كلاماً عاماً فيأخذ ما هو معى جزءاً جزءاً من هذه الأسئلة ويجيب عليها فلا أحتاج أن أسأله وإن لم يكن فى اليقظة يكن فى المنام فكان التوجيه موجوداً دائماً.

---

(١٥) متفق عليه

فمن أين تأخذ هذا التوجيه إلا من رجل حى تجالسه وتستشيره فى أمورك؟ فالسالك فى طريق الله لابد أن يستشير فى أموره الهامة مثل الزواج أو السفر أو غيره، فمن يستشير؟ لابد أن يكون هذا الرجل ونسميه حي قائم لماذا؟ حي أى أحياه الله بنوره فأصبح فى الحياة الأخرى التي يقول فيها الله فى [١٢٢ الأنعام]:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾

يمشي به فى قلوب الناس ..

فلابد أن يكون معه النور لكي يمشى به فى قلوب الناس فيعرف ما فى نفوس الناس ولذلك لماذا يصحب الناس الصالحين؟

فقد يكون أحدنا يمشى فى أمر ويهيأ له أنه هو الصواب فيقول له الشيخ لا ابعد عن هذا الأمر فيحس بالضيق ويقول ألا يريد الشيخ لى الخير والمصلحة؟ فأنا نظرى ضعيف وهم نظرهم بعيد فبعد فترة أقول سبحان الله ما هذه الشفقة وهذا الحب لى؟! فعلاً أنا لا أعرف شيئاً لأنهم ينظرون بعين الله ﷻ.

هذا يا إخوانى حال الصالحين ﷺ وأرضاهم وهذا نظامهم وهذا وصولهم فلابد أن يكون حياً ليأخذ بيدى ليوصلنى إلى الحى ﷻ.

ماذا تعنى كلمة حى؟

حى الحياة الإيمانية.

وماذا تعنى قائم؟ ..... أى أقامه الله وأمده سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

مثلاً: عيادة الطبيب لابد أن يستخرج لها رخصة والتى لا يستخرج لها رخصة تكون عيادة نصب والطبيب نصاباً، فلابد أن يكون داعياً إلى الله بإذنه حتى يكون سراجاً منيراً، وهذه هى إجابة السؤال على قدرنا

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

خصوصيات الحجر الأسعد

سؤال: هل الحجر بداية الطواف؟ لماذا؟

الإجابة:

نعم هو بداية الطواف لأنه حجر من الجنة، وقد قال فيه ﷺ:

{ الحجر ياقوته من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان ولسان يشهد لكل من استلمه أو قبله }(١٦)

وهذا الحجر له مواصفات غير موجودة فى الحجارة الأخرى، فعندما جاءت جماعة القرامطة وهم من الخوارج وكان ذلك فى زمن العباسيين فذهبوا فى يوم عرفة وقتلوا الحجيج واقتلعوا الحجر وأخذوه معهم إلى البحرين وفى طريقهم مات تحته أربعون جملاً فكلما يحملونه على جمل يمشى مسافة ثم يموت رغم أنه حجر صغير.

وقد مكث عندهم أربع سنوات إلى أن جاء الخليفة المطيع فساومهم وأعطاهم المال الذى طلبوه فى الحجر، ولكن قد يكونوا بدلوه أو غيروه فكيف يعرفونه؟ فكان موجوداً فى ذلك الوقت عالماً من علماء الحديث واسمه عبد الله ابن عكم فقال: أنا معى الأدلة التى وضعها سيدنا رسول الله ﷺ للحجر، فأتوا بحجر آخر مثله تماماً فقال لهم ضعوه فى الماء فغرق، ثم قال لهم ضعوه فى النار فسخن، فقال لهم هذا ليس حجرنا فحجرنا قال فيه ﷺ فى حديث ما معناه: { يطفو على الماء ولا يسخن من شدة الحر } فأحضروا الحجر الأصلى ووضعوه فى الماء فطفا، فهل يوجد حجر يطفو على الماء؟! ووضعوه فى النار فظل بارداً كما هو، فقال أبو عبد الله القرمطى: عجباً دين بلغت مدى الدقة فيه أن يضع قواعد حتى لهذا الحجر لدين صحيح من الله ﷻ، ثم قال: أستغفر الله وأتوب إليه مما جنيت وأعلن دخولى فى هذا الدين من جديد، ودخل وأقر بالإسلام من جديد.

---

(١٦) رواه النسائي وابن ماجه والترمذى من حديث ابن عباس والحاكم من حديث أنس.

وهذا الحجر ليس مثل الحجارة الأخرى ففيه كاميرا!!

التكنولوجيا لم تصنعها ولن تصنعها فهي كاميرا تصور من لدن آدم إلى يوم الزحام، وكل هذه الأفلام موجودة داخلها وتصور كل الذى يمر عليها فى ليل أو نهار، ويوجد أيضاً جهاز تسجيل يسجل كل الكلمات التى تتردد عنده ليعيدها مرة ثانية، ويشهد لأن الذى يشهد لابد أن يرى ويسمع وإلا سيكون شاهد زور، فهو يشهد لكل من جاء أمامه وكل الذى تكلم أمامه مع أنه حجر.

الناحية الأخرى مثلما تعرفون أنه خزانة أودع فيها ملك الملوك العقد الذى سجله بيننا وبينه، ولذلك لما جاء سيدنا عمر ﷺ وقال له: { إنك حجر لا تضر ولا تنفع } إنه يريد أن يبين مقامه، الجهلاء يقولون أن سيدنا عمر قال هذا حجر لا ينفع وكان يريد أن يكسره وهم بذلك لا يفهمون.

عمر إمام المحدثين

فسيدنا عمر رجل من المحدثين الذين قال فيه النبى ﷺ:

{ إن منكم لمحدثين وإن منهم لعمر } رواه الترمذى.

وكذلك سيدنا موسى لما أراد الله أن يبرئه عندما أشاعت بنو إسرائيل أن به عيوب جسمانية فنزل البحر للاستحمام ووضع ملابسه على الحجر وكان يوم السوق فأخذ الحجر الملابس وأخذ يجرى فى وسط السوق وسيدنا موسى غير مدرك حاله لأن الله يريد أن يبرئه فأخذ عصاه وأخذ يضرب الحجر ويقول ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر كأنما يضرب شخصاً آخر!!

لأن الأنبياء يخاطبون الحقائق، والحقائق تفهم منهم وتسمع ، النبى ﷺ يقول:

{ إنى أعرف حجراً كان يناديني ويقول يا محمد قبل بعثتى } رواه مسلم

ولم يذكره ونحن نعتقد أنه هذا الحجر، فكتب السيرة لم توضحه ولم تتكلم عنه

ولكن عقيدتنا أنه هذا الحجر حجر المقام وكان ينادى عليه ويقول يا مُحَمَّد.

فسيدنا موسى عليه السلام كان يتكلم مع الحقائق وكان سيدنا عمر رضي الله عنه من المحدثين الذين يتكلمون مع الحقائق وإليكم المثال: فى زمان سيدنا عمر رضي الله عنه حدث زلزال شديد فى المدينة فأمسك بالدرة وضرب الأرض وقال لها:

{ يا أرض قرى واستقرى فإنى أعدل على ظهرك }

فسكتت فى الحال، فكان ضربه للأرض بالدرة وكأنه يضرب شخصاً.

مثال آخر:

عندما فتح سيدنا عمرو بن العاص مصر وكان أهل مصر عندما يأتى جفاف يحضرون بنتاً جميلة ويلبسونها أبهى الملابس ويحلونها بالذهب ويلقون بها فى النيل فيجرى، ويحدث هذا فى حفل مهيب ويسمى هذا اليوم بعيد وفاء النيل، فقالوا له:

نريد أن نفعل هذا، قال: لا يصح هذا فى الإسلام!

وأرسل إلى سيدنا عمر، فقال له: أصبت وأرسل له ورقة صغيرة وقال له: أقم الحفل كما كان يقام وألق الوريقة بدلاً من العروس، فماذا كتب فى هذه الورقة؟ قال:

{ من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر – وهل هذا النيل شخص يفهم ويقرأ الخطاب أو يسمع مثلما يقول عامة الناس لكنهم لهم حالة أخرى مع الله – سلام عليك أما بعد إن كنت تجرى من عندك فلا حاجة لنا بك وإن كنت تجرى من عند الله فاجرى بأمر الله عز وجل }.

فأقام سيدنا عمرو بن العاص الحفل الكبير وأحضر الخطاب وألقاه فى النيل ..

وفى صباح اليوم التالى ارتفع الماء فى النيل ستة عشر ذراعاً ولم يكن فيه وقتئذ قطرة ماء واحدة.

حديث الحقائق

فكان سيدنا عمر يكلم الحقائق:

من أجل هذا كما تعرفون كان هناك مجموعة خاصة، فحضرة النبى ﷺ كان يُدَرس للكل لكن هناك دروساً عامة ودروساً خاصة.

لما جاءت المجموعة الخاصة وكان يعلمها كمبيوتر الحقائق وكانوا جالسين يمسك النبى الرمل فيسبح فى يده والكل يسمع، يضعه فى يد أبو بكر يسبح والكل يسمع، ويضعه فى يد عمر يسبح والكل يسمع، فى يد عثمان يسبح والكل يسمع، فى يد علىّ يسبح والكل يسمع، فى يد غيرهم لا يسبح ولا يُسمع لأنه لا يعرف أن يتعامل مع هذه الحقائق مع أن اليدين مثل اليدين لكن هاتان اليدان تعرفان كيفية تشغيل هذه المفاتيح وهذه الحقائق ...

هذه أحوال أخرى وأنوار أخرى أخذوها وعلمها لهم سيدنا رسول الله ﷺ فكان لهم درساً خاص ومجموعة خاصة.

فسيدنا عمر يقول للحجر فى خطاب له (إنك حجر لا تضر ولا تنفع – وهذا كمال التوحيد – ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك).

وهذه التى نقول فيها: بداية الوهابية هى نهاية الصوفية، كيف؟

فيَصِل الأمر بالعارف بالله فى النهايات أنه يصل إلى حال لا يرى إلا الله ولا يطلب إلا من الله ولا يسأل إلا الله ولا يعتمد إلا على الله، وهذا حال العارفين فى النهايات.

لكن فى البدايات يستفيد من هذا ويطلب معونة هذا ويطلب مساعدة من هذا ويطلب عون هذا ويطلب إغاثة من هذا حتى يصل إلى مراتب النهاية، لكنهم يريدون أن يصلوا إلى مراتب النهاية من البداية فلا تأتى أبداً، فسيدنا عمر عندما قال للحجر:

{ أَمَا وَاللَّهِ إِنِي لأَعْلَمُ أَنّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَني رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَبّلَكَ مَا قَبّلْتُكَ } ، لكن سيدنا عليّ بين ووضح وقال:

{ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، قَالَ: بِمَ ؟ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ عَزّ وَجَلّ، قَالَ: وَأَيْنَ ذٰلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِيّتَهُمْ } إِلى قَوْلِهِ: بَلى، خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَمَسَحَ عَلى ظَهْرِهِ فَقَرّرَهُمْ بِأَنّهُ الرّبُّ وَأَنّهُمُ الْعَبِيدُ، وَأَخَذَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ وَكَتَبَ ذٰلِكَ فِي رَقّ، وَكَانَ لِهٰذَا الْحَجَرِ عَيْنَانِ وَلِسَانَانِ فَقَالَ: افْتَحْ فَاكَ، فَفَتَحَ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ ذٰلِكَ الرّقّ فَقَالَ: اشْهَدْ لِمَنْ وَافَاكَ بِالمُوَافَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[17] ، فهو هنا يريد أن يوضح للآخرين أنه ينفع ويضر ولكن بإذن الله ... وهذه هى الحقيقة فإنه لا شئ فى الكون كله ينفع ويضر إلا بإذن الله ﷻ، لكن فيه ضرر ونفع !!

فعندما أخذ علينا العهد: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ [١٧٢ الأعراف]

فوقعنا جميعاً على هذا العقد وحفظه فى هذا الحجر، فهو فيه هذا العهد ويشهد لنا، ولذلك عندما نأتى عنده علمنا النبى ﷺ أن نقول:

{ اللهم إيماناً بك ووفاء بعهدك وتصديقاً بنبيك ﷺ }

فنأتى لنوفى بالعهد الذى أخذ علينا وموجود فى هذا الحجر.

فهو حجر لكنه ليس كسائر الأحجار!

جعل الله ظاهره حجراً وحقيقته أنواراً وباطنه أسراراً ...

وفيه حقائق لا يطلع عليها إلا الأخيار ولا يعلمها إلا الأطهار .. وستظهر جلية للجميع .. يوم لقاء الواحد القهار ﷻ.

١٧ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدري جامع المسانيد والمراسيل

كتاب الأبرار

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [١٨-٢١ المطففين]

كتاب الأبرار الذى يشهدونه ويشهدون فيه أسماء الله وصفات الله وجمالات الله وكمالات الله هو سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وليس كتاب اليمين كما يفهم البعض.

لذلك ربنا قال هنا: ﴿ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ فقط!!

فهم الذين سيرون كتاب الأبرار ...

فيرون فيه الحقائق العالية ... والأخلاق الراقية .... والبيانات الإلهية السامية والمعانى الإلهامية والنورانية ... !!

كل هذا فى هذا الكتاب فيفتحونه ويقرأونه! أو يشهدونه! وقد يشهدونه دائماً!

أين هذا الكتاب؟

قال فى الملأ الأعلى!

فمن أراد أن يصل إلى قراءة هذا الكتاب لابد أن يعلى عزيمته، فلا يصل إليه أحد إلا إذا كانت عزيمته عالية قال ﷺ:

{ علو الهمة من الإيمان }

فالذى يعلى عزيمته ويقوى همته هو الذى يستطيع أن يصل إلى هذا الكتاب.

مثلما قال الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

علـوا عـزائمكم هيـا واعشـقوا لتشاهدوا عدن الجنان وحورها

فمن أراد الحور يعلى عزيمته!!

والذى يريد الجنة يعلى عزيمته!!

فماذا يفعل الذى يريد سيدنا رسول ﷺ؟ !!

هذا مثلما يقول ربنا فى القرآن:

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [٩٢ آل عمران]

لن تأخذوا البر أبداً إلا إذا أنفقتم من الذى تحبونه، والذي يريد البار ﷻ وليس البر ماذا يفعل؟ هذا يقول:

وقليـــل بـــذل روحـــى للمليـــك وفيـــه أعـــذر

ما هذه الروح التى سأنفقها؟!

فهو الذى صنعها فأنا لا أملك شيئاً مثلما قال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [١١١ التوبة]

فالذين يريدون رب الجنة ماذا يدفعون؟ فهؤلاء يقولون:

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [١٥٦ البقرة]

(إنا) تعنى نحن وأولادنا وأنفسنا، كل هذا لله ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن يواجهنا بهذه الحقائق، وأن يقوى أنوارنا، ويظهر أسرارنا، ويبلغنا، آمالنا ويكشف لنا عن بديع وجهه الجميل، ويرفع عنا كل حجاب يحجبنا عن حضرته، ويكشف لنا كل سنا يغيبنا عن أنوار طلعته، ويجعلنا من أهل الإشراف على قدس حضرته، ومن أهل الإطلاع على مكانة عزته، ومن العابدين الراكعين الساجدين آناء الليل وأطراف النهار خوفاً من مقام عظمته، .. نحن وإخواننا وأبناءنا وبناتنا.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

الأحوال العلية
لأصحاب النبى الكريم

الإلهام

صفاء السمع الباطنى

شرب السُّم

منازلات الأحوال ومقامات أهل الكمال

المشى على الماء

أهل النوبة

إحضار الفاكهة فى غير وقتها

تسخير الحيوانات

أسباب ظهور الصالحين

بقاء الأحوال العلية فى الأمة المحمدية

الحياة الإسلامية

الحياة الإيمانية

المعانى الإحسانية

إبطال تأثير النار

أهل الإيقان

أحوال الأبدال

الحال الملكوتى

حكم أصحاب الأحوال

الأحوال العلية لأصحاب النبى الكريم ﷺ

ولا عجب إن لاح نور محمد يلوح على قوم ويرقوا به السما

لفظة الصالحين ... لم تكن موجودة بين أصحاب رسول الله ﷺ.

والذى يقول هذا الكلام يكون قد أكبر عليهم الفرية لأن أحوالهم كانت من عين النبوة وموجودة ومسجلة فى كتب الأحاديث وفى كتب السير، لكن الناس يمرون عليها ولا يلقون لها بالاً !! لأن هذه الأحوال كانت من كثرتها كشئ عادى ..!!

فمثلاً قبل أن تدخل الكهرباء بلدنا كان منزل المأمور أو رئيس مجلس المدينة الذى فيه النور كان يعتبر علامة مميزة فى البلد أليس كذلك؟ ولكن عندما عم النور الكل أصبح شيئاً طبيعياً، فالصحابة هذه الأحوال من كثرتها لم تكن تشغلهم لأن الكل عنده هذه الأحوال والكل متمتع بهذه الأحوال حتى نساؤهم كن أيضاً متمتعات بهذه الأحوال وليس الرجال فقط، الرجال والنساء

﴿ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ [٥ التحريم]

هذه كانت أوصاف نسائهم والتى تسوح ترى الذى بالملكوت الأعلى.

الإلهام

فالصحابة قد وصل بهم الأمر إلى أنهم كانوا يأتون فى إلهاماتهم بل وفى منامهم بتشريعات يقرها رسول الله ﷺ.

وكلكم تحفظون الآذان لم يسمعه واحد فقط بل سمعه عدد كبير منهم والكل سمع الآذان وحفظ ألفاظ الآذان والكل أصبح ذاهباً إلى رسول الله ﷺ ليقول له إننى سمعت اليوم آذان الصلاة !!

من أين استمعوه؟ فهذا الآذان قد سمعه سيدنا رسول الله ﷺ فى ليلة الإسراء والمعراج بعدما تخطى سدرة المنتهى وليس فى عالم الملكوت، بعدما تخطى سدرة المنتهى سمع الذى يقول الله أكبر الله أكبر، والذى يردد يقول أشهد أن لا إله إلا الله، والذين يكملون ويقولون أشهد أن مُحَمَّداً رسول الله، والذين يقولون حى على الصلاة، والذين يقولون حى على الفلاح ... سمع هذا بعد سدرة المنتهى !!!

فمن أين سمع الصحابة هذا الآذان؟

من فوق سدرة المنتهى، قد يقول قائل: من الجائز أن يكون هذا مناماً.

صفاء السمع الباطنى

إليكم مثال آخر كان رسول الله ﷺ جالساً مع أصحابه مثلما نحن جالسون وسمعوا صوتاً، كتب السِيَر تقول: وجبة شديدة – شئ يسقط أو دانة نزلت – فقال ﷺ أسمعتم هذه الوجبة؟ قالوا: نعم، قال: { **هذا صوت حجر ألقى فى جهنم من سبعين سنة ووصل الآن إلى قعرها** } انتبهوا معى كيف سمعوا صوت الحجر الذى ألقى فى جهنم؟ ما هذا الصفاء السمعى الذى سمع صوت الحجر الذى نزل فى جهنم؟

وهذه الرواية صحيحة وموجودة فى البخارى ومسلم.

وهم مازالوا جالسين سمعوا صوت صراخ قالوا ماذا؟ قال: فلان الفلانى قد مات وهذا الرجل كان منافقاً وعمره سبعين سنة فعرفوا أن هذا تطبيقاً لقول الله ﷻ

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [١٤٥النساء]

ينزلوا النار ووقودها الناس والحجارة، هؤلاء حجارة فالمنافق حجر وخشب وربنا قال هذا فى قرآنه:

﴿ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [٤ المنافقون]

وقد سألوا أحد الصالحين: لماذا وصفهم الله بأنهم خشب؟ قال: لأن الخشب عازل للحرارة وهؤلاء ليس عندهم حرارة إيمان، فلو عندهم شئ من حرارة الإيمان عندما يري طلعة النبى العدنان يسلم لله ﷻ على الفور، هذه الحالة من الذى كان يسمعها؟

كل الصحابة الجالسين كانوا سامعين لصوت الحجر الذى نزل فى جهنم.

ومن أجل أن نذكر بعض هذه الأحوال يا إخوانى نحتاج أن نجلس فى هذا المجلس إلى ماشاء الله لكثرة الروايات الواردة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فسيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ وأرضاه يقول: (كنا نعلم الكذاب بعلامة فى وجهه) هل فينا أحد يستطيع أن يرى الكذاب بعلامة فى وجهه؟ لكن هذا يبين أن هذه القلوب قد استنارت بنور الله واكتحلت بأنوار سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ حتى أصبحت ينطبق عليها ما أخذ سيدنا رسول الله من الله: ﴿ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ ﴾ [٢٧٣البقرة]

هم أخذوا هذا الأمر، فحينما يروا سيما الناس يعرفون ما فى خفاياهم بنور الله ﷻ الذى أعطاه لهم الله والذى قال فيه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ:

{ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ﷻ} [1]

شرب السم

إذا كان أحد الصالحين قد شرب السم ولم يؤثر فيه فإمامهم فى ذلك خالد بن الوليد ﷺ وأرضاه عندما جاءه جماعة من الكافرين وقالوا له لن نؤمن لك حتى تتجرع هذا السم – وكان سماً قاتلاً من شربه يمت فى الحال – قال ائتونى به، وقال بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم، وشربه فى الحال ولم يضره.

[1] أخرجة الطبرانى من حديث أبى أمامه والترمذى من حديث أبى سعيد وابن جرير فى تفسيره من حديث ابن عمر وثوبان بزيادة { وينطق بتوفيق الله }.

منازلات الأحوال ومقامات أهل الكمال

فهناك منازلات الأحوال ومقامات أهل الكمال .... أهل الأحوال تظهر على أيديهم الكرامات لأنهم فى غيبة عن ذواتهم وهيئاتهم وعن حقائقهم، لكن الكمل ينظرون بالعينين ويتمتعون بالمشهدين ولهم الظاهر لأحكام الشريعة والباطن لأنوار الحقيقة فلا يبطلون ظاهراً ولا يكتمون باطناً بل يتحركون كما كان ﷺ يتحرك، بمعنى آخر ... أهل الأحوال الذين غلب عليهم الباطن هؤلاء يضع أحدهم قدمه هنا والأخرى فى مكة، لكن أهل الكمال لابد أن يركب ويتعب ويذوق التعب مثلما فعل الرسول ﷺ، وقد كان بإمكانه وهو فى مكة أن يضع قدمه فى المدينة ولا يختبئ فى الغار ولا يمكث فيه ثلاثة أيام ولا يركب جملاً ولا يتبعه سراقه لكن هذا هو حال أهل الكمال، لو كان من أرباب الأحوال كان فعل مثلما فعل سيدنا عيسى عليه السلام عندما جاءوا ليقبضوا عليه أخذ شبهه ووضعه على تلميذه وتركهم، لكن الكمال كان لرسول الله ﷺ.

فلذلك كمل الأولياء سائرون على نهج رسول الله ﷺ، لكن أهل الأحوال لا يدرون فيتصرفون وهم لا يشعرون، ولذلك فإذا تابعتهم فى هذا الحال أكون مدعياً كاذباً وإذا عرفوا يكون بأمر من الله ﷻ، فمثلاً عمرو بن العاص كيف جاء إلى مصر؟ استغرق سنين حتى جاء، لكن سيدى أحمد البدوى أخذ الطريق فى إحدى عشرة خطوة من مكة إلى طنطا لأنه من أهل الأحوال، فكل شئ جائز لهم حتى أنه عندما جاء له سيدى ابن دقيق العيد وأغضبه دفعه بيده فوجد نفسه فى بلاد الهند، كيف هذا؟! لأن هؤلاء القوم يصلون إلى حال لا يملك شيئاً فلا يستطيع أن يرد على أحد بلسانه ولا يدفع أذى بيده ففى هذه الحالة يصرفهم الله ﷻ بقدرته، ما هذه اليد التى تدفع رجلاً من هنا فيكون فى بلاد الهند؟ لا توجد غير يد الله ﷻ، فى هذه الحالة يقول: {كنت يده التى يبطش بها} ليست يده هو بل هو.

وضع آخر ... ما العين التى ترى من على منبر المدينة الرجل الذى فى بلاد فارس؟ أيوجد فى البشر عين بهذا الشكل؟ لا لكنها عين الله، هذه الكرامات كانت

ظاهرة لكنها كانت أمر عادى لأنهم يعيشون فيها دوماً.

المشى على الماء

وإذا كان أحد من الأمة مشى على الماء فإمامهم سيدنا العلاء بن الحضرمى ﷺ وأرضاه – مع أنه ليس من الصحابة المشهورين وكثير من أصحاب الكرامات فى الصحابة غير معروفين أو مشهورين.

أرسله سيدنا رسول الله ﷺ ليفتح البحرين وأرسل معه كتيبة من الصحابة، والذى يحكى هذه الواقعة السكرتير الصحفى لسيدنا رسول الله ﷺ سيدنا أبو هريرة ﷺ وأرضاه يقول: رأيت من العلاء بن الحضرمى ثلاث آيات لا تظهر إلا على يد نبى.

الأولى: عندما وصلنا إلى ساحل البحر نريد البحرين – والبحرين جزيرة وبينها وبين الدمام فى السعودية الآن حوالى خمسين كيلو متر فى البحر، فالأعداء تحصنوا بالجزيرة وأخذوا معهم المراكب فكيف يصلون إليهم؟! – فقال العلاء: يا علىّ يا عظيم يا حليم يا كريم – وكان هذا اسم الله الأعظم الذى أعطاه له سيدنا رسول الله ﷺ – وكان لكل صحابى اسم يعطيه له سيدنا رسول الله ﷺ وكان ذلك الاسم الخاص به – فقال: ضعوا أرجلكم على الماء وسيروا على بركة الله، قال: فمشينا ومعنا الإبل والخيل ولم تبتل أخفاف الإبل بالماء – معنى هذا أن الماء قد تجمد وأصبح لوح ثلج – فعندما رأى الأعداء هذا الأمر قالوا هؤلاء ليسوا بشراً بل هم من الجن أو الملائكة وسلموا واستسلموا.

والثانية: يقول ثم رجعنا ونفذ الماء فى الطريق، فقلنا: يا علاء نفذ الماء، فقال: لِمَ لم تخبرونى؟ وقال: يا على يا عظيم يا حليم يا كريم، فوجدوا عين ماء تنفجر فشربوا وارتوا، فيقول كان معى دلو فملأته وتركته – سيدنا أبو هريرة صحفى ويريد أن يتحقق من الأخبار التى يرويها – فيقول بعدما قطعنا مسافة رجعت مرة أخرى لأحضر الدلو فوجدت الدلو كما هو ملئ بالماء ولكن لم أجد البئر ولا الماء.

والثالثة: يقول وهو فى الطريق مات فقمنا بدفنه وعلَّمنا على قبره وبعدما مشينا قابلنا بعض الأعراب فقالوا إن هذا المكان مأسدة أى به أسود – انتبهوا من الذى أعلم هؤلاء الأعراب بنبأ وفاة صاحبهم ودفنه حتى قالوا لهم ارجعوا إلى هذا المكان وخذوا صاحبكم واحملوه معكم وادفنوه فى مكان آخر!

أهل النوبة

فهؤلاء هم الروحانيون الذين جعل الله ﷻ لهم ورديات فى الأكوان ليرشدوا الروحانيين من بنى الإنسان، يوجد جنود موجودين لا يراهم أحد إلا أهل القرب من الله ﷻ وفى حالات خاصة، نريد دليلاً على هذه الجنود، قال ﷺ:

{ من تفلت منه بعيره فى البادية فليقل يا عباد الله احبسوا فإن لله ﷻ عباداً يحبسونها ويردونها إلى أهلها }[٢]

وهؤلاء العباد موجودون فى كل زمان ومكان.

وهم عندما نمشى فى مكان ونضل يأتون ويقولون هذا هو الطريق، أو نفذ منى الزاد فيعطينى زاد، من الذى بعثه؟ لا أعرف ..

أو فى أى بلد ونفذ منى المال يقول خذ هذا المبلغ من الذى عرفه أننى فى حاجة؟ فهؤلاء هم عباد الله الذين يتولون رعاية عباد الله فى كل زمان ومكان، فهم موجودون ولا يخلو منهم زمان ولا مكان، لكن الشاك والمرتاب ليس له نصيب فيهم فهم يكرمون أحبابهم وإخوانهم.

فيقول رجعنا إلى الرجل وذهبنا إلى شاهد القبر وحفرنا فوجدنا القبر ولم نجده هو فعلمنا أن الله ﷻ قد رفعه إليه.

٢ رواه السيوطى فى الجامع الصغير، وهذا حديث صحيح

إحضار الفاكهة فى غير وقتها

فالذى يعجب من أن الصالحين كيف يأتون بالشئ فى غير موعده أو الفاكهة فى غير أوانها أو فى غير بلدها ... فهؤلاء إمامهم خباب بن الأرت عندما كان فى السجن ودخلت عليه صاحبة المنزل ووجدت معه عنقود عنب ولم يكن بمكة كلها حبة عنب واحدة.

تسخير الحيوانات

الذى يريد أن يرى الكلام مع الحيوانات وخضوع الحيوانات ويقول كيف يُخضع الصالحون الحيوانات؟ فمنهم من يمسك الأسد من أذنه أو يمسك الذئب ويمشى معه كما يريد فهذه الأحوال من أصحاب رسول الله ﷺ، فعندما أرسل رسول الله ﷺ سيدنا سفينة برسالة إلى بلاد اليمن ووجد الناس كلهم راجعين فقال لهم: ما بكم؟ قالوا: الأسد هائج على الطريق وجائع، فقال لهم تعالوا معى ولا تخافوا وذهب إليه وقال له إنى صحابى رسول الله ﷺ ومعى رسالة من رسول الله ﷺ، فهل الأسد يسمع هذا الكلام أو يفهمه؟! لكنه كلمه بالحقيقة الباطنه وترجم لمن حوله باللسان الظاهر، فهم لا يعرفون لأنهم ليس معهم السماعات التى تلتقط هذه الشفرات فترجم لهم باللغة العربية وقال له: تنحى عن الطريق فهز الأسد ذيله ثم تنحى عن الطريق فوراً.

ومرة أخرى سيدنا سفينة أيضاً وكان راكباً سفينة وغرقت السفينة فتعلق بلوح حتى وصل إلى جزيرة وعندما دخل الجزيرة ومشى فيها تاه عن الطريق فإذا بأسد جاء له وتمسح به فمشى خلفه حتى وصل إلى الشاطئ فوجد سفينة راسية وربت الأسد على ظهره كأنما يقول له مع السلامة وعاد مرة أخرى.

هذه هى أحوالهم وموجودة فى صحاح الكتب، وهناك أحوال عجيبة وغريبة يضيق الوقت عن حصرها فالذى يقول أن هذه الأحوال لم تكن موجودة مع أصحاب رسول

الله من أين أتى بهذا الكلام؟ فإن لم تكن موجودة مع أصحاب رسول الله ﷺ فمع من تكون! إذا كان عيسى عليه السلام كان يرسل أحد الحواريين إلى بلدة ويعطيه ما أعطاه الله فيذهب هذا الحوارى ينبئ الناس بما يدخرون فى بيوتهم ويبرئ الأكمه والأبرص بإذاً الله لأن عيسى أعطاه هذا فما بالكم بحوارى مُحَمَّد ﷺ؟ ما شكلهم؟ وما حالهم؟ وما هيئاتهم؟ فكلهم كانوا أصحاب أحوال ولكن من كثرة الأحوال لم تكن ظاهرة أو واضحة وملفتة للنظر بل كانت وضع طبيعى وشئ عادى.

أسباب ظهور الصالحين

وعندما جاء الصالحون كان الواحد منهم يظهر لقلتهم والناس نائمون فى الدنيا والناس نائمون فى الجهل، فكان الواحد منهم ظاهراً لعدم وجود أحد آخر هذا هو الفرق بين هذا وهذا، الرجل الصالح يظهر كل مدة والذين من حوله أناس على قدر حالهم فيثنون عليه لأنه لا يوجد غيره، لكن هؤلاء كانوا جميعهم على هذا المنوال وكلهم على هذا المنهاج وكل لحظة آلاف الأحوال كان يجريها الله ﷻ على أيديهم سواء كانوا رجالاً أو نساءً أو أولاداً أو بنات صغار كانوا جميعهم يجرى الله ﷻ على أيديهم هذه الأحوال، من أجل هذا لم تكن ظاهرة لكثرتها جداً جداً.

بقاء الأحوال العلية فى الأمة المحمدية

لكن هذه الأحوال يا إخوانى الحمد لله موجودة فى كون الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأن هذه الأحوال تكون نتيجة للحياة الروحانية التي يعيش فيها كثير من الناس، فيوجد ناس تعيش فى الحياة الإسلامية هم المتمسكون بظاهر الشريعة وهؤلاء لهم دار السلام عند ربهم إن شاء الله وإن كانوا على قدرهم فى أحوال رسول الله ﷺ لأنهم متمسكون بالظاهر فقط.

ويوجد أناس معهم الحياة الإيمانية، والحياة الإيمانية أرقى فى المعانى الروحانية عن الحياة الإسلامية، ففيها شئ من المعانى القلبية مع الظاهر فيكون فيها جانب من الخشوع

وشئ من الخشية وقدر من الرغبة ونصيب من الرهبة وهذه تسمى أحوال القلوب، فأنا أقف فى الصلاة بالظاهر، والظاهر هو الحركات والسكنات والركوع والسجود والباطن له الخشوع والإنكسار والخشية والوجد والتواجد والتوجه وإسلام القلب والوجه لله ﷻ وهذه تسمى الأحوال القلبية، فأهل الحياة الإيمانية هم الذين يعيشون فى هذه المعانى بأفئدتهم.

الحياة الإسلامية

وأهل الحياة الإسلامية كل همهم فى المظاهر النبوية ويعتقدون أن أهل هذه كل شئ، فهمهم كله فى اللحية وتربيتها وتسريحها والعدبة وشكلها والجلباب والسواك وكل هذه الأشياء مطلوبة لكنها ليست كل شئ، فإنا لا ننكر عليهم هذه الأشياء لكن ما ننكره أنهم يقولون إن هذه الأشياء كل الأمر، من الذى قال هذا الكلام؟! لكنه قال يوجد إسلام ويوجد إيمان ولم يقل إسلام فقط وهذه الأشياء من منا يستطيع أن يثبت عليها كلها أيضاً؟ فالذى يريد أن يلبس مثل حضرة النبى ﷺ، فقد كان أحياناً يلبس جلباباً أحمر ومرة أخرى خضراء ومرة صفراء حتى أن أرباب الطرق اختلفوا فى العمامة لماذا؟ سيدى أحمد الرفاعى قال: أن النبى كان يلبس عمامة سوداء فلبسها، وسيدى أحمد البدوى لبس عمامة حمراء لأن النبى لبسها، وغيره خضراء وغيره صفراء وهكذا، فأنا ماذا أفعل؟ ألبس عمامة واحدة أو أحضر أربع أو خمس عمامات وألبس كل واحدة أسبوع أو أجعلها عمامة واحدة وفيها جميع الألوان، لا أستطيع!

وكذلك الملابس فمرة كان يلبس جلباباً وفيه رقع ومرة يقول لهم أريد جلباباً غالى الثمن حتى أقابل بها الوفود وهذا فى آخر الأمر فاشتروا له حلة ثمنها سبع وعشرون جملاً وربما لا يوجد الآن فى العالم الحديث بدلة بهذا الثمن، أى سبع وعشرون فى ثمن الجمل أربع آلاف، هل يوجد فى هذا الزمن بدلة بهذا الثمن؟! لكن اشتراها رسول الله ﷺ ليقابل بها الوفود.

فأنا سأقلده فى ماذا؟ فى هذا أو هذه أو هذه فهذه الأحوال لو طلبها المرء تجعله يتوه من كثرتها لكن كل واحد منا يأخذ ما يناسبه، لأنه لبس جميع الحلل لأننا فينا جميع

المشارب فكل واحد يأخذ ما يلائم مشربه وما يلائم مذهبه وما يلائم ذوقه وكله من رسول الله ﷺ، من فيهم مخطئ؟ المخطئ الذى يقول هذه من عند رسول الله والباقى خطأ، نقول له لا أنت المخطئ لأن الكل من رسول الله ﷺ فلو قال إنه لم يلبس إلا العمامة الحمراء فقط نقول له أنت مخطئ فهناك السمراء والصفراء والثانية والثالثة وهذا اسمه الإسلام.

الحياة الإيمانية

لكن الأعلى منه الإيمان والإيمان أحوال قلبية، عندما رأى اثنين يمشون خلف بعضهما أحدهما عليه سيما الغنى والجاه والجمال فقال لهم ما رأيكم فى هذا؟

قالوا هذا حرى إن خطب أن يُنكح وإن تكلم أن ينصت له وإن شفع أن يشفع، والآخر يلبس جلباباً مهلهلاً وحالته يرثى لها لكن بداخله خشوع وتقوى فقال لهم ما رأيكم فى هذا؟ قالوا هذا حرى إن خطب ألا ينكح وإن تكلم ألا ينصت له وإذا شفع لا يشفع، فقال لهم: هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا.

قالوا غداً العيد ماذا أنت لابسه قلت حلة ساق عبده جرعاً

فقر وصبر هما ثوبان بينهما قلب يرى ربه الأعياد والجمعا

فالذى يلبس خمسين بدلة لكن لا يرى شيئاً من أنوار القرب، ماذا معه؟ والذى يلبس المرقعات ولكن مكشوف عنه الحجاب، هذا هو المهم ... فقال لهم هذا أفضل من ملء الأرض مثل هذا لماذا؟ لأن العبرة كلها بالقلوب.

هذه اسمها الحياة الإيمانية، وأصحاب الحياة الإيمانية لهم أحاسيس روحانية يحسون بها، فيحس أحدهم بالذى يدور فى صدرك والذى فى قلبك ويحس بالذى يريد أن ينطق به لسانك ويحس بالذى يدور فى ذهنك وفكرك، إحساسى ويقول أنا حاسس بكذا ويصدق الإحساس، من أين لهم ذلك؟

﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [٢٩ الأنفال]

أى لأن معه الفرقان.

المعانى الإحسانية

الحياة الأكمل من هذه الحياة اسمها الحياة الإحسانية وهذه حياة شهودية فصاحبها يرى دوماً، وهو غير الذى يحس فقط لكن هذا يرى وهذا ما عبر عنه الإمام على بن أبى طالب فقال: { **لو كشف الحجاب ما ازددت يقيناً** } فهو يرى كل شئ على حقيقته، وكشف الحجاب يقصد هنا لو أنه مات الموتة العزرائيلية لا يرى أكثر مما رأه فى الحياة الدنيوية لأن الحجاب هو ذلك الجسم:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [٢٢ ق]

فالغطاء هو هذا الجسم فمن انكشف عنه الغطاء ظهر له العطاء من فضل الله ﷻ، فحتى لو مات ماذا يرى أكثر مما رأى؟ مثل الرجل الذى لم ير رسول الله ﷺ ولم يقابله بجسمه وكان موجوداً فى زمانه وهو لم يدخل المدينة ولم يره ولم يسلم عليه وقال لهم: { **سيأتى بعدى أويس القرنى رجل من أهل اليمن فإذا لقيتموه فاستوصوا به خيراً وسلوه أن يدعو الله ﷻ لكم آمن بى ولم يرنى ومنعه من المجئ إلىّ بره بأمه** } .[٣]

لكن هذا الرجل عندما جاء وشاهدوا حاله قالوا: كيف يكون مثل هذا لم يشاهد؟ إنه رأى كل شئ لأنه عندما تعرفوا عليه سألهم عن رسول الله ﷺ وقال لهم: هل رأيتموه؟ قالوا: نعم، قال: صفوه فجاءوا بسيدنا على وظل يصف شكله وملامحه وطوله وعرضه، فقال له إنك لم تره، قالوا: فمن الذى رآه؟ فذهبوا إلى السيدة عائشة وأخبروها فقالت:

{ **أنا رأيته مرة واحدة كنت أخيط له ثوباً فى يوم ريح وقد اشتد الظلام فدخل علىّ رسول الله ﷺ وقد سقط المخيط من يدى فرأيته نوراً من الأرض**

[٣] رواه ابن السماك عن أبى أمامه ﷺ،

إلى السماء فالتقطت على ضوئه المخيط ووضعت فيه الخيط } [٤]

فانتبهوا إلى أن الذى لم يحضر أبداً رأى هذه الحقيقة ولم تغب عنه وكان معه دائماً، وهذا يعرفنا أن رسول الله كان بذكره لأمر أويس ينظر للمدى البعيد حتى لا يأتى أحد ويعترض على من قال إنى رأيت رسول الله وأمرنى بكذا وهو لم يحضر فى زمانه ولا مكانه ولم يره لأنه حدث ذلك مع أويس.

فهذه حجة يأتى بها لنا رسول الله ﷺ لنرد بها على من يعترضون على الذين يقولون أن رسول الله لم يغب عنى ومعى دوماً، ويقولون إن الصحابة لم يصلوا إلى هذا المقام، فنقول لهم هذا كان موجوداً فى عصر الصحابة ومنهم من حاز بهذا المقام وقد أعطاه لنا رسول الله ﷺ وستظل هذه الأحوال باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إبطال تأثير النار

عندما جاء الناس وقالوا كيف يدخل سيدنا الحداد يده فى النار وتخرج من غير أن يصاب بأذى، فقد حدث هذا أيام النبى ﷺ، فالرجل الذى ذهب عند مسيلمة الكذاب وقال له: أتشهد أن مُحَمَّداً رسول الله؟ قال: نعم فقال له أتشهد أنى رسول الله؟ فقال له: لا أسمع، فقالوا له: أوقد النار وضعه فيها، فأوقد النار ووضعه فيها حتى أطفأت النار ولم تؤثر فيه وعندما رأوه خارجاً من النار سليماً معافى قال أنصار مسيلمة لو تركت هذا الرجل عندك فسيفتن أتباعك فدعه يذهب، فتركه فذهب الرجل على المدينة، وكان الخبر قد وصل للمدينة مع أنه لم يقابله أحد، وقد وصل الخبر لأبى بكر وعمر عن طريق الإرسال الإلهى فوجدهما فى استقباله، فقام سيدنا عمر واحتضنه وقال له مرحباً بشبيه إبراهيم عليه السلام الحمد لله الذى لم يمتنى حتى رأيت فى أصحاب مُحَمَّد ﷺ من هو شبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو سيدنا أبو مسلم الخولانى رضي الله عنه وأرضاه وكان من خاصة أصحاب رسول الله ﷺ.

فالذين ظهرت عليهم هذه الكرامات لم يكونوا من المشهورين لكن هذه الآيات

[٤] (رواه النيسابورى فى تاريخه).

والكرامات كانت موجودة ومشهودة بين أصحاب رسول الله ﷺ وممدودة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فأهل الحياة الإحسانية يعيشون هذه الحقائق وهم يقال فيهم:

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون
وأجنحة تطير بغير ريش إلى ملكوت رب العالمين

أهل الإيقان

وهناك حياة أكمل من هذه الحياة واسمها الحياة الإيقانية.

فأهل الإيقان يعيشون فى أنوار رب العالمين فى كل وقت وحين، قربهم من العرش كقربهم من الفرش، وقربهم من ذوات الخلق كقربهم من ملائكة الحق،.

وأكلهم من زاد الدنيا كغذائهم من زاد الجنة لأن هؤلاء لا يخفى عنهم الله خافية ولا يمنع الله ﷻ عنهم أشياء ظاهرة وبادية أو خافية لأنهم وصلوا إلى رتبة اليقين، فهؤلاء فى حياة أخرى.

فأهل اليقين يكشف الله ﷻ لهم عن كل الحقائق الظاهرة والباطنة لكنهم لشدة تمكنهم لا يظهرونها إلا بحساب دقيق !!

ومن قبلهم من أهل الإحسان فهم أهل الأحوال تظهر على أيديهم الكرامات من غير حساب ولذلك تكثر الكرامات على أيديهم ولا يدرون بشئ، لكن أهل اليقين لشدة تمكنهم لا يظهرون الشئ إلا بعد حساب دقيق.

ولذلك نجد أصحاب رسول الله ﷺ الغير مشهورين تظهر على أيديهم كرامات كثيرة، لكن سيدنا عمر وسيدنا أبو بكر ظهرت على أيديهما أشياء بسيطة بحكم الضرورات لأنهم أهل اليقين وأهل الكمال فعلهم ضرورات غير الآخرين الذين لم يصلوا إلى منازل التمكين فإنهم تجرى على أيديهم وبسببهم كرامات كثيرة.

وكتب السير والطبقات مليئة بالجم الكثير من هذه الآيات والكرامات.

أحوال الأبدال

سؤال: سأل أحد الجالسين عن بعض أصحاب الأحوال الذين يظهر من بعضهم أحوال عالية وكرامات كثيرة لكنه لا يصلى؟

فقال الشيخ رضوان الله عليه:

إن هذا له ما يؤيده فى قصة سيدنا أحمد البدوى، فهناك بعض الأولياء يصلون إلى هذا الحال وهذا حال عال فوق العقول لأن أصحابه لهم أكثر من طور يتطورون فيها، فعندما جاء قاضى الموصل واعترض على عتبة الغلام وقال له كيف لا تصلى؟ فنظر ووجد أمامه تسعة كلهم صورة واحدة وهيئة واحدة، فقال له مَن مِن هؤلاء تحدثه وكلهم مثل بعض؟! وقد كان يقول له لابد من محاكمتك وسجنك، فقال له على من تحكم من هؤلاء؟ فعلم أن لله أحوال تظهر على الأبدال الذين يمكنهم الله من تبديل ذواتهم وهيئاتهم على أحوال وأطوار مختلفة.

مثل سيدى أبى العباس المرسى عندما دعاه جماعة لكى يتناول الغذاء بعد صلاة الجمعة عندهم فلباهم جميعاً وذهب إليهم جميعاً ثم عاد وبعد فترة وهو جالس مع الإخوان بعد الغذاء جاء رجل وقال له أنا شاكر لك على أنك تفضلت وتناولت طعام الغذاء عندى اليوم وبعد فترة جاء رجل آخر وشكره على أنه تناول الغذاء عنده اليوم وجاء ثالث إلى أن وصلوا عشرة وكلهم يشكرونه على أنه تناول الغذاء عندهم فى نفس اليوم والإخوان جالسون مع الشيخ وقد تناول الغذاء معهم.، وكذلك الشيخ أحمد السرهندى الفاروقى عندما أجاب دعوة عشرة وتناول عندهم جميعاً الإفطار فى يوم واحد فى شهر رمضان وكان وقت الغروب عند كل واحد من العشرة فى آن واحد وأفطر عندهم كلهم كما نقل ذلك الخافى فى كتابه الحدائق الوردية.

الحال الملكوتى

فهؤلاء القوم لهم قدرة على التشكيل وهذا يسمى حال ملكوتى وهو ليس بالحال العالى لكنه حال بسيط، فالملائكة لهم قدرة على التشكيل ومن يصل إلى الحالة الملكوتية

يصبح له القدرة على التشكيل مثلما يريد مائة صورة أو ألف صورة، صورة هنا وصورة هناك وهم كما هم وهذا حال ملكوتى على قدره.

فمثل هؤلاء أحياناً يكون مغلوباً على أمره فى الظاهر لكنه يصلى فى صورة أخرى مثل ابن الدقيق العيد عندما اعترض على سيدى أحمد البدوى وقال إنك لا تصل ودفعه الشيخ بيده فوجد نفسه فى بلاد الهند وسأل الناس فقالوا له إنك فى بلدة كذا فقال لهم كم بينى وبين مصر؟ قالوا ستة أشهر سيراً فماذا يفعل؟ ذهب إلى المسجد إلى أن يفرج الله عنه هذا الأمر وكان وقت الظهر فتوضأ وجلس ينتظر فإذاً المؤذن وجلس فترة وقال له أقم الصلاة فقال المؤذن حتى يأتى الإمام فنحن لنا إمام راتب هنا وبعد قليل دخل سيدى أحمد البدوى ﷺ وأقام الرجل الصلاة وصلى بهم إمام فهو إمام راتب بالهند وليس إمام يوم أو اثنين بل إنه إمام دائم!

حكم أصحاب الأحوال

فهذه يا إخوانى مثلما يقولون:

أحوالهم فوق العقول إذا بدت تدك لها من رغبة بل ورهبة

ومطلوب التسليم بها فلهم ما يشاءون عند ربهم، لكن مثل هذا فأنا لا أعترض عليه ولا أقتدي به:

لا تقتدى بمن زالت شريعته ولو جاك بالأنبا عن الله

وهذا كلام سيدى محى الدين بن عربى، فلا أقتدى به ولا أعترض عليه لأنها أحوال يعلمها الله ﷻ ولا أقتدى به لأنه ليس بقدوة.

وكذلك ابن الفارض وقد كان رجلاً متشرعاً ورأى رجلاً مجذوباً يتوضأ فى الأزهر ولا يعرف كيف يتوضأ فذهب ليعلمه الوضوء، فقال اسكت ودفعه فوجد نفسه فى مكة وظل بها أربع عشرة سنة سائحاً إلى أن وجد الشيخ يمد يده ويقول له تعالى يا عمر فإنى سأموت اليوم لكى تصلى علىّ وتقوم بدفنى، ومد يده وأحضره فصلى عليه ودفنه، هذه

يا إخوانى أحوال عالية بعض الشئ، وهناك أحوال لا تصدقها العقول !! فهناك رجل من أهل اليمن كان يبيع المطر، فمن يريدون مطراً يذهبون إليه فيقول لهم كم ستعطونى؟ ويدفعون له وينزل المطر كما قال، لكنه يعلم أن هؤلاء القوم بخلاء فكان يأخذ منهم ليعطى الفقراء، فالعارفون لهم أحوال عجيبة ﷻ وأرضاهم، فأحوالهم فوق العجب لكن أهل الجذب لا نقتدى بهم ولا نعترض عليهم !!ولكن نقتدى بالولى المرشد وبالعالم العامل الذى له أسوة كاملة بسيدنا رسول الله ﷺ.

سؤال: هل سيدى إبراهيم الدسوقى قسم الكون على أربعة أقطاب؟

قال الشيخ: ليس لنا صالح بكلام المداحين فكلامهم فيه زيادات كثيرة فسيدى إبراهيم الدسوقى لم يُقَّسم الكون وما يقال أنهم قسموا الكون على الأقطاب الأربعة وكل قطب يأخذ مائة سنة وهكذا من أين جاءوا بهذا الكلام؟ وقبل هؤلاء الأربعة على من كان يقسم الكون؟ الكون يقسم على أربعة دوائر روحانية وكل دائرة لها قطبها الروحانى والأربعة لابد أن يكونوا أحياء وموجودين فإذا ذهب الأربعة يأتى مكانهم أربعة وهؤلاء الأربعة ينفذون مراد الله فى الكون فقد وصلوا إلى الحالة الملكوتية فأصبحوا مثل الملائكة مثلما يُسخر الملائكة فى الأقوات والأرزاق يسخر هؤلاء فى الهدايات والعنايات والولايات والكرامات.

هذا هو الموضوع لكن حكايات المداحين ليس لكم شأن بها لأن كثيراً من الدراويش يزيدون فى فضائل مشايخهم لكننا نأخذ الروايات الثابتة فقط.

سؤال: الإمام أبو العزائم يقول: قبلت يمين رسول الله ﷺ وذلك فى قوله:

فقبلت لما أن وصلت يمينه وبشرنى بعد الشهود بكلما

فهل تقابل معه شخصياً؟ قال الشيخ رضوان الله عليه:

ألم يحدث هذا مع سيدى أحمد الرفاعى عندما ذهب إلى روضته الشريفة وقال:

فى البعد روحى كنت أرسلها تقبل الأرض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

والكل رآه وهو يسلم عليه وهذه أمور سهلة وليست صعبة، فسيدنا رسول الله ﷺ لعلم اليقين حى ويتصرف كما يتصرف أى حى بجسمه وروحه بأمر من الله ﷻ لأن الرسالة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مثلما جاء للشيخ أبى المواهب الشاذلى وقال له: إن فلاناً يقول إنك قد مت، قال له: هو الذى مات فأنا حى ولا يرانى إلا من هو بقلبه حى وموتى هو تسترى عمن لا يفقه عن الله ﷻ، أما من يفقه عن الله فإنه يرانى وأراه، فصاحب القلب هو الذى يرى سيدنا رسول الله ﷺ لأنها حياة ثانية روحانية إيمانية يا إخوانى.

سؤال:

فى البداية والنهاية لابن كثير : (إن الطعام الذى أعدته اليهودية وأكل منه النبى ﷺ وكان مسموماً فقد توفى متأثراً به) وهذا يتعارض مع الآية الشريفة: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [٦٧ المائدة] وابن كثير كررها ، فما صحة ذلك؟

قال الشيخ ﷺ: يا إخوانى أحوال رسول الله لا يدركها إلا الناس الروحانيون الذين هم فى درجة قريبة من معرفة أنوار وأخبار وأسرار سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، فإذا كان هذا السم ظل فيه أين ظل فيه؟! وفى أى مكان من الجسم؟! هل سيظل فى مكان من الجسم ولا يظل الألم موجوداً؟!

فابن كثير جاء بالحديث (ما زالت أكلة خيبر تعاودنى حتى قطعت أبهرى) فأين كان هذا السم فى الجسم؟! يا إخوانى كثير من الأخبار الواردة في كتب السيرة كان اليهود يدسون فيها بعض الأكاذيب وكانوا يعطونها للمنافقين والمنافقون يرددونها على أنها واردة عن رسول الله والناس يأخذونها على أنها واردة ويأتى رجال الحديث مثل الإمام ابن كثير ويأخذون بالسند فقط، لكن رجال الله يأخذون كما يقول بعض الصالحين :إنى أعرض الحديث على رسول الله ﷺ فإن قال قلته فهو حديث صحيح ولو كان ضعيفاً عند البخارى ومسلم، وإن قال لم أقله فأعلم أنه حديث موضوع ولو كان صحيحاً فى البخارى ومسلم.

لأنكم كما تعلمون أن اليهود عندما يأسوا من حرب الإسلام دخلوا فى صفوف المسلمين وتظاهروا بأنهم مسلمون حتى يفسدوا الإسلام كما أفسدوا المسيحية، ما الذي أفسد المسيحية؟ الرجل الذى تنسب له كل تعاليم المسيحية اسمه بولس وكان يهودياً ولما عجز عن إفساد المسيحية وهو على اليهودية ادعى أنه يرى سيدنا عيسى فى المنام وأنه يشرع له كذا ويقول له كذا، وهو الذى أتى بكل هذه التشريعات.

وكذلك دخل عبد الله بن سبأ وآخرون لكي يفسدوا الإسلام لكن الإسلام سلم منهم إلا القليل، فالأشياء التى لا يقبلها العقل ولا توافق العلم والدين يوافق العلم الثابت الصحيح على خط مستقيم دائماً، فكل شئ لا يقبله العقل ولا يقبله العلم فليس من الشرع لأن الشرع يوافق العقل ويوافق العلم.

سؤال:

لم يتهم الصالحون أنفسهم دائماً عند أى تقصير منهم؟

قال ﷺ: هذه أحوال خاصة وتحدث للكل، فسيدنا عمر ﷺ قال ليتنى كبشاً وذبحنى أهلى وأكلونى، ومرة أخرى يقول ليتنى كنت قشة، ومرة أخرى يقول ليت أم عمر لم تلد عمر، هذه الأحوال الكل يتعرض لها، فسيدنا رسول الله لما فتر عنه الوحى علمه الله وعلمنا معه الأدب فقال تعالى فى (٧٩النساء):

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾

فيرجع على نفسه، وهل الوحى قطع للتقصير؟ أو لأنه فعل كذا؟ لا، لكن هذا هو المبدأ الذى يعلمه لنا رسول الله ﷺ، يلوم نفسه ويعاتب نفسه وفى ذلك يقول العارفون: مقام العبد التقصير لأنه مهما قدم لربه ﷻ فلن يوفى ببعض ما عليه من واجبات لله ﷻ.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

الفنـــــاء

الصديق والقرآن

الصديق الأكبر إمام أهل الفناء

مقام الفناء

موقف المؤمن من الدنيا

ورع الصديقين

الورع أول مقامات الفناء

جهاد النفس الأمارة بسلطان الشريعة

التمسك بالشريعة برهان صدق الحقيقة

حال أهل الفناء

مقام رفع التكليف

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

[١٦٢الأنعام]

الفنـــــاء

الصديق والقرآن

هذا التلميذ الأول الذى تعلم على يد المعلم الأول ﷺ واستوعب الدرس فقال له: أنا أعرف نتيجتك ومبروك، ورسول الله ﷺ أطلعه الله على كل من يدخل جنة الله، وهذا الكلام ليس كلامنا فقد خرج ﷺ على أصحابه يوماً ومعه كتاب يمسكه فى يده اليمنى وقال: هذا كتاب فيه أسماء أهل الجنة من أولهم إلى أخرهم، وكتاب آخر فى يده اليسرى وقال: هذا كتاب فيه ذكر الله أهل النار بأسمائهم.

وأنتم تعلمون أنه فى ليلة الإسراء وفى السماء الأولى وجد سيدنا آدم وأناس عن يمينه وأناس عن يساره فيلتفت عن يمينه ويضحك ويلتفت عن يساره ويبكى فقال ما هذا يا أخى يا جبريل؟ قال له هذا آدم وهذه نسم بنيه، والنسم يعنى الأرواح أى أرواح أولاده، فإذا التفت عن يمينه ينظر إلى أرواح أهل الجنة من أمته أى من أمة سيدنا آدم حتى يوم القيامة وليست أمة سيدنا مُحَمَّد ﷺ فقط، أهل الجنة كلهم من البداية للنهاية لأنهم كلهم من صلب سيدنا آدم عليه السلام، وإذا التفت جهة اليسار ينظر إلى أهل النار فيبكى، إذاً فهم معروفون من البداية لأن ربنا قال فى الحديث القدسى:

﴿ هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى ﴾ [1] وهذا بعد خلق الأرواح وبعد ما أخذ عليها العهد الكريم الفتاح وجماعة أجابوا وجماعة لم يجيبوا فالذين أجابوا وقالوا بلى قال هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى والذين لم يجيبوا قال هؤلاء إلى النار ولا أبالى.

فالصديق الأول رضي الله عنه وأرضاه لما أخبره رسول الله ﷺ، ولم يخبره لوحده فنحن

(١) أخرجه أحمد والطبرانى عن معاذ رضي الله عنه

نسمع أنهم عشرة لكنهم أكثر من عشرة فهؤلاء العشرة ذكرهم فى مرة واحدة لكنه فى مرات أخرى بشر آخرين، مرة يبشر واحد أو واحدة بالجنة غير هؤلاء العشرة، فبشر رسول ﷺ كثير بالجنة حتى أنه قال لهم آخر واحد فى الكشف اسمه جهينة ووقتما يخرج من النار وينهى فترة سجنه ويغسلونه من حوض الكوثر ويدخل الجنة فأبواب السجن تقفل نهائياً ولا تفتح بعد ذلك وأبواب الجنة تقفل أيضاً نهائياً لا أحد يدخلها بعد ذلك، ويقال { عند جهينة الخبر اليقين } لا أحد يخرج بعد ذلك، فأهل النار سيظلون يتعشمون أن ربنا ربما يرحمهم ويخرجهم وربما يأتيهم قرار عفو أو يأتيهم قرار رحمة أو يأتى تخفيض في هذه الأحكام إلى أن يخرج جهينة، يقولون قد وقعت الواقعة وانتهى الأمل، لماذا؟ يقولون خالدين فيها أبداً، والباقين ما شأنهم؟ انتهى أمرهم، هؤلاء لهم تأبيدة لن يخرجوا منها أبداً يقولون ياليتنا قلنا لا إله إلا الله ولو مرة، لأن الذى قالها مرة واحدة ولو بلسانه سينهى الحكم الذى عليه ويخرج على الجنة، لكن الذى لم يقلها كيف يخرج؟! خالدين فيها أبداً.

فالرسول بشره بالجنة، وليس هذا فقط بل أتى فى ليلة الهجرة وقال فى طريقه إلى الغار وكان يمشى على أطراف أصابعه حتى لا يظهر أثر قدميه للكفار، وقد كانوا مميزين فى اقتفاء الأثر، لما تعب غاية التعب حمله سيدنا أبو بكر على أكتافه إلى أن وصل باب الغار وقال له انتظر هذا الغار لم يدخله أحد منذ زمن ومن الجائز أن يكون به ثعبان أو عقرب فأنا أدخل أولاً فأنا لو مت فأنا رجل واحد ولكنك لو مت مات هذا الدين كله، ودخل وسد الجحور، وبعدما دخل قال النبى ﷺ: ﴿ اللهم إنى قد رضيت عن أبى بكر فارض عنه ﴾ فنزل جبريل عليه السلام وقال له: ﴿ أبشر يا رسول الله فإن الله ﷻ قد رضى عن الصديق كما رضيت عنه﴾ قال: أريد أن ينزل هذا الكلام فى القرآن لأنه الحجة الثابتة، ففوراً نزل قول الله ﷻ:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا

تَرَدَّىٰٓ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنَّ لَنَا لَلْأٓخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [٥-٢١ الليل]

(**سيجنبها الأتقى**) هذا الأمان، (**ولسوف يرضى**) فيه الرضا، ماذا تريد يا أبا بكر؟! هذا كتاب ينزل من الوهاب فيه الأمان وفيه الرضا من الرحمن أنه ليس له شأن بجهنم وأنه أيضاً سيرضى، وقد قال أيضاً رسول الله ﷺ: ﴿ **سنبعث هكذا يوم القيامة إن شاء الله معاً** ﴾ أيوجد بعد هذا بشرى؟

والواحد منا لو رأى فى منامه من يقول له مبروك عليك الجنة يقول خلاص لن أصلى ولن أصوم بعد ذلك فقد ضمنت الجنة لكن هذا كتاب من الله وبشرى من رسول ﷺ وبشرى بعد بشرى ويرجع مرة أخرى، ويقول: **لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدماى فى الجنة**، أيضاً أنا أخاف لو كانت قدم فى الجنة والأخرى فى الخارج وأكون غير مطمئن فمن الجائز بعدما أدخلت قدمى يقول لى اخرج منها !! **ماذا أقول له؟** ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [٢٣ الأنبياء]، فهو يعلمنا لأنه تعلم الدرس من المعلم الأول ﷺ الذى هو الخوف من الله ﷻ.

الصديق الأكبر إمام أهل الفناء

وهذه منزلة أخرى تبوأها الصديق فى القرآن فى قول الله تعالى:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [١٢٢ الأنعام]

لقد نزلت هذه الآية فى سيدنا أبى بكر ﷺ ولذلك قال فيه ﷺ:

﴿ **من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على ظهر الأرض فلينظر إلى أبى**

بكر ﴾ فهو ميت لكنه يمشى ويتحرك.

وهل هناك بين أصحاب رسول الله ﷺ من نزل فى هذا المقام غير أبى بكر؟ نعم هناك كثير من أصحاب رسول الله ﷺ نزلوا فى هذا المقام ومنهم سيدنا طلحة الخير بن عبد الله الذى أبلى بلاء حسناً فى غزوة أُحد دفاعاً عن سيدنا رسول الله ﷺ فقد كان يقيه بنفسه ويتلقى بصدره سهام الكفار ليمنعها عن رسول الله ﷺ، ماذا قال رسول الله فى شأنه؟ وما الوسام الذى تفضل عليه به؟ ورسول الله ﷺ أعطاه الله ﷻ أن يفيض على الأخيار مقامات القرب من الواحد القهار فقال ﷺ فى ذلك: ﴿ **الله المعطى وأنا القاسم** ﴾ (٢) قال ﷺ بعد أن قرأ قول الله تعالى:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [٢٣ الأحزاب]

﴿ **أشهد يا طلحة أنك ممن قضى نحبة** ﴾ (٣)

وقضى نحبة أى مات وكيف يعد ميتاً مع أنه مازال حى؟!

مقام الفناء

هذا هو الأمر الذى نريد أن نبينه ونفصله وهو مقام كريم يسميه السادة الصوفية مقام الفناء، وما مقام الفناء؟ وكيف يتحقق الإنسان بمقام الفناء حتى يأخذ الحياة الباقية من الباقى ﷻ؟

مقام الفناء معناه أن تموت النفس أى تفنى عن نوازعها الشريرة وعن إرادتها السيئة وعن أخلاقها القبيحة وعن طواياها التى لا تليق بالمؤمنين وتحيا بأخلاق الله وتحيا بأخلاق سيدنا رسول الله ﷺ وتحيا بأنوار كتاب الله ﷻ وتحيا بأنوار ذكر الله، هذا باختصار شديد مقام الفناء.

---

(٢) رواه الشيخان ، واحمد عن معاوية .

(٣) رواه أبو يعلى ، وأبو نعيم فى الحلية ، وابن عساكر عن عائشة .

فكل إنسان منا فيه نفس تسمى النفس الأمارة، والنفس الأمارة لأنها نفس غدارة ذكرها الله ﷻ على لسان امرأة ليبين لنا أنها نفس قبيحة ويجب أن نعالجها حتى تخرج من غفوتها:

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ [٥٣ يوسف]

والنفس الأمارة هذه هى التى تحتاج منا الجهاد الأعظم لأن جهاد الأعداء قد يكون أسهل منها لأنه وجهاً لوجه لكنها فى داخلى وتعيش فىّ وتوسوس وتزين لى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ من الذى يزين لهم النفس الموجودة فى داخلهم؟ هى التى تزين لهم حب الشهوات والشهوات هى: ﴿ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ ومثلها الآن السيارات الفارهة فهى المقصودة بالخيل فى الزمن الذى نحن فيه الآن ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ ما هذا يارب؟ ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [١٤ آل عمران].

وما دام هذا متاع الحياة الدنيا فالمؤمن لا يجب أن ينشغل به عن الله ﷻ.

موقف المؤمن من الدنيا

وهل نترك هذه الأشياء؟ لا ! فلو تركناها نصبح مخالفين لأوامر الله لأن الذى سيأخذها أعداء الله ويتحكمون فى رقابنا ويسيطرون علينا وهذا لا يرضى الله ﷻ ولا رسوله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ عندما ذهب إلى المدينة ما أول خطوة فعلها فى الحياة الإقتصادية الإسلامية؟

لم يكن فى المدينة غير سوق واحد وهذا السوق يسيطر عليه اليهود فيتاجرون ويبيعون فيه وغيرهم يأتى للشراء، فكان السلاح والذهب والتجارة بأصنافها وأنواعها فى أيدى اليهود، فأول شئ فعله رسول الله ﷺ بعد انتقاله إلى المدينة أن أقام سوقاً للمسلمين ووجه تجار المسلمين أن يسيطروا هم على اقتصاديات السوق لأنه إذا كانت البضاعة فى أيدينا فلا أحد يصبح له فضل علينا وقد كان يقول ﷺ فى دعائه:

﴿ اللهم لا تجعل لكافر يداً على فأكافئه بها ﴾

فالمسلم لا يتخلى عن الدنيا لكن الدنيا عندنا وعند الله أصناف ... فهناك دنيا مذمومة ودنيا مكروهة ودنيا محبوبة يحبها الإنسان ويحبها الله أيضاً.

فالدنيا المذمومة هى التى يتحايل الإنسان فيها وينصب على الناس فيها من أجل الحصول على رزقه الذى قدر له ولا يبالى فى أمر تحصيله أمن حلال أم من حرام وقد انتشر هذا الوباء فى هذا الزمان الذى نحن فيه الآن، وهذه الدنيا مذمومة لأنها لا تنفع صاحبها فى الدنيا ولا فى الآخرة، ففى الدنيا سيجمع المال كله ويرحل عنها ويتركه كله ويتنعم به غيره ويُحاسب هو عليه كله لأنه الذى جمعه فسيسأل عنه من أين جمعته؟ أمن حلال أم من حرام؟ فهذه هى الدنيا المذمومة وهى التى لا يراقب الإنسان فيها الحل ولا الحرمة.

أما الدنيا المكروهة فهى التى تشغل المرء عن طاعة الله وعن ذكر الله وتجعل العبد يضيع وقته فى الغفلة والمباحات والراحات.

وأما الدنيا المحبوبة فهى التى يستعملها العبد فى الوصول إلى مراضى الله ﷻ والإقبال على عبادته وطاعته فتكون وسيلة يتقرب بها إلى الله وينال بها رضاه ويصل بها إلى السعادة فى جوار حضرة الله وفيها يقول ﷺ: ﴿ **لكل شئ أساس وأساس هذا الدين المطعم الحلال** ﴾ (٤)

ورع الصديقين

مفتاح الصلاح هو الورع ولذلك عندما ذهب رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له أريد أن أكون مستجاب الدعوة، لم يقل له ﷺ صلى كذا ركعة أو اقرأ القرآن لمدة كذا من السنين أو الشهور ولم يوجهه إلي ما يشبه ذلك من العبادات والقربات بل قال له: ﴿ **أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة** ﴾ (٥)

فالذى يريد آن يكون ولياً لله وأولياء الله ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [٣٤ الزمر]

(٤) أخرجه الطبرى عن ابن عباس رضى الله عنهما .
(٥) أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس ﷺ

ينصحه رسول الله ﷺ بشئ سهل جداً إذا فعله يكون ولياً لله وهو أن يتحرى المطعم الحلال، فمادام الإنسان يتحرى المطعم الحلال ويبتعد عن الشبهات فإنه يصبح ولياً من أولياء الله ﷻ عندما يقول يارب يقول لبيك عبدى ماذا تريد؟

فهذا سيدنا جعفر الصادق ﷺ وأرضاه يقول ما احتجت إلى شئ إلا وقلت يارب عبدك جعفر يريد كذا فما أستتم كلامى إلا وأجد هذا الشئ بجوارى لماذا؟

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ كيف وصلوا إلى هذا المقام؟ يتحرى المطعم الحلال فلا يزال أحدهم يترقى فى هذا الأمر حتى يعطيه الله كشافاً فى يده فعندما تمتد يده إلى حرام يضئ الكشاف الضوء الأحمر فيعرف أن هذا الطعام فيه شبهة، ومن هؤلاء الرجال الأفذاذ الحارث المحاسبى ﷺ، لماذا سموه بالمحاسبى؟ لأنه كان يحاسب نفسه على الحلال وعندما تمتد يده إلى طعام فيه شبهة يضرب فى يده عرق ويظل يضرب فيعرف أن هذا الطعام فيه شبهة فيمتنع عن أكله، وكذلك لما أراد رجل أن يختبر سيدى أبى العباس المرسى ﷺ وهو من القوم الذين قال فيهم الله:

﴿ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ [١٢٢ الأنعام]

فدعاه إلى طعام وأتى بدجاجة فخنقها وسواها ووضعها أمامه ونظر إليه ليرى ما يفعل، فإذا به ﷺ ينتفض ويقوم وهو يقول إذا كان الحارث المحاسبى له عرق ينفض فأنا كلى عروق تنفض.

وأيضاً هذا الرجل الصالح الذى دعاه السلطان هو وإخوانه وأمر الطهاة أن يخلطوا اللحم فيجعلوا اللحم الحلال مع اللحم الذى ذبح على الطريقة الغير شرعية ومدت الموائد وجلس الجند وجلس الصوفية، فقام الشيخ وقال لمريديه لا أحد يأكل منكم اليوم حتى أكون أنا الذى أناوله فأخذ يلتقط اللحم المذبوح على الحلال ويعطيه لمريديه ويترك اللحم الخبيث للجند الذين أجلسهم السلطان يأكلون معهم، فسألوه كيف عرفت هذا من ذاك ولا فرق ظاهر بينهم؟ فقال كنت أشم للحم الذى لم يذبح على الطريقة الشرعية رائحة كريهة كرائحة الجيفة فأعلم أنه لا يصلح لمسلم تناوله، من

أين هذا الحال العالى؟ من الورع الذى يجب أن يكون عليه العبد الصادق، والسالك الصوفى هو الذى يقول الله ﷻ فى شأنه:

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [١٧ الرعد]

وكذلك الذى يريد أن يكون عابداً لله ﷻ أعطاه رسول الله ﷺ برنامجاً صغيراً فى كلمتين اثنتين حيث قال له: ﴿ إِتّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النّاس ﴾ [٦]

فإذا كنت تريد أن تكون أعبد من فى الوجود فابتعد عن الحدود التى حددها لك الملك المعبود ﷻ، فكل الذى أمرك أن تتركه وتتخلى عنه وتبتعد عنه فابتعد ولا تتردد فى ذلك لقوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ [١ الطلاق]

الورع أول مقامات الفناء

فالصديق الأكبر ﷺ كيف وصل إلى هذا الحال؟ بالورع والمطعم الحلال، ولذلك لما دخل منزله ذات يوم وقد اشتد به الجوع والبيت ليس به شئ وكان الخادم معه كعكتين فمن شدة جوعه أكل لقمة بدون سؤال، وكان يسأل قبل ذلك من أين أتيت به؟ وبعد الأكل سأل الخادم: من أين أتيت بهاتين الكعكتين؟ فقال الخادم: دعانى النفر الذين كنت عندهم فى الجاهلية لوليمة عرس وقد طلبوا منى أن أتكهن لهم فأجبتهم فأعطونى ما تيسر فأكلت منه حتى شبعت وبقيت هاتين، فحاول الصديق إنزال ما دخل إلى جوفه فلم يتمكن فأخذ يشرب الماء ليتمكن من إخراجه، فلما وجد ما حوله معاناته قالوا له: إن الله لم يكلفك بهذا، فقال ﷺ: **والله لو لم تخرج إلا مع نفَسى الأخير لأخرجتها**، لماذا؟ لأن لقمة الحرام يشعر بتأثيرها العبد المؤمن التقى.

وأيضاً لقمة الحلال يجد أثرها ونورها، فلقمة الحلال لها نور يشعر به الإنسان عندما يأكلها فيزيد نوره ويشعر وكأنه خارج من حلقة ذكر عظيمة مع الله ﷻ، أما لقمة الحرام فتترك ظلمة فى القلب فى الحال، والرجل المؤمن الذى يريد أن يصل إلى مقامات

---

٦ جامع المسانيد والمراسيل عن أبي هريرة

المقربين يوقد نار الجهاد ويكثر من ذكر الله ﷻ ليجلى القلب ويطهره من أجل أن يتنزل نور الله ﷻ فيه، فإذا كان يقوم بالجلاء من هنا وتأتى الظلمة من هنا لم يكن صنع شيئاً لأنه ليس عنده وقت، فالوقت عندهم كما قال الإمام الشافعى ﷺ عندما صحب الصوفية: { **صحبت الصوفية سنتين فاستفدت منهم كلمتين أما الأولى فالوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك وأما الثانية فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل** }

وهكذا فحتى أئمة الشريعة كانوا يدخلون مدارس الصوفية ليتعلموا منهم هذه الحكمة الإلهية فى السلوك إلى حضرة المعبود عزَّ وجلَّ فلقمة الحرام لها ظلمة تطفئ النور والإنسان المؤمن يريد المزيد من نور الله ﷻ، ويرغب أن يستكثر من نور الله ﷻ، فلا يريد أن يطفئ عليه نور ورعه أبداً أو يطفئ نور الصدق الموجود فى قلبه أو يطفئ نور التقى والإيمان.

ونور الإيمان الموجود فى قلوبنا ليس هيناً لكنه كبير وكثير وقد قال فيه سيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ: { **لو كشف عن نور المؤمن العاصى لملأ ما بين السماء والأرض فما بالك بالمؤمن المطيع** }

إذاً فما جلية الأمر؟

تأتى الظلمات والشبهات والشهوات تغطى على النور، لكن النور فى قاع القلب مستكن وثابت لأنه من فضل الله ﷻ على هذه الأمة أن الله لم يسلط الشيطان على القلوب ولو سلطه على القلوب لضعنا جميعاً، فأين وسوسة الشيطان إذن؟

﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [٥ الناس]

فهو يوسوس فى الصدور فقط لكن لا يستطيع أن يدخل إلى القلب وإلا فكهرباء النور الإلهى تحرقه ونور لا إله إلا الله الموجود فى قلوب الموحدين يصعقه ولذا فلا يستطيع الدخول إلى هذا المكان أبداً فقاعدته فى الصدر، ونحن لماذا نذكر الله؟ لأنه عندما تشتد الأنوار تخرج منها شهب وشواظ من نار تحرق الشيطان فيفر وفى ذلك

يقول ﷺ: { الشيطان يجثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس (توارى) وإذا غفل وسوس } (٧)

جهاد النفس الأمارة بسلطان الشريعة

فالورع والبعد عن المعاصى بالكلية هما بداية الفناء عن الشهوات والحظوظ الدنيوية، ومن الذى يحض على هذه الأمور ويحث عليها؟ النفس الأمارة التى أمرنا الله أن نقضى عليها وقال لمن يريدون التوبة ممن قبلنا: ﴿ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [٥٤ البقرة]

أى لابد أن تقتلوا هذه النفس الأمارة وبعد ذلك تتوبوا فيتوب الله عليكم، وبماذا نقتلها؟ بسيف الشريعة!

تمسك بالشريعة ونجعل لها السلطان على الجوارح فيكون لها السلطان على العين وعلى الأذن وعلى اللسان وعلى اليدين وعلى الرجلين وعلى الفرج وعلى البطن وتكون الشريعة هى السلطان على كل مملكتى.

فأنت مملكة كبيرة عند الله ﷻ وإن كنت لا تدرى بحقيقتك، لكن الله ﷻ سخر لك ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً لماذا؟ لأن لك شأن كبير جداً عنده ﷻ:

كل ما فى الوجود سخر فضلاً ... لذاتك وأنت للرحمن

فإذا أردت أن تعرف قيمتك فانظر إلى كل هذا فهو لك، وأنت لمن؟ لله ﷻ لأنه لا يوجد شئ منها يحتاجه الله ﷻ، فهو غير محتاج للشمس ولا للقمر ولا للبحار ولا الأنهار ولا الأرض ولا الجبال لكن الذى يحتاجها أنت، ولذا فقد سخرها لك، وأنت لمن؟ أنت عروس الحضرة لأنك مطلوب لرب العالمين ﷻ، اختارك الله ليسكنك جنته ولينيلك رحيق شهادته وليمتعك بالنظر إلى وجهه الكريم حتى تكون كما قال ﷻ:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ [القيامة]

(٧) رواه ابن أبى الدنيا ، وابن شاهين ، والبيهقى عن أنس

التمسك بالشريعة برهان صدق الحقيقة

فأمسك سلطان الشريعة وعصا الشريعة وسيف الشريعة في كل أنفاسك فلا تتحرك حركة ولا تسكن سكنه إلا بعد أن تستإذن أولاً الشريعة:

أعمل أولاً أعمل فإذا صرحت الشريعة فأعمل وأنا مطمئن القلب أما إذا لم تصرح الشريعة فأترك العمل فوراً حتى ولو كان عن كشف لأنه إذا خالف كشفك القرآن والسنة فاضرب به عرض الحائط وقل لنفسك إن الله ﷻ ضمن لى العصمة فى القرآن والسنة ولم يضمنها لى فى الكشف.

فهذا سيدى عبدالقادر الجيلانى ﷺ وأرضاه كان جالساً فى خلوته فرأى نوراً من السماء إلى الأرض وسمع قائلاً يقول من وسط هذا النور: عبدى عبد القادر، قال: لبيك سيدى، قال: إنى قد أبحت لك المحرمات، قال: اخسأ ياملعون، فوجد النور وقد تحول إلى دخان وسمعه وهو يقول نجوت منى يا عبدالقادر بعلمك وفقهك، كيف عرفتنى؟ فقال: إن الله لم يحرم شيئاً على لسان نبى ثم يبيحه لولى.

فالتحليل والتحريم انتهى وليس هناك من يحلل أو يحرم بعد رسول الله ﷺ ، فقال الشيطان له: يا عبد القادر لقد أخرجت بهذه الطريقة قبلك سبعين رجلاً من العارفين ... فعندما يقول له: أبحت لك المحرمات يقول: ربنا أباح لى هذه الأشياء وأعطانى تصريحاً بفعلها، وهذا التصريح هل أخذه سيد الأولين والآخرين؟ كلا، إذاً كيف أدعى هذا؟

فلابد من سيف الشريعة لمن أراد أنوار الحقيقة.

ولذلك فقد ورد أن سيدى أبا اليزيد البسطامى ﷺ وأرضاه سمع أن رجلاً فى بلدة قريبة منه موسوماً بالصلاح فأخذ أحد تلامذته وقال له تعالى نزور هذا الرجل الذى اشتهر بالصلاح، فذهبا إلى البلدة وبالسؤال عنه علما أنه يؤم الناس بالصلاة فى مسجد البلدة وأنه يجلس عادة فى مصلى الإمام، فذهبا إلى المسجد فلم يجداه لأنهما كانا فى غير وقت الصلاة، ولما عاينا مكان جلوسه وجدا فى اتجاه القبلة نخامة (وهى التى يرجعها

الأنف إلى الفم لتخرج عن طريقه) فقال أبو اليزيد ﷺ لرفيقه: هيا بنا فلا حاجة بنا إلى مقابلته، فتعجب رفيقه وقال: ولم؟ فقال ﷺ: إذا كان هذا غير مأمون على حكم من أحكام الشريعة فكيف يأتمنه الله على أسرار أوليائه؟ والرسول ﷺ يقول: ﴿ **الله في قبلة المصلي** ﴾ (٨) ورفض أن يقابله، لماذا؟ لأن العصمة فى اتباع الشريعة والأمان فى التمسك بالشريعة.

على الجمر قف إن أوقفتك تواضعاً يكن لك برداً بل سلاماً برحمة

فلو أن الشريعة طالبتك بالوقوف على الجمر فقف وسيحوله الله ﷻ إلى برد وسلام كما صنع مع سيدنا إبراهيم عليه السلام، لماذا؟ ببركة اتباع الشريعة، ومن أجل هذا يقول أحد الصالحين: { **حافظ على السنة ولو بشرت بالجنة** } أى حتى لو جاءتك فى منامك بشريات الجنة، فالرجل الذى نتكلم عنه هنا وهو الصديق الأعظم ﷺ يقول:

{ لا آمن مكر الله ﷻ ولو كانت إحدى قدمى فى الجنة }

فأنا مادام لى نفس باق فى هذه الحياة فلا أعرف ماذا قدر لى فى هذا النفس؟ ولا عصمة إلا فى اتباع شريعة الله ﷻ، ولذلك قال الشيخ محى الدين بن عربى ﷺ:

لا تقتدى بمن زالت شريعته ولو جاك بالأنبا عن الله

فحتى لو أخبرك بالأخبار اليقينية عن حضرة الله فلا تقتدى به، لماذا؟ لأنه ليس إماماً يقتدى به، وإن كان هذا لا يستوجب الإعتراض عليه لأنه ربما له حال من الوله جعل عقله فى غيبة والله ﷻ إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب، فهو فى هذا المقام ليس قدوة لكنه إذا رجع إلى حال الصحو اقتدى به، أما إذا كان فى حال الغيبة ومن المجاذيب أهل الجذب فمثل هؤلاء لا أعترض عليهم ولا أقتدى بهم لأن أحدهم فى هذا الأمر مغلوب على حاله ومغلوب على أمره وهو ليس إماماً للمتقين فى هذا الأمر، أما إمام المتقين الذي نتبعه ونتعلم منه ونتأسى به فهو المقتدى بسيد الأولين والآخرين ﷺ.

(٨) رواه العقيلى فى الضعفاء عن أبى هريرة ﷺ

حال أهل الفناء

فسيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه كان من أهل الفناء لم؟ لأنه لم يعد له حظ ولا شهوة ولا غرض إلا رضا الله وطاعة الله، فلا تشتهى نفسه هذه اللقمة أو هذا الطعام أو هذا الشراب بل يأكل ما وجد ويشكر الواحد الأحد الفرد الصمد، ويعتقد أن الذى يناوله الطعام هو الملك العلام ﷻ، وأصبح فيما بينه وبين الناس كالأموات، فالميت الذى فى المقابر هل يغتاب أحداً من المسلمين؟! أو يسب أحداً من الموحدين؟! أو ينال بسوء واحداً من المسلمين؟! أو يبدر منه شر لإخوانه المؤمنين؟! كلا.

أيضاً هذا الرجل الذى وصل إلى مقام الفناء يقول فيه سيدنا على ﷺ:

{ أنفسهم عفيفة وحاجاتهم خفيفة، الناس منهم فى راحة وأنفسهم منهم فى عناء، شرورهم مأمونة وأنوارهم مصونة وعلومهم مكنونة }

لا يخرج منهم شر لفرد من أفراد المسلمين لا من لسانه ولا من عينه ولا من يده ولا من رجله، ومن أجل هذا وهو فى مرحلة التهذيب وقد كان يتابعه الأستاذ الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ليربيه ويصفيه عندما جاء فى يوم من الأيام وأحضر متاعه ومتاع رسول الله ﷺ وحملهما على جمل واحد وهم ذاهبون فى عام صلح الحديبية، وأعطى الجمل لولد من الذين عنده فأضاع الولد الجمل، فقال له: جمل واحد ويضيع منك فماذا كنت تفعل لو كان معك عشرون جملاً؟! ونزل عليه ضرباً وأخذ يسبه، ماذا قال له المربى الأعظم صلوات الله وسلامه عليه:

{ يا أبا بكر أصديقين ولعانين؟ لا يكون ذلك أبداً } [٩]

أى أنت تريد مقام الصديقية إذاً لا تشتم أبداً، فاللسان قطع عن الكلام إلا مع حضرة الله.

وفى الوقعة الثانية: جاء رجل وظل يشتم فيه ويقبح فيه فى مجلس ويعلى صوته

٩ رواه بن أبى الدنيا فى الصمت عن عائشة رضى الله عنها.

عليه وهو ساكت ولما أكثر من ذلك رد عليه رداً بسيطاً جداً فقام رسول الله ﷺ وترك المجلس، فقام خلفه وقال يا رسول الله إنه هو الذى يقول ويعيب فقال ﷺ:

{ نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ ذَهَبَ المَلَكُ وَقَعَدَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَجْلِسَ إِذَنْ مَعَ الشَّيْطَانِ }.[10]

فانظر إلى هذا الأدب العالى، يقول له لا تدافع عن نفسك أبداً فالذى يؤذيك والذى يسبك لا تدافع عن نفسك، ومن الذى يدافع؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الحج ٣٨)

أيوجد أحد منا يستطيع أن يدافع عن نفسه مثلما يدافع عنه حضرة الله ﷻ؟

لا! .. لأن القوى المتين هو الذى سيرد كيد الظالمين والمعتدين.

فهؤلاء القوم أهل الفناء لم يعد لهم شهوات أو حظوظ أو ملذات إلا فى طاعة الله ﷻ وحب الله وحب رسول الله والإقبال على حضرة الله ﷻ، حتى أنه كما تعلمون أحضر كل ما يملك إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ:

{ وماذا أبقيت لأهلك؟ فقال أبقيت لهم الله ورسوله }[11].

بعض الناس يظن أنه فى هذا المقام لم يترك شيئاً لمَّا قال: (أبقيت لهم الله ورسوله) ولم يلحظ أنه هنا فى مقام كمل المتوكلين، والمتوكلون يقول فيهم الله:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [٣ الطلاق]

وحسبه يعنى كافيه، فيكفيه هم الرزق ويكفيه مشاغل الدنيا ويكفيه كل المتطلبات وكل المصالح مادام متوكلاً على الله ... فلم يحضر الأموال لرسول الله ﷺ ويترك عياله ضياعاً، ولذا لا يجب على أن أعمل هذا الأمر فى الدنيا إلا إذا وصلت إلى هذا المقام،

١٠ رواه أبو داود هكذا مرسلاً عن ابن المسيب.
١١ متفق عليه

لكن إذا كنت لم أصل إلى هذا المقام فإننى أضحك على نفسى وعلى عيالى وقد أجعلهم شحاذين ومتسولين فى البلاد لأننى دخلت فى مقام لست مؤهلاً له.

فهذا مقام الصديق الأعظم ﷺ وأرضاه، وقد بلغ به الأمر أنه كان يفدى حبيبه بنفسه، فقد طلب منه فى الهجرة الشريفة أن ينتظر حتى يستكشف الغار وإذا بالحية تلدغه وهو فى الغار والرسول نائم على فخذه، وماذا لو أيقظه؟! لكنه الحب حب الصديق كيف يوقظ رسول الله؟! مع أنه سيموت! ولكنه يفضل أن يموت ولا يوقظ حبيبه ﷺ، هذا الحب الذى يعبر عنه متمثلاً قول القائل:

أحبك حباً لو يفاض يسيره على ... الناس مات الناس من شدة الحب
وما أنا موف بالذى أنت أهله ... لأنك فى أعلى المراتب من قلبى

فلما أصبح هذا الرجل وأهله وماله وعياله وكله لله أصبح متحققاً بقول الله ﷻ وهذه آية أهل الفناء :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [١٦٢ – ١٦٣ الأنعام]،

وإن كنا نقول وأنا من المسلمين أدباً لأن أول المسلمين سيدنا إبراهيم ونحن خلفه فى الصف.

مقام رفع التكليف

وفى مقام الفناء هذا يوجد مأخذ يأخذه أناس كثيرون على الصوفية تعليقاً على قول بعضهم: (**إنى رفع عنى التكليف**) وسنوضح هذا الأمر فيما يلى:

هل يوجد أحد يرفع عنه التكليف؟ ... نعم !

وماذا يقصد الصوفية برفع التكليف؟

يعنون بذلك رفع المشقة والتعب والعناء عن العبد فى أداء العبادات والتقرب

بالنوافل والقربات فيصير يتلذذ بالعبادة ولا يشعر بثقل فى أدائها ولا يحس بملل ولا فتور عند القيام بها لما يجده من حلاوة القرب فيها مع الله ﷻ.

ومن يستطيع أن يصلى فى ليلة ألف ركعة إن لم يكن قلبه مملوء وجداً وحباً لله ﷻ؟ لأن الناس فى شهر رمضان يصلون القيام ثمانى ركعات ويخرجون مسرعين فكيف يصلى هذا ألف ركعة فى الليل؟! لابد أنه يوجد فى قلبه محبة ولذة، وهذه اللذة هى التى ضيعت التعب والعناء والمشقة فى أداء الصلاة، فهذا هو الذى رفع التكليف وليس رفعها بأن يترك الشرع، ولو كان أحد رفع التكليف عنه لقربه من الله لكان أولى بذلك سيدنا رسول الله ﷺ لكنه كان أحرص الناس على أداء الصلاة فى وقتها، وكذلك الصوفية المحققون أجمعون، فمن يفعل هذا الأمر ويترك الأوامر الشرعية بحجة أنه رفع عنه التكليف فهو من الأدعياء الدخلاء على الصوفية.

فهذا الرجل الذى تاب الله عليه وصار رجلاً من رجالات القوم وهو الشبلى ﷺ والذى بلغ من شدة حبه لله أنهم وصفوه بالجنون ووضعوه في البيمارستان وقالوا عنه أنه أصيب بخلل فى عقله، وهو فى البيمارستان كان يفعل أحوالاً غريبة فقد ذهب إليه جماعة من إخوانه يزورونه فأبلغه الحرس وقالوا له أحبابك أتوا لزيارتك فقال أين هم؟ فأشاروا إليه نحوهم فأمسك بالحجارة وأخذ يقذفهم بها ففروا مسرعين فخاطبهم قائلاً: كيف تدعون محبتى ولا تصبرون على بلائى؟ ثم وضح لهم حقيقة الأمر وقال: هكذا محبة الله، كيف تدَّعون محبة الله ولا تصبرون على بلائه؟! فهو يريد أن يعرفهم أن الذى يدعى محبة الله لابد أن يصبر على قضاء الله وأمر الله ﷻ ولا يشتكى لأحد، هذا الرجل لما حضرت وفاته وكف لسانه عن الكلام أشار إليهم أن يوضئوه فنسى الذى يوضئه تخليل لحيته فأمسك بيده ووضعها على لحيته ليذكره بتخليل اللحية فتعجب الحاضرون وقالوا حتى فى هذه الساعة لا ينسى سنة من سنن الوضوء.

وهكذا فالصوفية الصادقون لا يتركون الشريعة ولا يتخلون عن السنة طرفة عين حتى يفارقون الحياة الدنيا، وهم أكمل الناس قياماً بالشريعة ولذلك جعلهم الله ﷻ أئمة أهل الحقيقة.

القرآن روح حياة العارفين

لماذا أنزل الله القرآن

الذكرى والتذكر فى القرآن

الإمام على إمام بيان القرآن

عبر القرآن

الرسول والقرآن

فائدة الموعظة

شفاء القرآن للصدور

مرضا الشك والشرك أمراض النفاق

شفاء المؤمنين

نور القرآن

حاجة المسلم للقرآن

﴿ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا
فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى
وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

[٥٧يونس]

القرآن روح حياة العارفين

﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٥٧يونس]

لماذا أنزل الله القرآن؟

لأسباب كثيرة وحكم غزيرة لا نستطيع أن نلم بها أو نحيط بها فى هذا الإيجاز السريع ولكن حسبنا ما ذكره ربنا فى تلك الآية: { قَدْ جَاءتْكُم } ...

- أولاً { مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ }
- ثانياً { وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ }
- ثالثاً { وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }

إذاً كم وظيفة هنا للقرآن؟ ثلاثة

الوظيفة الأولى:

أنه موعظة وإذا كانت الموعظة من الله فهى الموعظة البليغة التى لا شك فيها ولا مرية فيها ولا يستطيع أحد أن يعترض عليها أو ينتقدها لأنها من العزيز الحكيم ﷻ.

والوظيفة الثانية:

أن هذا القرآن هو الشفاء وهو الصيدلية الإلهية التى فيها كل الأشفية وكل الأدوية لأمراض الصدور، ولست أعنى بأمراض الصدور ما نعرفه مما يصيب الصدر الحسى كالسل الرئوى أو الإلتهاب السحائى أو غيره، وإنما أمراض الصدر هى الأمراض التى تبعد أصحابها عن طريق النور والأمراض التى تحجب المرضى بها عن العمل بما أنزل

الله ﷻ، وهذه أمراض موجودة فى كل زمان ومكان [1]

فالإنسان الذى لا يحب سماع القرآن ما السبب فى ذلك؟ لأنه مريض، وما مرضه؟ مرض فى صدره، والإنسان الذى يفر من مجالس العلم كالصورة التى صورها العزيز الحكيم في قوله:

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [٥٠-٥١ المدثر]

مثل الحمار الوحشى الذى يفر من أمام الأسد حتى لا يأكله، لماذا؟ لمرض فى صدره، والإنسان الذى لا يستطيع أن يقوم لصلاة الفجر فى وقتها لماذا؟ لأنه يوجد مرض فى صدره، والإنسان الذى لا يستطيع أن ينفذ أى جزئية ولو قليلة من شرع الله ﷻ إنما لمرض فى صدره.

والدواء والشفاء فى كتاب الله ﷻ ولو أخذ الدواء لتم الشفاء، ولابد من الشفاء لأن الدواء من الله وهو الذى يعرف الداء وجعل من أجله هذا الدواء ليصبح القلب كما قال الله:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [٨٩ الشعراء]

فإن صاحب هذا القلب لا يتخلف عن طاعة الله فى نفس من أنفاسه:

بل يريد أن يكون دائماً وأبداً مع مولاه إما بلسانه يذكره أو يستغفره أو يشكره أو يسبحه أو يتلو كتابه، وإما بسمعه يسمع العلماء أو يستمع إلى الحكماء أو يستمع حتى إلى تلاوة القرآن من المذياع أو غيره، وإما بعينه ينظر فى الآفاق ليرى بدائع قدرة البديع الخلاق ﷻ:

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١٠١يونس]

[1] كان هذا الدرس ببلدة أبو قرقاص محافظة المنيا بالمسجد الكبير يوم الجمعة ١٩٩١/١٢/١٢ عقب صلاة المغرب

المهم أن يكون دائماً وأبداً فى طاعة مولاه ﷻ لأن القلب السليم لا يحب أن يلتفت نفساً عن القادر البر الرحيم ﷻ.

والوظيفة الثالثة:

{ وهدى ورحمة للمؤمنين } ونفسر هذه الحكم على قدرنا لا على قدر كلام ربنا ﷻ، فإن الكل يتكلم فى كتاب الله، والمفسرون من أول رسول الله ﷺ إلى عصرنا وإلى نهاية الحياة الكل يقول والكل يُنول والكل يفسر والكل يوضح والكل يشرح ومع ذلك يقول فقد ورد فى الأثر:

{ يأتى القرآن يوم القيامة بكراً لم يفضض بكارته أحد }[٢]

يعنى لم يستطع أحد أن يصل إلى المعنى الأصلى الذى من أجله صاغ الله هذه الكلمات والعبارات لأن كلام الله لانهاية لمعناه ولا يستطيع أحد أن يحيط ببعض معناه إلا إذا أفاض الله ﷻ عليه علماً لدنياً.

الذكرى والتذكر فى القرآن

فالقرآن كتاب موعظة ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ لأنه لا يوجد كتاب يا إخوانى ذكر الإنسان ببدايته ونهايته والهدف من وجوده فى هذا الكون إلا كتاب الله ﷻ فيعرفه ما هى بدايته؟ وما هى نهايته؟ وبالذى جاء هنا من أجله حتى يسارع الإنسان إلى الرحمن ﷻ.

إذا عرف بدايته كما وضحها الله ﷻ فى كلامه، وعرف نهايته كما بينها الله ﷻ فى قرآنه، وعرف لماذا خلقه الله ﷻ فى هذه الحياة؟ سيفهم المغزى الكبير والمعنى الكبير الذى من أجله جاء هذا الكتاب من العلى الكبير حتى يوقظه من نومة الغفلة وحتى يوقظه من رقدة الجهالة وحتى يذكره بما قدره المولى ﷻ له فى الأزل.

[٢] رواه ابن حيان

فإذا عرف الإنسان علم البدء وعلم المعاد والحكمة من خلق الإنسان لا يستطيع شيطان أن يستولى عليه ولا يستطيع شئ من زهرات الحياة الدنيا أن يلهيه لأنه عرف الحقيقة الغائبة التى لا توجد إلا فى كتاب الله ﷻ.

من الذى يستطيع أن يتكلم عن علم البدء؟ لم يره أحد ولم يعرفه أحد ولا يستطيع أحد أن يتكلم عنه إلا من القرآن وبالقرآن.

من الذى يستطيع أن يتكلم كما سمعنا عن الواقعة؟

وكيف سيحيى الله الإنسان بعد موته؟

وكيف يحاسبه؟

وكيف يمر على الصراط؟

من الذى يستطيع أن يتكلم إلا من كتاب الله ﷻ؟

من الذى يتكلم عن النعيم الذى أعده الله لعباده الصالحين وعن الجحيم الذى أعده للعصاة والمذنبين؟

إلا الذى قرأ كلمات العزيز الرحيم وتدبرها وفقهها !!، هذا هو الذى يستطيع أن يتكلم عن هذه الأحوال، وهذه غير موجودة إلا فى كتاب الله ﷻ.

وهذا يا إخوانى الذى من أجله أمرنا الله أن نكرر ونتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار لأن هذه الأحداث أين نجدها؟ فالصحف والمجلات تأتى بأحداث اليوم فقط لكنها لا تستطيع أن تأتى بأحداث القرن القادم ولا أحداث الساعة ولا أحداث القيامة، لكن القرآن

{ فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم }

فيه كل هذه الأشياء حتى كان الرجل من الصالحين يذهب إليه المريدون يسألونه عما حدث فى العالم اليوم فيقول انتظروا حتى أقرأ كتاب الله ﷻ فيقرأ كتاب الله وبعدما

ينتهى من التلاوة يقول حدث فى بلدة كذا كذا وحدث في دولة كذا كذا، من أنبأك هذا، يقول:

﴿ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [٣ التحريم]

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [٤٩ الكهف]

حتى قال الإمام على ﷺ وكرم الله وجهه:

{ لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله ﷻ }

فلا يحضر ميكروفون يدور فى الشوارع أو منادياً ينادى أو يبلغ الأمن والشرطة، ماذا يفعل؟ يقرأ كتاب الله فيهتدى إلى المكان الذى سقط فيه هذا الشئ الذى يبحث عنه بهداية الله ﷻ.

الإمام على إمام بيان القرآن

فالقرآن الكريم حياة القلوب ونور النفوس وإمام المتقين والمائدة العظمى التى يتنزل فيها العلم والخير واللطف والقرب من الله لعباده المقربين.

والمقربون إنما قربهم من معانى القرآن التى يكاشفهم بها حضرة الحنان المنان.

والأولياء هم الذين والوا القرآن فعملوا بالأوامر التى طلبها منهم صاحب القرآن ﷻ، والحكماء هم الذين عملوا بخصوص الحكمة القرآنية فأكرمهم الله ﷻ بالعلوم الوهبية التى ادخرها لمن عمل بآيات الذكر الحكيم.

وأهل الخصوصية هم الذين خصوا بالفضل العظيم والكرم العميم الذى ادخره الله لعباده المؤمنين فيما بين آيات كتاب الله.

وأفضل أهل الخصوصية على الإطلاق الإمام على ﷺ وكرم الله وجهه.

وفضله جاء من ماذا؟

من معاملته لله مع كتاب الله حتى بلغ به الأمر أن كان يقول:

{ لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله ﷻ}

وسر خصوصيته ﷺ كشفه لبيان الله بياناً تسجد له العقول وتخضع له القلوب وتنحنى له الجباه لأنه بيان يرتضيه الإنسان صافى القلب طاهر اللب عند سماعه منه ﷺ وأرضاه وكان يقول:

{ لو فسرت فاتحة الكتاب بما أعلم لوقرتم منها سبعين بعيراً }

أى لو فسر الفاتحة بما فتح الله عليه والكتبة يكتبون كم من المقدار يكتبون؟ يكتبون ما يحمل سبعين جملاً من الكتب فى تفسير فاتحة الكتاب، هذا هو كتاب الله وهذا هو إمام الصوفية مع كتاب الله ﷻ.

فالقرآن فيه الموعظة البليغة، والمواعظ كثيرة، فيه موعظة من علم البدء بداية الإنسان سواء بدايته النورانية أو بدايته الطينية لأنه له بدايتان بداية الأرواح وبداية الأجسام، أو علم الميعاد بتفصيلاته سواء علم الموت ...

ومن لم يجد واعظاً فالموت يكفيه ... فقد قال ﷺ:

{ كفى بالموت واعظاً }[٣]

فلم يستطيع أحد أبداً أن يشخص الموت لا من العلماء ولا من الأطباء كما شخصه كتاب السماء الذى أنزله الله على سيد الأنبياء ﷺ أو الحياة الأخرى حياة البرزخ التى سيعيش فيها الإنسان ليوم الدين، أين تفصيلاتها؟

فى كتاب الله فقط، أو الحياة الآخرة من البعث والحساب والنشور إلى الخلود فى جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفك عذابها ... هذه مواعظ.

٣ رواه الطبرانى والبيهقى والقضاعى والعسكرى عن عمار بن ياسر ﷺ

عبر القرآن

توجد مواعظ أخرى وهى عِبَر من الذى حدث للأمم السابقة، كالذى حدث لأمة نوح والذى حدث لأمة هود والذى حدث لأمة صالح والذى حدث لأمة شعيب والذى حدث لأمة لوط والذى حدث لأمة موسى، لماذا ذكرها ربنا؟

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [١١١ يوسف]

عبرة لنا حتى نعتبر، لا لنقرأها على أنها قصص فقط، حتى القصة التى يحب القراء قراءتها لنا قصة سيدنا يوسف عليه السلام، يحبون دائما قراءتها والإطالة فيها، وهى فيها عبر لو كشف عنها الغطاء لظل الإنسان من وقته إلى أن يلقى الله ساجداً لله ﷻ على ما أعطاه، ففيها عبر كثيرة جداً، وهذه مواعظ موجودة فى كتاب الله ﷻ المفروض أن نقرأها.

الرسول والقرآن

فالرسول ﷺ وهو الذى أنزل عليه الكتاب والذى اتعظ وانزجر وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، عندما قرأ سورة واحدة من هذه المواعظ وليس القرآن كله وقرأ بعدها عدة سور قصار قال: { شيبتنى هود وأخواتها }[٤]

كيف شيبته؟ كان شعره شديد السواد وعندما قرأ سورة هود وأخواتها وهى تبارك الملك، وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وهن اللائى يقول فيهن رسول الله ﷺ:{ من أراد أن يرى القيامة رأى العين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت}[٥]

فالذى يرغب أن يرى فيلم القيامة أمام عينه دائماً فى الفيديو يقرأ هاتين السورتين

---

٤ : ابن مردويه عن أبى بكر

٥ أحمد والترمذى وحسنه والطبرانى والحاكم وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر

إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت لأن فيهما مشاهد القيامة بالضبط وبالتفصيل.، فلما قرأ هذه السور شاب شعر رأسه وأحصوا له سبع عشرة شعرة بيضاء فى مقدمة رأسه من الخوف من الله ﷻ ومن الخشية من الله ﷻ ومن الرهبة من مقام الله ﷻ لما قرأ هذه السور العظيمة، لماذا؟

السورة الأولى: سورة هود تتكلم وتحكى عن الأنبياء السابقين وكل ما ينتهى جماعة يأتى التقرير من رب العالمين:

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [٦٠ هود]

لحظة ما يسمع ذكر البعد يشيب الشعر:

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [٦٨ هود]

أيضاً يسمع ذكر البعد يشيب الشعر، فى النهاية قال له: لا تكن مثل هؤلاء القوم، قال ماذا أفعل؟ قال:

﴿ فَٱسْتَقِم كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [١١٢ هود]

أى سر مستقيماً، وإذا كان يقول لرسول الله سر مستقيماً فنحن أين نذهب؟ رسول الله بذاته الذى لم يتحول ولم يتغير عن الله طرفة عين يقول له: { استقم } أنا وحدي؟ قال: لا، ﴿ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ أوصهم بالإستقامة، معناها أنهم إن لم يستقيموا فقد رأيت ما حدث للأقوام الذين قبلهم من البعد.

فلما يقرأ هذه القصص ينتبه لهذه المواعظ الغالية ويعلمنا كيف ننتبه إليها حتى لا نقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة:

خوف بعدى فى القرب نار جحيمى شيب الرأس سره أعيانى

وإذا كان المؤمن مع الله ويسمع ما حدث لعباد الله الذين أبعدهم الله فيخاف، لماذا؟ لأن الله:

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [٢٣ الأنبياء]

فائدة الموعظة

هذه هى الموعظة، فالموعظة فائدتها تجعل الإنسان يخاف من الله ويراقب الله ويخشاه وينتهى عن المعاصى التى حرمها الله ويقبل على الصالحات التى فرضها الله ﷻ، هذه هى فائدة الموعظة.

لكنني أقرأ فى الكتاب كل يوم وكل وقت وكل حين ولا يوجد مانع بعد قراءة الكتاب أن أنصب على إنسان أو أغشه وهذا لا ينفع لأن الكتاب قراءته تورث الخشية من الله ﷻ، هذه هى القراءة التى فيها الموعظة، هذه موعظة علمها لنا رسول الله نتعظ بها إذا قرأنا كتاب الله وقرأنا ما حدث للأمم السابقة مع أنبياء الله ورسل الله عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

وما القسم الثانى الذى شيب رسول الله؟ ذكر القيامة التى قال فيها:

{ من أراد أن يرى القيامة رأى العين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت}

فلما يتذكر الإنسان القيامة ويتذكر يوم الحساب و أن كل شئ فعله فى دنياه بلسانه أو بيده أو بعينه أو بأذنه أو برجله سيحاسبه الله عليه يوم الدين هنا سيحدث عنده خوف من الله ﷻ وخشية من الله ﷻ.

هذه بعض أنواع المواعظ التى كشفها لنا ربنا ﷻ فى كتابه العزيز، إذاً نحن نستفيد أننا عندما نقرأ القرآن وحتى نتعظ بالقرآن نقرأ قصص السابقين ونرى ماذا حدث لهم، ونرى ما يستوجب غضب الله ﷻ عليهم فنبتعد عنه.

لم غضب ربنا على قوم لوط؟

لفعلهم اللواط فنبتعد عن اللواط، لماذا غضب الله على قوم شعيب؟ لأنهم كانوا

لا يوفون الكيل ولا الميزان فنوفى نحن الكيل والميزان، لماذا غضب الله على قوم موسى؟ لأنهم كانوا يحبون الدنيا ويؤثرونها على حب المولى ﷻ، ومن أجل هذا يريدون أن يسير الدين على هواهم ولا يسيرون على نهج الدين، أهم شئ عندهم الدنيا فيجدون جماعة يعبدون أصناماً فيقولون:

﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٌ ﴾ [١٣٨ الأعراف]

يكرمهم ربنا ويؤكلهم ويشربهم ويجعلهم مثل الذى فى الجنة، سائرون والسحاب يظلهم من حرارة الشمس والأكل ينزل لهم مشوياً جاهزاً، لحم السمان مشوياً جاهزاً ومعه صنف من الحلوى كأصناف الحلوى التى بالجنة ومعهم دائماً الماء كلما عطشوا اثنا عشر صنبوراً لاثنى عشر عائلة كل عائلة تشرب حتى ترتوى إلى ما شاء الله ومع هذا لم يرضوا عن الله ﷻ ويقولون نريد أن نذهب إلى مصر لنأكل عدساً وبصلاً وثوماً وهذا طعام أرضى، لأنهم آثروا الدنيا على تعاليم الله وعلى أحكام الله فنزل عليهم غضب الله ﷻ، وكلما أرسل الله إليهم من يعظهم يكذبوه وأحياناً يلعنوه وأحياناً يقتلوه ماذا تريدون؟

﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [٧٩ الأعراف]

فلا نقع نحن فى هذا الخطأ.

فالإنسان حينما يقرأ قصص الأنبياء يقرأها ليتعظ ويعتبر ويرى الأخطاء التى وقع فيها قومهم فيجنب نفسه هذه الأخطاء فلا يتعرض للعقوبات التى أصدرها عليهم الله ﷻ وجعلها قواعد ثابتة إلى يوم الدين، ولما يقرأ آيات القيامة يتخيل ويستحضر منظر القيامة ويعيش فيها ويتذكر أنه سيسافر من هنا إن آجلاً أو عاجلاً وعندما يسافر سيدخل إلى مسرح القيامة فوراً، فالبوابة التى هي البرزخ يمكث فيها إلى ما شاء الله إلى أن يتحول إلى أرض المحشر إن شاء الله ويستحضر ما الذي فيها؟ وما شكلها؟ فلما يستحضر هذه الأشياء يخشى الله ﷻ ... هذه يا إخوانى الموعظة التى جاءت لنا فى كتاب الله ﷻ.

شفاء القرآن للصدور

ننتقل إلى الناحية الأخرى: ... ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾

القرآن هو الشفاء ولم يقل دواء لأنه لو قال دواء فالدواء من الجائز أن يشفى ومن الجائز أن يزيد المرض !!

فإذا كنت مريضاً وذهبت إلى الطبيب وأعطانى علاجاً أحياناً أشفى وأحياناً يزيد المرض بعد العلاج، لكن هنا الشفاء فوراً وليس له أعراض جانبية ولا آثار جانبية لأن الذى وضع تذكرة الشفاء رب البرية ﷻ، وشفاء لماذا؟ قال: ﴿لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ سواء صدور الكافرين أو صدور المنافقين أو صدور المؤمنين، فكل جماعة لهم أمراض ولهم أعراض تختلف عن الآخرين.

مرضا الشك والشرك

فالكافر ما الذي يمنعه من الإيمان بالله والإقبال على كتاب الله؟ مرض الشرك الذى عنده، فهو مرض، فلو شفى من مرض الشرك الذى عنده يسلم فى الحال، أو مرض الشك، يشك فى وجود الله أو يشك فى يوم القيامة أو يشك فى هؤلاء الأنبياء أو يشك فى كلام الله ﷻ، فالذى يمنعه من الإيمان إما الشرك أو الشك.

ما الذى يعالج هذين المرضين؟ لا يوجد إلا كتاب الله ﷻ، كيف؟ الحجج المنطقية التى فيه، والأدلة العلمية التى فيه لو درسناها كما يحدث الآن من المنصفين من المستشرقين أو الأوربيين وغيرهم، فعندما يدرس أحدهم آيات القرآن ويرى الحجج الدالة على وحدانية الله بدون هوى ويدرسها لمجرد الدراسة يقول هذا الكتاب كتاب الله والله ﷻ ليس فيه ولا عنده شرك لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

إذاً لا يوجد علاج لداء الشرك أو لمرض الشك إلا الاطلاع على آيات الله والتى

تتكلم عن الحجج والأدلة التى يسوقها الله لعباد الله غير المسلمين ليقنعهم بالحجة والبرهان على وحدانية الله ﷻ وعلى وجود الدار الآخرة وعلى وجود الجنة وعلى وجود النار، وهذه حجج كثيرة وأشياء كثيرة لا نستطيع أن نذكرها في هذا المختصر.

والعلم أيضاً تقدم، فكلما تقدم العلم يجدون كل الذى وصلوا إليه وظنوا أنه الغاية موجوداً فى هذا الكتاب الذى نزل منذ أربعة عشر قرناً، واللفظ الذى ذكره الكتاب لا يستطيعون أن يطوروه أو يغيروه أو يحرفوه فهو اللفظ الموافق لأحدث ما وصلت إليه الأجهزة العلمية الحديثة، فهذا دليل على إعجاز هذا الكلام حتى يهتدوا إلى معرفة الملك العلام ﷻ، فلا توجد أدلة تجذبهم إلى الله إلا هذه الأدلة.

فلذلك إخواننا الذين يأتون بالأدلة الفلسفية أو الأدلة العقلانية كل هذا لا ينطلى عليهم، لكن الأدلة القرآنية إذا استخدمها الإنسان بحصافة وبحكمة تهدى الكافر والنافر إلى الله ﷻ لأنه هو أعلم بعباده ويعلم الطريقة التى يخرج بها عبادة من الظلمات إلى النور، وعلمها للرسول وعلمها للعلماء العاملين السائرين على منهج الرسول ﷺ.

أمراض النفاق

والجماعة أهل النفاق الذين لم يرسخ الإيمان فى قلوبهم مؤمنين صحيح باللسان لكن العقيدة غير ثابتة فى القلب والجنان !!

ولذلك تجدهم يتبدلون ويتغيرون فيقولون صحيح نحن مؤمنون لكن القرآن ليس له شأن بالمدارس أو الإقتصاد أو الحياة العملية أو التربية!!

هذا لأن الإيمان لم يرسخ فى قلوبهم والقرآن كما يقولون للتلاوة والعبادة والمساجد فقط!! من قال هذا الكلام؟ إنه كتاب الحياة الأول، ما الذى أتى لهم بهذه الأشياء؟ مرض الهواجس ومرض الوساوس، مرض الهواجس النفسانية، فالنفس لم تستضئ بنور الله فعيشتها كالذى يعيش فى ضباب أو الذى يعيش فى ظلام، فلا ترى نور الله المنبث فى كتاب الله ﷻ، وهذه الهواجس وهى الخواطر التى تمليها النفس على الإنسان فتشككه

فى التعليمات والأوامر التى ينزلها الله ﷻ فتجده يريد أن يعدل على الله، وهو أعلم بمصالح العباد وهو أعلم بقدرات العباد لأنه هو الذى خلقهم وهو الذى يتولى جميع أمورهم، فيحاول أن يحكم عقله فى أحكام الله.

أيضاً مرض الوساوس وربنا يقول فيه: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [٣٦ الزخرف] ، ماذا يفعل لهم الشيطان؟ .. ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [٣٧ الزخرف]

فيتهاون بعض الشئ عن الفرائض التى فرضها الله فيمسكه الشيطان ويلتقم قلبه ويوسوس له، ماذا يا فلان؟ أنا أفضل من الذى يصلى لأنني قلبى نظيف وليس به حقد لأحد والذى يصلى يعمل كذا، فهو يريد أن يأتى له بحجج: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [١١٢ الأنعام] ، حجج ليثبته فى الغى والضلال الذى هو فيه، أو الوساوس الشيطانية التى يمليها عليه شيطانه الذى أمسك بتلابيبه لغفلته عن طاعة الله وعن ذكر الله ﷻ.

ما الذى يعالج هؤلاء المنافقين؟ لا يوجد إلا كتاب الله وإلا كلمات الله وإلا نور الله ﷻ الذي نزل على سيدنا رسول الله ﷺ.

شفاء المؤمنين

والمؤمنون الذين هم مثلنا من أى شئ يشفيهم القرآن؟ من الهم ومن الغم، فإذا كان عنده شئ من الهموم وجلس بين يدى الله واستفتح بكتاب الله أزاح الله عنه الهم والغم فى لحظة سواء كان هذا الهم بسبب ضيق فى الرزق أو بسبب قصور فى الأولاد أو بسبب عدم توفيق فى العمل أو بسبب عدم وفاق مع الجيران أو أى سبب من الأسباب يسبب للمؤمن الهم والغم.

من الذى يزيل هذا الهم وهذا الغم يا إخوانى؟ .. كتاب الله ﷻ !

هو الذى يشفى صدور المؤمنين من كل هذه الأشياء ويجعلهم يعتمدون فى كل أحوالهم وفى كل أعمالهم وفى كل أمورهم على الله ﷻ.

نور القرآن

فالقرآن الكريم أنزله الله ﷻ موعظة من الله ﷻ لنا، وهذه الموعظة تتم إذا قرأنا الآيات التى فيها بعض قصص الأنبياء السابقين مع أممهم ونتدبر أحوالهم فننأى بأنفسنا عن الأعمال التى عملوها والتى استوجبوا بها غضب الله ﷻ حتى لا يحيق بنا ولا ينزل بنا ما نزل بهم، وموعظة بتلاوة الآيات التى تتحدث عن نهاية الإنسان ونهاية الزمان والمكان ولقاء الجميع للحنان المنان يوم يجمع الله الناس ليوم لا ريب فيه، ثم ذكر النعيم الأبدى والعذاب السرمدى الذي جهزه الله ﷻ لمن أطاعه أو عصاه.

ثم هو شفاء لجميع الصدور:

- يشفى صدور الكافرين من الكفر والإلحاد والضلال إلى نور الإيمان وإلى نور التوحيد وإلى نور معرفة الله ﷻ.
- ويشفى صدور المنافقين من هواجسهم النفسانية ووساوسهم الشيطانية التي تجعلهم يفترون على الله ﷻ الكذب ويريدون أن يحرفوا الكلم عن مواضعه ويريدون أن يغيروا ويبدلوا قواعد أحكام دين الله وفق أهوائهم وعقولهم الكاسدة.
- وهذا الكتاب أيضاً يا إخوانى هدى ورحمة للمؤمنين، هداية للمؤمنين ورحمة للمؤمنين، هداية بما فيه من آيات تهدى إلى الصراط المستقيم ورحمة بما فيه من الأعمال والقربات التى تنجى الإنسان من العذاب الأليم، فإذا اتبع الإنسان هدى القرآن فى حياته وفى بيته وفى سيره وفى عمله وفى معاملاته وفى زواجه وفى كل أمر من أمور حياته اهتدى إلى الطريق المستقيم وكان من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وإذا

عمل الإنسان بالأعمال التى أمرنا بها القرآن وما أكثر ما ذكر القرآن من أعمال سواء فى جانب العبادات أو فى جانب المعاملات أو فى جانب الأخلاق الصالحات فإن الله ﷻ بسبب هذه الأعمال ينجيه من العذاب الأليم.

حاجة المسلم للقرآن

إذاً القرآن يجب أن يكون دستور المسلم فى حياته كلها، من قيامه من نومه إلى نومه يجب أن يكون ثابتاً على منوال القرآن، يمشى بالقرآن ويحيا بالقرآن ويأكل بالقرآن ويشرب بالقرآن وينام مع زوجته بالقرآن ويرعى أولاده بالقرآن ويعامل جيرانه وأقاربه بالقرآن ويقول كما قال النبى الكريم الذى ذكره الله فى القرآن:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [١٦٢-١٦٣ الأنعام]

وتأدبا مع هذا النبى نقول: وأنا من المسلمين، فإذا دخلنا فى عداد المسلمين فالحمد لله والفضل لله ﷻ على هذا، فمادام الأمر كذلك فكل واحد يقصر مع القرآن سيتعرض إلى غضب الحى القيوم:

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [٣٠ الفرقان]

نحن لم نهجر تلاوتة، فنحن والحمد الله عندنا الشرائط تشتغل ليل نهار وتوجد إذاعة مخصوصة للقرآن الكريم، والحمد الله المصاحف عندنا ليس لها عد!!

فماذا هجرنا؟ هجرنا العمل به!

القراءة كثير والسماع كثير، ولكن أين العمل بكلام الله ﷻ؟ هذا هو المهم، فنحن محتاجين إلى العمل بكتاب الله، ورسول الله ﷺ قال لاصحابه فى ذات يوم: (أنتم فى زمن قليل خطباءه كثير عماله – فالمتكلمون قليل والذين يعملون كثير – قليل

سائلوه كثير معطوه ، العمل فيه خير من العلم ، وسيأتى على الناس زمان كثير خطباءه قليل فقهاوه ، كثير سائلوه قليل معطوه ، العلم فيه خير من العمل) رواه الطبرانى من حديث حزام بن حكيم عن عمه

فنحن الآن نحتاج للعلم:

وحتى نعمل لا بد أن نتعلم.

والعمل الذى لا يبنى على أساس العلم قد يكون صاحبه يتعبد إلى الله ﷻ على جهل وهو لا يدرى!!

وقد يكون يعمل شيئاً منكراً ومغضباً لله ﷻ وهو لا يدرى!!

فلا بد للعمل من الأساس وهو العلم أولاً.

حتى أننا الآن نريد أن نبنى كل عمل على أساس العلم، فالذى سيبنى بيته نقول له لابد من مهندس يخطط ويرسم وهذا مما ورد فى الأثر عن الإمام الشافعى ﷺ:

(من أرد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم فإنه يحتاج إليه فى كل منهما)

ما هذا العلم الذى لم نعد نسمعه الآن؟

نحن نتصفح الصحف كل يوم، فنقرأ صفحة الأخبار على الماشى وصفحة التليفزيون نحفظها وصفحة الرياضة نجودها وصفحة الأحداث والحوادث نهضمها، أين صفحة كتاب الله؟ أنا أريد صفحة مثل هذه الصفحات كل يوم، أهى كثيرة علينا أن نقرأ صفحة كل يوم؟ إذا لم نقرأه فى الدنيا فمتى نقرأه؟! أنقرأ إذا خرجنا من هنا؟! وماذا نقول لله عندما يقول: ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ وما الحجة التى جهزتها لله حتى تجيب على هذا الكلام؟ هل ستقول: ﴿ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا ﴾ [١١ الفتح]

يقول لك: مالك وهذا الأمر، ولماذا شغلت نفسك بهم؟ فأنا قلت لك أولاً:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾

وليس لك شأن بأمر الرزق:

﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [١٣٢ طه]

تشغل نفسك بأمر الغلاء والوباء وهذا الكلام وليس لك شأن بهذا الأمر!!

فقد ذهبوا إلى السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها وأرضاها وقالوا لها:

لقد ارتفع السعر جداً والحبوب لا يستطيع أحد أن يشتريها من ارتفاع الأسعار، قالت: وعزة ربى لو صارت الحبة دينار ما اهتممت، لماذا؟ قالت:

على أن أعبده كما أمرنى وعليه أن يرزقنى كما وعدنى!

أنت عليك العبادة أما الرزق فعلى الله ..!!

لماذا تشاركه فى اختصاصه هو؟

أأجلس ولا أعمل؟ .... لا!! ....

أسعَ وأعلم علم اليقين أنك لا تنال فى سعيك إلا ما قدر لك رب العالمين ﷻ، فأمشِ على مهل فى هذا الأمر، وإذا حاولت أنك تأخذ من هنا أو من هناك ستأخذ الذى لك لكن بدلاً من أن تأخذه من الحلال ستأخذه من الحرام فهو مقدر كما قال ﷺ فى الحديث الشريف ما معناه:(**ما سرق السارق إلا من رزقه**)

فالذى قدر له مائة جنيهاً فى الحلال واستعجل وسرقهم فهم مكتوبون له، لكنه لاستعجاله أخذهم بالحرام وأصبح جزاءاً عليه حتى يوم القيامة.

خاتمة

الحمد لله الذى وفقنا لما يحبه ويرضاه فأسبغ علينا عطاياه، وأكمل علينا مننه وجدواه، فرزقنا حب الصالحين، وأدبنا مع عجزنا وضعفنا بآداب المحبوبين، ووهبنا مع ذلنا وانكسارنا وغفلتنا وجحودنا مواهب المقربين ..

وها نحن بمنه وفضله وجوده وكرمه قد انتهينا من هذا الكتاب وأسميناه:

(طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين).

وكان أول الفراغ منه مساء يوم الأربعاء ٢١ من شوال ١٤١٥ هـ الموافق ٢٢ من مارس ١٩٩٥م وليس لنا فيه إلا النطق بلساننا، أما المعانى والمفاهيم فهى من كنز الفتاح العليم، وأما الألفاظ والعبارات فالفضل فى صياغتها يرجع إلى توفيق الله وحسن معونته، إلا ما كان فيها من خطأ فهو بسبب قصورنا وجهلنا فليلتمس لنا القارئ الكريم العذر فى ذلك وليصححه ويبلغنا به حتى نتداركه بعد ذلك وإلى ذلك الإشارة لقول القائل:

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ترجمة المؤلف

فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت www.Fawzyabuzeid.com وهو أصبح أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية .

۞دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ قائمة مؤلفات الشيخ: ثمانون كتاباً في ست سلاسل

أولا : سلسلة من أعلام الصوفية : عدد ٥ كتب:

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط) ٢- الشيخ مُحَمَّد على سلامه سيرة وسريرة.،٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى ٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى (٢ط) ٥- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى

ثانيا : سلسلة الدين والحياة :عدد ٢٢ كتاب:

٦و٧- نفحات من نور القرآن ج١و٢، (٥) مائدة المسلم بين الدين و العلم.(٢ط) ترجم للإندونسية ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب، ١٠- فتاوى جامعة للشباب.١١- مفاتح الفرج (٩ط) (ترجم للأندونسية)١٢-تربية القرآن لجيل الإيمان (٢ط) (ترجم للإنجليزية) ١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام (٢ط).١٤- كيف يحبُّك الله (يترجم للأندونيسية والإنجليزية)، ١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (ترجم للإنجليزية ومنشور على الموقع، ويترجم للأندونيسية)،١٦- المؤمنات القانتات ١٧-فتاوى جامعة للنساء، ١٨- قضايا الشباب المعاصر، ١٩-زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، (٦٧) بنو إسرائيل ووعد الآخرة، (٧١) الصيام شريعة وحقيقة، (٧٢) إكرام الله للأموات، (٧٣) جامع الأذكار والأوراد،(٧٤) الحب والجنس فى الإسلام، (٧٥) أمراض الأمة وبصيرة النبوة،(٧٦) فتاوى فورية ج١، (٨٠) فتاوى فورية ج٢.

ثالثاً: سلسلة الخطب الإلهامية: عدد ٧ كتب:

مج ١: المناسبات الدينية: طبعة مجزأة، وطبعة مجلد واحد (٢ط)

٢٠- ج١: المولد النبوى. ٢١- ج٢: الإسراء و المعراج. ٢٢- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران، ٢٣-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر. ٢٤- ج٥ : الحج و عيد الأضحى. ٢٥- ج٦: الهجرة و يوم عاشوراء،٢٦- الخطب الإلهامية :مج١:المناسبات الدينية (٣ط).

المجلد الثانى : الخطب الإلهامية العصرية : عدد ١ كتاب

(٧٨) الأشفية النبوية للعصر.

ثالثا : سلسلة الحقيقة المحمدية: عدد ٨ كتب:

٢٧- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط). ٢٨- الرحمة المهداة.٢٩-٣٠ إشراقات الإسراء: ج١(٢ط)،ج٢، (٢٢)- الكمالات المحمدية،٣٢- واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله (٢ط) (ترجم للإنجليزية).٣٣-السراج المنير، (٧٠) ثانى اثنين.

رابعا : سلسلة الطريق إلى الله: عدد١٣ كتاب:

٣٤- أذكار الأبرار. ٣٥- المجاهدة للصفاء و المشاهدة ٣٦- علامات التوفيق لأهل التحقيق. ٣٧- رسالة الصالحين.٣٨- مراقى الصالحين. ٣٩- طريق المحبوبين و أذواقهم.٤٠- كيف تكون داعياً على بصيرة. ٤١- نيل التهانى بالورد القرآنى. ٤٢- تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للقاوقجى (تحقيق).، (٦) طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين(ترجم للأندونسية). ٤٤- نوافل المقربين.(٦٤) أحسن القول.، (٧٩) دعوة الشباب العصرية للإسلام.

خامسا: سلسلة دراسات صوفية معاصرة: عدد ١٥ كتاب

٤٥- الصوفية و الحياة المعاصرة. ٤٦- الصفاء والأصفياء.٤٧- أبواب القرب و منازل التقريب.،(٢٩)- الصوفية فى القرآن والسنة (٣ط) (ترجم للإنجليزية ومنشور على الموقع). ٤٩- المنهج الصوفى والحياة العصرية. ٥٠- الولاية والأولياء.٥١- موازين الصادقين.٥٢- الفتح العرفانى.٥٣- النفس وصفها وتزكيتها.٥٤- سياحة العارفين.٥٥- منهاج الواصلين.(٦٥) نسمات القرب.(٦٨) العطايا الصمدانية للأصفياء.(٦٩) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية.، (٧٧) شراب أهل الوصل.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور: عدد ٩ كتب:

٥٥- مختصر مفاتح الفرج (٤ط). ٥٦- أذكار الأبرار (٣ط)، ٥٧- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).(٢ط)، ٥٨- علاج الرزاق لعلل الأرزاق (٢ط).٥٩- بشائر المؤمن عند الموت (٣ط)، ٦٠ - أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام(٢ط)،٦١- مختصر زاد الحاج والمعتمر. (٦٣) بشريات المؤمن في الآخرة.(٦٦) بشائر الفضل الإلهي.

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
مكتبة المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة التوفيقية	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسيني بالحسين
مكتبة القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع مُحَمَّد عبه خلف الأزهر
مكتبة نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ شارع د. حجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة
		الإسكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك مُحَمَّد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبي دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر

مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض
	الأقـاليم	
كشك عبد الحافظ	مُحَمَّد -------	الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق — شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا- ٩شارع سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ – شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة – شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة- شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم للحاج مُحَمَّد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا — المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،ش الشهداء، ح حسن مُحَمَّد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك بالقرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	ال‌قرايا- إسنا – ش السيدة زينب- الحاج مُحَمَّد الريس والأستاذ مُحَمَّد رمضان مُحَمَّد النوبى
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى مُحَمَّد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا – الأقصر

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار و دار الشعب والقومية، ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات. ويمكن أيضاً الإطلاع إليكترونيا على أغلب الكتب وتنزيلها مجانا كما طبعت من على موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com، وهى منشورة أيضاً على أكبر موقع علمى للكتاب العربى على النت www.askzad.com، ويمكن طلبها من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة ، تليفون: ٠٠٢٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠، فاكس: ٠٠٢٠٢-٢٥٢٦١٦١٨

طريق الصديقين

إلى مرضاة رب العالمين

يحوى بعض الدروس الروحانية التى تناولناها فى سياحاتنا مع الأحباب والصادقين ، وهى وان كانت فى أوقات متفرقة وأماكن متباينة ، إلا أنه يجمع بينها أنها تتحدث عن السير والسلوك إلى الله عز وجل .

وهى خاصة بالراغبين فى مزيد فضل الله ، والطالبين لمراتب الكمال التى يقول الله فى شأن أهلها ﴿ هم درجات عند الله ﴾ (١٦٣ ال عمران) .

بعضها يوضح لهم معالم الطريق إلى الله ، وبعضها يبين لهم كيفية الوصول إلى الله ، ويشير بعضها إلى الآداب التى يجب أن يتحلى بها السائرون إلى الله ، ويفصح بعضها عن الأحوال التى يتجمل بها الرجال أهل الكمال ، حفزاً للهمم ، وتشويقاً للنفوس إلى مرابع الأنس ، ومنازل الوصال .

وغير ذلك من الأمور التى تهم السالك فى حياته الروحية ، ومجاهداته النفسية ، وفتوحاته القلبية .

هذا الكتاب هو الطبعة الثانية للكتاب السادس من مؤلفات الشيخ المطبوعة حتى الآن والتى تبلغ الثمانين كتاباً ، ونختار لك بعضها فى هذا الباب مثل : (المجاهدة للصفاء والمشاهدة) ، (جامع الأذكار والأوراد) ، (المنهج الصوفى والحياة العصرية) ، (الفتح العرفانى) ، (الولاية والأولياء) ، (طريق المحبوبين وأذواقهم) ، (موازين الصادقين) ، (شراب أهل الوصل) ، (العطايا الصمدانية للأصفياء) ، (النفس وصفها وتزكيتها) ، .... وكثير غيرها .

القائمة الكاملة لمؤلفات الشيخ فوزى محمد أبوزيد بداخل الكتاب
مع قائمة بالمكتبات ودور النشر
تطلب من دار الإيمان والحياة ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى ، ت ، ٢٥٢٥٢١٤٠ القاهرة

زوروا موقع الشيخ WWW.Fawzyabuzeid.com